

كُونَ الْغُفْطِ

في شرح

أَسْئَلْتِي وَأَجُوبْتِي لِلصِّغَارِ
وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْنَا الْكِبَارُ

تأليف

سَيِّدُ الْمَرْبِ بْنِ سَعْدِ الطُّوَيْكِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِرِهِمْ وَلِأُمَّسَائِمِينَ

اعتنى به

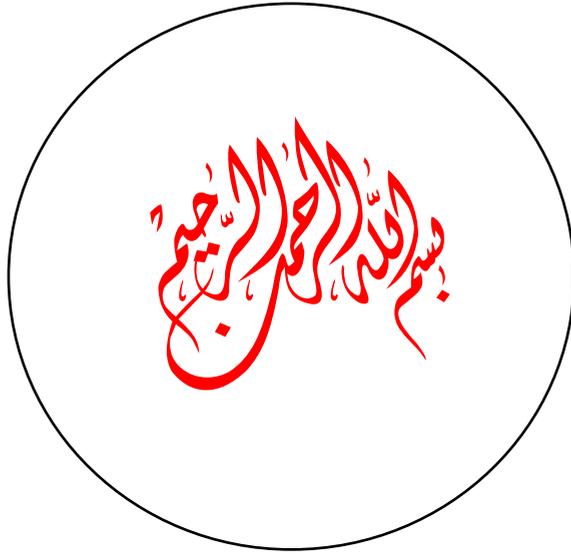
فَهْدِي بْنِ سَيِّدِ الْمَرْبِ بْنِ سَعْدِ الطُّوَيْكِ



كُونَ الْغُفْطَاءِ

فِي شَرَحِ

أَسْأَلُكَ وَأُجِيبُكَ لِلصَّغَارِ
وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْكِبَارِ



عَوْنُ الْغَفِيصِ

فِي شَرْحِ

أَسْئَلْتِ وَأَجُوبْتِ لِلصَّغَارِ
وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْكِبَارُ

تَأليف

سَيِّدِ الْمَرْبِ بْنِ سَعْدِ الطَّوِيلِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِرِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ

اعتنى به

فَهْدُ بْنُ سَيِّدِ الطَّوِيلِ

الطبعة الأولى

٢٠٢١ / ١٤٤٢

مُحفوظات جميع حقوق

تمّ تنسيق هذه المادة ومراجعتها في



مكتب انفان
للتنفيذ والدراسات العلمية

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ أعظمَ نِعَمِ اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** على العبدِ نعمةُ الإسلامِ والسُّنَّةِ، وذلك أنَّ النَّاسَ بحاجةٌ ماسَّةٍ إلى معرفة دينهم، فإنَّ الله تعالى خَلَقَ عباده ليعبُدوه وحده لا شريك له، وأرسل إليهم رُسُلًا، وأنزل إليهم كُتُبًا، فأرسل رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ، فما من عملٍ يُقَرِّبُ إلى اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** إلَّا وبَيَّنَّه النبيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ودلَّ أُمَّتَه عليه، وما من عملٍ يُبَعِدُ عنِ اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** إلَّا حدَّرَ النبيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أُمَّتَه منه، وأبعدهم عنه، فما قُبِضَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلَّا وقد بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصَحَ الأُمَّةَ، وكشفَ الغُمَّةَ^(١)، وجاهد في الله حقَّ الجهاد، قال اللهُ تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]^(٢).

وهذا شرحُ عليِّ رسالتي: «أسئلةٌ وأجوبةٌ للصَّغار ولا يستغني عنها الكبار»، وهي رسالةٌ مختصرةٌ، قد اشتملتُ على أسئلةٍ مهمَّةٍ يحتاجُها كُلُّ مُسْلِمٍ، وقد

(١) قال الشيخُ ابنُ عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: «ليس المرادُ بِالغُمَّةِ الغَمِّ الذي يُصِيبُ الإنسانَ، بل المرادُ الغُمَّةُ التي كان غطَّاها أهلُ الكتابِ على الدِّينِ، وقالوا: إنَّ اللهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ، وما أشبه ذلك، فالرسولُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَشَفَهَا وَبَيَّنَّهَا» [شرح الكافية الشافية (١/ ٢٨)].

(٢) قال ابنُ المَاجشون **رَحِمَهُ اللهُ**: سمعتُ مالكا **رَحِمَهُ اللهُ** يقولُ: «مَن ابتَدَعَ في الإسلامِ بدعةً يراها حسنةً، فقد زَعَمَ أنَّ محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خان الرِّسَالَةَ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكنْ يومئِدِ دِينًا، فلا يكونُ اليومَ دِينًا» [الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٥)].

شَرَحْتُ الرِّسَالَةَ فِي مَجَالِسَ عَدَّةٍ، وَفُرِّغَ هَذَا الشَّرْحُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ،
فَرَاغْتُهُ وَحَرَّرْتُهُ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْزِيَ خَيْرًا كُلَّ مَنْ سَاهَمَ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الشَّرْحِ، وَأَخْصُ
بِالذِّكْرِ مِنْهُمْ ابْنِي فَهْدَ بْنَ سَالِمٍ - وَفَقَهُ اللَّهَ - عَلَى جَهُودِهِ فِي مَرَاجَعَةِ الْكِتَابِ
وَالعِنَايَةِ بِهِ.

وكتبه راجي عفوره الجليل
سالم بن سعد الطويل
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: مَنْ رَبُّكَ؟ الجواب: ربي الله عَزَّ وَجَلَّ.



إذا وُضِعَ الإنسانُ في قبره فسوف يُسألُ ثلاثةَ أسئلةٍ، أولها هذا السُّؤالُ العظيمُ، والدليلُ قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فِي أَيِّهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقولُ: ربي اللهُ...»^(١)، ولأهميَّةِ هذا السُّؤالِ كانَ مِنَ الواجبِ على العبدِ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ، فاللهُ **جَلَّ وَعَلَا** لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالْإِنْسَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا، وَأَنْزَلَ كُتُبًا لِيُعْرِفَ عِبَادَهُ بِنَفْسِهِ، ومعرفةُ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هي مِنَ الحِكْمِ التي مِنَ أَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فاللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خَلَقَ الخَلْقَ لِثَلَاثِ حِكْمٍ متلازمة:

الأولى: ليعرفوا ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والدليلُ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]^(٢).

الثانية: للابتلاء والاختبار، والدليلُ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، والعملُ الحسنُ: هو ما كان خالصًا لله تعالى، صوابًا على سُنَّةِ رَسُوْلِهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦٧٦).

(٢) قال الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللهُ**: «أخبر تعالى أنه خَلَقَ الخَلْقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمِنَ فِيهِنَّ، والأرضين السبعِ وَمِنَ فِيهِنَّ، وما بينهنَّ، وَأَنْزَلَ الأَمْرَ؛ وهو الشرائعُ والأحكامُ الدينية التي أوحاها إلى رُسُلِهِ؛ لتذكير العبادِ ووعظِهِمْ، وكذلك الأوامرُ الكونيةُ والقدريةُ التي يُدبِّرُ بها الخلقَ، كُلُّ ذلكِ لأجلِ أَنْ يَعْرِفَهُ العِبَادُ، ... فإذا عرفوه بأوصافه المقدَّسةِ وأسمائه الحسنَى، وعَبَدُوهُ، وَأَحْبَبُوهُ، وقاموا بحقه، فهذه الغايةُ المقصودةُ مِنَ الخَلْقِ والأمرِ معرفةُ الله وعبادته». [تفسير السعدي (٨٧٢)].

الثالثة: لعبادته **عَزَّوَجَلَّ** وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**: ﴿لِيَعْبُدُونَ﴾، أي: ليؤحدوا الله أو ليعرفوه^(١)، ومعلوم أن العبد إذا عرف الله **عَزَّوَجَلَّ** عبده وحده لا شريك له، وإذا جهل حق الله **عَزَّوَجَلَّ** أشرك وكفر، ولذلك كلما ازداد العبد معرفة بالله **عَزَّوَجَلَّ** ازداد عبادة له وتعظيمًا وخوفًا منه ورجاءً واستقامةً على أمره.

والرسل أكمل الناس عبادةً لله وأشدَّهم خشيةً له؛ لكمال علمهم بالله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال **عليه الصلاة والسلام**: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي»^(٢).

ومما يدل على أهمية معرفة الله تعالى أنه **صلى الله عليه وسلم** لما أرسل معاذ بن جبل **رضي الله عنه** إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يؤحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرَضَ عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم...»^(٣)، فأمره **صلى الله عليه وسلم** بدعوتهم إلى توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ** حتى يعرفوا الله فيعبده وحده لا شريك له.

فعلى المسلم أن يتعرف على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، بأوامره ونواهيه، وبمعرفة أحكامه، فيعرف ما يحب **جَلَّ وَعَلَا**، وما يبغض **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**، كل ذلك داخل في معرفة الله تعالى.

(١) قال ابن كثير **رحمته الله** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، وعن ابن عباس **رضي الله عنهما**: أي: إلا ليقرؤا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جرير: إلا ليعرفون. [تفسير ابن كثير ٧/ ٤٢٥].

* والمقصود هنا: المعرفة المؤدية لإفراجه بالعبادة وحده لا شريك له، لا مجرد المعرفة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١١٠)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٣٧٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩)، واللفظ للبخاري.

فإن قال قائل: إن الجواب عن سؤال (من ربك؟) يسير.

فيقال: إن العبد لن يثبت ويجيب جوابًا صحيحًا في قبره ما لم يكن ثابتًا في الدنيا على أن ربه الله **بَرَزَجِل**، ولو تأمل الإنسان ما يكون في القبر من سؤال الملكين منكرٍ ونكيرٍ^(١)، وغيره من الأمور العظيمة التي تكون في القبر لعلم أنه بحاجة إلى أن يسأل الله أن يثبتته بالقول الثابت.

وقد ذكر النبي **صلى الله عليه وسلم** حال المرتاب عند السؤال في القبر فقال: «... ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه! هاه! لا أدري...»^(٢)، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أخبر أن المرتاب لن يوفق إلى الجواب عن هذا السؤال.

قال الشيخ ابن عثيمين **رحمته الله**: «وتأمل قوله: «هاه! هاه!»، كأن شيئًا غاب عنه؛ يريد أن يتذكره، وهذا أشد في التحسر؛ أن يتخيل أنه يعرف هذا الجواب، ولكن يُحال بينه وبينه، ويقول: «هاه! هاه!» ثم يقول: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ولا يقول: ربي الله! ولا: ديني الإسلام! ولا: نبيي محمد! لأنه في الدنيا مرتابٌ شاكٌّ!»^(٣).

فإنه يثبت في الجواب عن هذا السؤال من كان ثابتًا في حياته على الإسلام، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(١) ثبتت هذه التسمية عن النبي **صلى الله عليه وسلم** في قوله: «إذا قبر الميت أو قال: أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان يُقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير»، أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٠٧١)، وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦٧٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١١٧/٢).

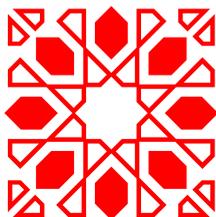
ونظير هذا: المروء على الصِّراط، فالنَّاس يَمُرُّونَ عَلَى الصِّراطِ بِقَدْرِ استقامتِهِمْ عَلَى الصِّراطِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ** فِي الدُّنْيَا، فَبِقَدْرِ ثَبَاتِ الْإِنْسَانِ عَلَى الصِّراطِ فِي الدُّنْيَا، تَكُونُ سُرْعَتُهُ عِنْدَ اجْتِيَازِهِ الصِّراطَ، فَمَنْ كَانَ ثَابِتًا فِي الدُّنْيَا عَلَى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، فَإِنَّهُ سَيَجْتَازُ الصِّراطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَجْتَازَ الصِّراطَ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَى مَنْ جَهَنَّمَ.

وقد أورد بعضُ النَّاسِ شُبُهَةً فَقَالُوا: لَا دَاعِيَ لِلْكَلَامِ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَيَكْفِي الْاِقْتِصَارُ عَلَى تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ؛ لِأَنَّكَ فِي قَبْرِكَ سَتُسْأَلُ: (مَنْ رَبُّكَ؟)، وَلَنْ تُسْأَلَ عَنِ مَعْبُودِكَ.

فَالجَوَابُ عَنِ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الرَّبَّ وَالْإِلَهَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتْ افْتَرَقَتْ، وَإِذَا افْتَرَقَتْ اجْتَمَعَتْ، فَالرَّبُّ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، وَالْإِلَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ، لَكِنْ عِنْدَمَا يُفْرَدُ الرَّبُّ عَنِ الْإِلَهِ، أَوْ يُفْرَدُ الْإِلَهُ عَنِ الرَّبِّ يَكُونُ الْمَعْنَى وَاحِدًا.

وَمِنَ النَّصُوصِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا إِطْلَاقُ الرَّبِّ عَلَى الْإِلَهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَصْحَبِي السَّجِّينَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، فَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هُوَ الرَّبُّ، وَالرَّبُّ هُوَ اللَّهُ، فَلِذَلِكَ سَتُسْأَلُ فِي قَبْرِكَ عَنِ رَبِّكَ، يَعْنِي عَنِ إِلَهِكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (١).

(١) قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ **رَحِمَهُ اللهُ**: «فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّبُّوبِيَّةَ وَالْأُلُوهِيَّةَ يَجْتَمِعَانِ وَيَفْتَرِقَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ١ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ٢ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١: ٣]، وَكَمَا يُقَالُ: رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَهُ الْمُرْسَلِينَ، وَعِنْدَ الْإِفْرَادِ يَجْتَمِعَانِ، كَمَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: مَنْ رَبِّكَ؟ ... إِذَا ثَبِتَ هَذَا =



= فقول المَلَكِينِ لِلرَّجُلِ فِي الْقَبْرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ معناه: مَنْ إِلَهك؟ لَأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ الَّتِي أَقْرَبُهَا الْمَشْرُكُونَ مَا يُمْتَحَنُ أَحَدُهَا.

وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

فالرُّبُوبِيَّةُ فِي هَذَا هِيَ الْأُلُوهِيَّةُ، لَيْسَتْ قَسِيمَةً لَهَا كَمَا تَكُونُ قَسِيمَةً لَهَا عِنْدَ الْاِقْتِرَانِ، فَيَنْبَغِي التَّفَتُّنُ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. [الرسائل الشخصية، الرسالة الثانية ص ١٧].

* وَمِنَ الْأَفْظَانِ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتْ افْتَرَقَتْ، وَإِذَا افْتَرَقَتْ اجْتَمَعَتْ: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ، وَالْفَقِيرُ وَالْمَسْكِينُ، وَالْبِرُّ وَالْتَّقْوَى، وَالرَّحْمَةُ وَالْمَغْفَرَةُ، وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، وَالتَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَغَيْرُهَا.

السُّؤَالُ الثَّانِي: أَيْنَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا؟

الجواب: اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي السَّمَاءِ.

هذا سؤالٌ نبويٌّ سأله رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جاريةً، كما ثبت عن معاويةَ بنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال:..وكانت لي جاريةً ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَانِيَةِ^(١)، فاطلعت ذات يومٍ فإذا الذَّيْبُ قد ذَهَبَ بَشَاةٍ مِنْ غَنِمِهَا، وأنا رَجُلٌ مِنْ بني آدم، آسَفُ كما يأسفون^(٢)، لكنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فأتيتُ رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فعظَّم ذلك عليَّ، قلتُ: يا رسولَ الله أفلا أُعْتِقُهَا؟ قال: «أتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسولُ الله، قال: «أعْتِقُهَا، فإنَّها مؤمنةٌ»^(٣)، فقد شهد لها رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالإيمانِ لأنَّها قالت: «اللهُ في السَّمَاءِ» وشهدتُ للرسولِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالرسالة.

فمسألة علو الله **عَزَّ وَجَلَّ** مسألةٌ عقديَّةٌ عظيمةٌ، والذي يدل على عِظَمِهَا أن علو الله **عَزَّ وَجَلَّ** ثابتٌ في الكتابِ والسنةِ بأكثرَ من ألف دليل، والأدلةُ عليه متنوعَةٌ وكثيرةٌ^(٤).

(١) قال النووي **رَحِمَهُ اللهُ**: «الجَوَانِيَةُ بقرب أحدٍ موضعٍ في شمالي المدينة». [شرح مسلم (٢٣/٥)].

(٢) آسَفَهُ: أَعْظَبَهُ، وفي التَّنْزِيلِ العزيز: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ معنى آسَفُونَا: أَعْظَبُونَا. [لسان العرب لابن منظور (٥/٩)].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٣٧)، وللمؤلف حفظه الله رسالة مطبوعة نافعةٌ جدًّا بعنوان: (الله في السماء)، كتبها على طريقة المحاورَة.

(٤) قال ابنُ القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في كلامه عن أدلةِ إثباتِ علوِّ الله: «ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل». [اجتماع الجيوش الإسلامية ص: ٥٢٢].

فمنها: أدلة الفوقية، وأدلة الاستواء، وأدلة العلو، وأدلة كونه في السماء، وأدلة النزول إلى سماء الدنيا، وأدلة إنزال الكتاب، وغير ذلك^(١).

✽ وأما الأنواع فهي:

- ١- العلو، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- ٢- الفوقية، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].
- ٣- الاستواء على العرش، والدليل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].
- ٤- نزوله إلى السماء الدنيا، قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا»^(٢).
- ٥- إنزال الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].
- ٦- صعود الكلم الطيب إليه، والدليل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].
- ٧- أنه كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، والدليل قوله ﷺ: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»^(٣).
- ٨- رفع عيسى ابن مريم عليه السلام إليه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ! خُذِيكِ وَمُؤْتِفَيْكِ وَرَافِعُكِ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله أن أنواع أدلة علو الله عز وجل واحد وعشرون نوعاً. [النونية فصل في الإشارة إلى الطرق التقلية الدالة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه ص ٧٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٤٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٤٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٥١)، واللفظ للبخاري.

٩- عروج الملائكة والروح إليه، كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

١٠- دلالة اسمه الظاهر على علوه وفوقيته، وقد فسره النبي ﷺ فقال: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(١)، والظهور بمعنى الفوقية، والفوقية تكون فوقية الذات، وفوقية الصفات، وفوقية القهر.

١١- أنه في السماء، كما في قوله تعالى: ﴿أَمِنُّم مِّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦].

قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ حرف الجر (في) ليست للظرفية، وإنما هي بمعنى (على)، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي: على جذوع النخل، وكقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، أي: على الأرض^(٢).

وللسلف قول آخر؛ فقد فسروا قوله تعالى: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، أي: في العلو، فالشيء العالي يُقال عنه: (سماء)، ولهذا سَمَّى اللهُ تعالى السحابَ سماءً لعلوه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]^(٣).

وهذان التفسيران من اختلاف التنوع؛ وليس من اختلاف التضاد، فإما أن يكون معنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، أي: على السماء؛ ويُراد بالسماء: السماوات المبنية السبع الشداد، أو يكون معنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، أي: في العلو، وكلاهما حق.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٣).

(٢) قال ابن عبد البر رحمه الله: «وأما قوله تعالى: ﴿أَمِنُّم مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْفَى بِكُمْ﴾ [الملك: ١٦]، فمعناه: من على السماء يعني على العرش، وقد يكون (في) بمعنى (على)، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، أي: على الأرض؟ وكذلك قوله: ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. [التمهيد (٧/ ١٣٠)].

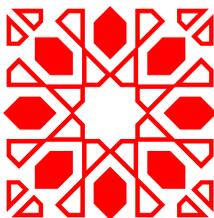
(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولفظ (السماء) في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا، فهو اسم جنس للعالي، لا يتعين في شيء إلا بما يُضاف إلى ذلك». [منهاج السنة النبوية ٥/ ٤٤٠].

وقد جاءتِ السُّنَّةُ بأنواعها الثلاثة القوليَّة، والفعليَّة، والتقريبيَّة في إثبات العلو:

١- القوليَّة: كحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

٢- الفعليَّة: قوله صلى الله عليه وسلم على رؤوس الأشهاد يوم عرفة: «ألا هل بلغت؟ قلنا: نعم، قال: اللهم اشهد»^(٢)، ويشير إلى السَّماء.

٣- التقريبيَّة: إقراره صلى الله عليه وسلم الجارية على قولها: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ في السماء»^(٣).



(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٩٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٠٧٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٢١٨)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٣٧).



السُّؤَالُ الثَّلَاثُ: مَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ؟



الْجَوَابُ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.



هذا سُؤَالُ نَبِيِّ، فَأَعْظَمُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، كَمَا فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مَعَاذُ»، قُلْتُ: لِيَبِّكَ ^(١) يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعَاذُ» قُلْتُ: لِيَبِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لِيَبِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لِيَبِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْدُبَهُمْ» ^(٢).

قَوْلُهُ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، هَذَا حَقُّ أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَأَمَّا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ بِرَبِّهِ فَحَقُّ أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاللَّهُ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَحْرِمُ عَلَى نَفْسِهِ مَا يَشَاءُ، فَحَقُّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَلَا نَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَوَعَدْنَا وَعَدًّا - وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ - أَلَّا يَعْدُبَنَا إِذَا عَبَدْنَاهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْأَظْهَرُ أَنْ مَعْنَاهَا إِجَابَةٌ لَكَ بَعْدَ إِجَابَةِ التَّلَاكُيدِ» [شرح مسلم ١/ ٢٣١].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمَ: (٦٥٠٠)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمَ: (٣٠)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

ولا يكفي العباد أن يعبدوه، بل لا بُدَّ مع ذلك ألا يشركوا به شيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فالعبادة مع وجود الشُّرك والكفر لا تنفع، فالمشركون يعبدون الله **بِمَزَجٍ** بعبادات كثيرة كالدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

وإبليس دعا الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]، وكذلك أقسم بعزة الله **بِمَزَجٍ** ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْوَبِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ومع ذلك لم يدخله ذلك في الإسلام؛ لأنه لم يُخلص العبادة لله وحده لا شريك له، فهو كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

فالمرء لا يكون مسلماً مؤحداً إلا إذا عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً. **فائدة:** لا يجوز القسم بحق الله؛ لأنَّ حقَّ الله عبادته، وعبادته من أفعال المخلوقين، وأفعال العباد مخلوقة، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، والقسم يجب أن يكون باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته.

قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «يجوز أن تُقسِمَ بكلِّ صفة من صفات الله المعنويَّة، كعلم الله، وحياة الله، وما أشبه ذلك، أمَّا الصفات غير المعنوية فلا يجوز أن تُقسِمَ بها، كأن تقول: (ويَدِ الله)، أمَّا وجه الله فلائنه لَمَّا كان يُعَبَّرُ بالوجه عن الذات صحَّ أن تُقسِمَ فتقول: أُقسِمُ بوجه الله» (١).

(١) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة [ص: ٥٤].



**السُّؤالُ الرَّابِعُ: أكمل الحديث: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا...».**



**الجوابُ: «وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم
رسولًا؛ وجبت له الجنة»^(١).**



يُشرعُ للمسلم أن يقولَ هذا الذِّكْرَ العَظِيمَ في مواضعٍ عدَّةٍ منها:

١- في أذكار الصباح، فعن المُنيذر الأَسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعتُ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا،
فَأَنَا الزَّعِيمُ لَا أَخُذُ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

٢- في الأذان بعد قولِ المؤذِّن: «أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ»، والدليلُ قولُهُ
صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المؤذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا،
غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٥٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (٨٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٦٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقم: (٣٨٦).

قال الألباني: «وأخرجه الطحاوي بإسناده وزاد أنه قال: (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المؤذِّنَ يَشْهَدُ،
وهذا سندٌ صحيحٌ رجاله كلُّهم ثقاتٌ، وفيه هذه الزيادة التي تُعَيَّنُ متى يُقالُ هذا الدعاءُ، وهو حين
يتشهدُ المؤذِّن، وهي زيادةٌ عزيزةٌ قلَّما توجدُ في كتاب فتشبتُ بها، ويجوزُ له أن يقتصر أحيانًا على
قوله: (وأنا وأنا)، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع المؤذِّن يتشهد قال: (وأنا وأنا)، أخرجه أبو داود
والحاكم». (انظر الثمر المستطاب ص: ١٨٢/١٨٤).

والفضائل التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث من مغفرة الذنوب ودخول الجنة لا ينالها إلا من توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع.

فمثلاً من قال هذا الذِّكْرَ وهو ينكُرُ الملائكةَ، أو غيره من أركان الإيمان، أو أنكر الصلاة، أو غيرها من أركان الإسلام، فلا يُغْفَرُ له ولا تجبُ له الجنة.

وهذا نظيرُ قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(١)، فهذا الحكمُ الواردُ في الحديث ليس على إطلاقه، بل لا بُدَّ من تحقق شروط لا إله إلا الله، وانتفاء ما يناقضها.

ومن الأمثلة أيضاً: قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، فليس معنى الحديث أن من اقتصر على البردين وهما: الفجر والعصر، مع تركه للصلوات الأخرى سيدخل الجنة، بل المراد أن الحكمَ متحقق في حال توفُّر جميع الشروط وانتفاء الموانع^(٣).

ولا يمكن لكل من ذكَّرَ حكماً شرعياً بيانَ الشروط والموانع في المقام نفسه، وإنما هذا يفهمُ بجمع الأدلَّةِ الشرعية، فكلُّ حُكْمٍ من الأحكام لا يتحقَّقُ حتى تتوفَّرَ شروطُه وتتفني موانعُه.



(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: (١٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١١٣٥).

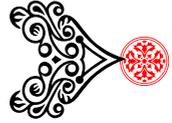
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٧٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٣٥).

(٣) قال المؤلف وفقه الله: «فهم هذه القاعدة يُزيل كثيراً من الإشكالات عن طالب العلم». [التعليق

المختصر على نظم القواعد الفقهية للشيخ السعدي ص ٥٤].



السؤال الخامس: لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟ وما الدليل؟



الجواب: لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].



التوحيد هو دين الله تعالى، ومن أجله خلق الله الدنيا والآخرة، وهو أول ما دعا إليه الرسل **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** أقوامهم، فكلُّ رسول قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فهذه الآيات إشارة إلى أن أولى ما يجب أن نذكر الناس به أن الله خلقهم لعبادته وحده لا شريك له، وفي سياق هذه الآية قال تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا لِلذِّكْرِ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٥] **وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿ [الذاريات: ٥٦:٥٥] (١).

ولمَّا أرسل النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** معاذ بن جبل **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...» (٢)، فأمره **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يدعوهم إلى توحيد الله **بِعَزَّةٍ جَلَّ أَوْلَا**.

وأعظم ما يدفع المسلم إلى تحقيق التوحيد: العلم بالله تعالى، فكلما زاد العبد علمًا بربه وما له من الأسماء الحسنى والصفات العلاء زاد إيمانه وتعظيمه لله، ولذا كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أعلم الناس بالله، كما قال: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا» (٣).

(١) وقد تقدم في كلام الشارح وفقه الله بيان الحكم التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى الخلق [ص ٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٣٧٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١١٠)، واللفظ للبخاري.

فلا بُدَّ للمسلم دائماً أن يتعرَّف على الله فيعرِّف أوامره، ويعرف نواهيه، ويعرف ما يُحبه، وما يُبغضه، وما يُرضيه، وما يُمقته، وما يُسخطه، فالعلم بالله سبيلٌ إلى توحيده **عَزَّوَجَلَّ**، والجهل به يؤدي إلى الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِأَعْبَادِهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وقد خَلَقنا الله تعالى للابتلاء والاختبار، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فالدنيا دارُ بلاء، والمرءُ مبتلىٌ في إيمانه، كما قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ② **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** [العنكبوت: ٢٣]، ومبتلىٌ في أحواله جميعاً في الشر والخير، قال تعالى: ﴿وَنَبَلِّغُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] ①، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⑤ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، وهكذا الإنسان مبتلىٌ في كلِّ وقتٍ وحينٍ حتَّى يلقى الله **عَزَّوَجَلَّ**.



(١) قال ابن كثير **رحمته الله**: «نختبركم بالمصائب تارةً، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكرُ ومن يكفرُ، ومن يصبرُ ومن يقنطُ». [تفسير ابن كثير (٥/٣٤٢)].



السُّؤَالُ السَّادِسُ: مَا أَعْظَمُ وَاجِبٍ عَلَيْنَا؟



الجوابُ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَسْتَحِقُّ بِمَا يَسْتَحِقُّ.



التَّوْحِيدُ: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَسْتَحِقُّ فِي رَبوبيَّتِهِ، وَأَلوهيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ وَأَعْظَمُ وَاجِبٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَلَقْنَا إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ، وَبِهِ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَيَنْجُو مِنَ النَّارِ.

وَالْمَوْحِدُ مُصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى لَوْ بَقِيَ فِي جَهَنَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ إِلَى أَمَدٍ ثُمَّ يَكُونُ مُصِيرُهُ الْجَنَّةَ إِلَى الْأَبَدِ، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتَحَشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبَتُونَ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»^(١).

فَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ فَقَدَ التَّوْحِيدَ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَوْ كَانَ أَسْعَدَ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ غَيْرَ الْمَوْحِدِ مُصِيرُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ، بَيْنَمَا لَوْ فَقَدَ الْإِنْسَانُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَكِنَّهُ مَاتَ مَوْحِدًا فَمُصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٥٦٠)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٨٤)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، قَوْلُهُ: (امْتَحَشُوا)، أَي: احْتَرَقُوا. [النهاية لابن الأثير ٤/٣٠٢].

وقوله: (الْحَبَّةُ) بكسر الحاء: وهي بزر البقول، والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول.

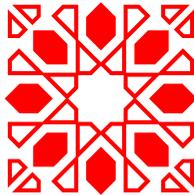
وقوله: (حَمِيلِ السَّيْلِ)، ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه: محمول السيل، والمراد

التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته. [شرح النووي على مسلم ٣/٢٣].

فَالنَّجَاهُ مِنَ النَّارِ تَمَامًا تَكُونُ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

فالتَّوْحِيدُ هُوَ قَاعِدَةُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَاعِدَةُ الدَّعْوَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فكُلُّ الرُّسُلِ أُرْسِلُوا مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ، وَكُلُّ الْكُتُبِ أُنزِلَتْ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ، فَأَعْظَمُ وَاجِبٍ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٨٠٧).

وقوله: (فَيُصْبَغُ)، أي: يُغَمَسُ كَمَا يُغَمَسُ الثُّوبُ فِي الصَّبْغِ. [النهاية لابن الأثير ٣/ ١٠].
وهذا تفسيرٌ موافقٌ لرواية ابن ماجه في سننه رقم: (٤٣٢١) بلفظ: «اغمسوه في النار غمسة».



السُّؤال السَّابعُ: اذكر أنواع التوحيد الثلاثة.



الجوابُ: ١ - توحيدُ الرُّبوبيَّةِ.

٢ - وتوحيدُ الألوهيَّةِ.

٣ - وتوحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ.



هذا التقسيمُ قرَّره العلماءُ بالاستقراء لنصوص الشريعة^(١)، والرُّبوبيَّةُ: هي إفراؤُ الله تعالى بأفعاله، وهي مُشتَقَّةٌ من اسم (الرَّبِّ)، قال تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقال **صيني الله عليه السلام**: «صدقةُ السرِّ تطفئُ غضبَ الربِّ»^(٢).

والإيمانُ بالرُّبوبيَّةِ يقتضي أن نعتقد أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** متفردٌ بأفعاله، فهو **جَلَّ وَعَلَا** وحده يَخْلُقُ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو **جَلَّ وَعَلَا** وحده المالكُ المُدبِّرُ، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦١] **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦: ٢٧]، فكلُّ تدابير ربِّ العالمين يُدبِّرُها **جَلَّ وَعَلَا** وحده لا شريك له.**

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «هذا التقسيمُ الاستقرائيُّ لدى متقدمي علماء السلفِ أشار إليه ابنُ مندُه، وابنُ جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخنا الإسلام ابنُ تيمية وابنُ القيم، وقرَّره الرُّبَيْدِيُّ في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطيُّ في أضواء البيان... وهو استقراءٌ تامٌّ لنصوص الشرع» [التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص: ٣٠].

* انظر للفائدة كتاب (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) للشيخ عبد الرزاق العباد.

(٢) أخرجه الشهاب في مسنده رقم: (٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٩٠٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «هذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصلُ به الواجب»^(١).

أي: الإيمان بالربوبية واجب، لكن لا يتمُّ به الواجب، إذ الواجب يتمُّ بالإيمان بوجودِ الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

ومما يدلُّ على ذلك أنَّ المشركين الأوائل قد آمنوا بتوحيد الربوبية، وما صاروا بذلك مؤمنين، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنهم: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

ولذلك لم يُنكروا على رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما أخبرهم بأنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** هو ربُّهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الزمر: ٦].

ومع هذا كلِّه لم ينفَع الإيمان بالربوبية فقط المشركين الأوائل ولا إبليس؛ لأنَّه لا يتمُّ به الواجب، فلا بُدَّ من الإيمان ببقية الأركان.

ولا يجوزُ الاكتفاء بالدعوة إلى توحيد الربوبية فقط - وهذا حقٌّ - بل الواجب أن يدعو المسلم إلى توحيد الألوهية، والأسماء والصفات أيضًا.

فإن قال قائل: الله **عَزَّوَجَلَّ** وحده الخالق، لكن ما توجيهُ قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] الذي يدلُّ ظاهره على أن هناك أكثر من خالق؟

التوجيه: أن الخلق له إطلاقان:

- ١- الإيجاد من العدم.
- ٢- تحويل الشيء من مادةٍ إلى أخرى.

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٣٨٧).

فَأَمَّا إِيْجَادُ الشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تَحْوِيلُ الشَّيْءِ مِنْ مَادَةٍ إِلَى مَادَةٍ أَوْ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ فَهَذَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنْتَ أَخْلَقْتَ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

إِذَا لَمْ يَخْلُقْ طَيْرًا مِنْ عَدَمٍ وَإِنَّمَا خَلَقَهُ مِنْ طَيْنٍ، أَمَّا الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الشَّيْءَ مِنَ الْعَدَمِ فَهُوَ اللَّهُ ﷻ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَكذَلِكَ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُقَالُ: اللَّهُ ﷻ الْمَالِكُ وَحْدَهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾ [النور: ٦١]؟

الْجَوَابُ: الْمُلْكُ الْمَطْلُوقُ لِلَّهِ ﷻ، وَأَمَّا الْمُلْكُ الصُّورِيُّ الْمُؤَقَّتُ الْمَحْدُودُ فَهَذَا قَدْ يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ، فَفُلَانٌ يَمْلِكُ بَيْتًا، وَفُلَانٌ يَمْلِكُ دَابَّةً وَهَكَذَا، وَأَمَّا الَّذِي يَمْلِكُ مُلْكًا مُطْلَقًا تَامًّا فَهُوَ اللَّهُ ﷻ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

لِذَا لَوْ أَنَّ شَخْصًا أَحْرَقَ شَيْئًا مِنْ مُلْكِهِ أَوْ أَتْلَفَهُ لَكَانَ مُلَامًا شَرْعًا وَعَقْلًا وَعِرْفًا؛ لِأَنَّ مُلْكَهُ لَيْسَ تَامًّا.

لَكِنْ إِنْ أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ الصَّوَاعِقَ أَوْ زَلَّزَلَ الْأَرْضَ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ ﷻ لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَلَا يَفْعَلُ اللَّهُ ﷻ ذَلِكَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ تَامَّةٍ، قَالَ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأُلُوْهِيَّةِ، فَالْأُلُوْهِيَّةُ: اسْتِثْقَاقٌ مِنَ (الْإِلَه)، لَكِنْ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ ثُمَّ أُدْغِمَتِ اللَّامُ الْأُولَى مَعَ الثَّانِيَةِ فَصَارَتْ (اللَّهُ)، وَمَعْنَى الْإِلَه: الْمَأْلُوه، أَي: الْمَعْبُودُ حُبًّا وَتَعْظِيمًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَذَلًّا وَخُضُوعًا، فَالْإِلَهُ

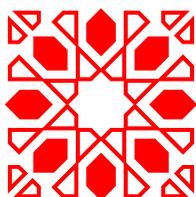
الحقُّ هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَحْدَهُ لا شريك له، قال **عمر بن الخطاب**: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْدُ عُنُقٍ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

فهناك معبوداتٌ كثيرةٌ باطلةٌ وإن سُمِّيت آلهةً إلا أنَّها أسماءٌ مجردةٌ عن استحقاق العبادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، والإله الحقُّ المستحقُّ أن يُعْبَدَ هو الله **عمر بن الخطاب** وَحْدَهُ لا شريك له.

وأما توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ فهو: إثباتُ ما أثبتهُ الله تعالى لنفسه وأثبتهُ له رسوله **صلى الله عليه وسلم** من الأسماءِ الحسنَى والصفاتِ العُلا، ونفي ما نفى الله **عمر بن الخطاب** عن نفسه ونفاه عنه رسوله **صلى الله عليه وسلم**.

وعبادةُ الله مبنيةٌ على العلمِ بأسمائه وصفاته، ولذلك كُلمَّا ازداد الإنسانُ معرفةً بالله ازداد عبادةً لله **عمر بن الخطاب**، وخوفاً منه، وخشيةً له.

قال العلامة ابن القيم **رحمه الله** مبيِّناً ثمرةَ معرفةِ أسماءِ الله تعالى وصفاته: «فكَلَّمَا كان العبدُ بها أعلمَ كان بالله أعرفَ، وله أطلبَ، وإليه أقربَ، وكَلَّمَا كان لها أنكرَ كان بالله أجهلَ، وإليه أكرهَ، ومنه أبعَدَ»^(١).



(١) نونية ابن القيم مع شرح ابن عيسى (١/ ٢٤).



السُّؤال الثَّامنُ: ما كلمةُ التوحيدِ؟ وما معناها؟



**الجوابُ: كلمةُ التوحيدِ هي: (لا إله إلا الله)،
ومعناها: لا معبودَ حقَّ إلا الله.**



كلمةُ التوحيدِ (لا إله إلا الله) كلمةٌ عظيمةٌ أرسل اللهُ بِرَجُلٍ بها جميعَ رسالِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد اتفقت جميعُ الرُّسلِ على الدَّعوةِ إلى أربعةِ أمورٍ:

الأمرُ الأوَّلُ: الدَّعوةُ إلى توحيدِ اللهِ بِرَجُلٍ.

الأمرُ الثَّاني: طاعةُ الرسولِ؛ لأنَّ الرسولَ هو واسطَةُ تبليغِ بينِ اللهُ تعالى وبينِ عباده، فمن أطاعَ الرسولَ فقد أطاعَ اللهُ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

الأمرُ الثَّالثُ: تقوى اللهُ بِرَجُلٍ، فالرُّسلُ أمروا أقوامَهُم بالتقوى، وتقوى اللهُ بِرَجُلٍ معناها: الاستقامةُ على طاعةِ اللهُ سُبحانَهُ وتعالى بامتنالِ أوامره رجاءَ ثوابِ اللهِ تعالى، واجتنابِ نواهيه خوفاً من عذابِ اللهِ تعالى.

الأمرُ الرَّابِعُ: الاستغفارُ، فكلُّ الرسلِ دعوا أقوامَهُم إلى الاستغفار؛ لأنَّ الإنسانَ مهما بذلَ من جهدٍ وحرَصَ على أن يستقيمَ على تقوى اللهُ بِرَجُلٍ فلا بُدَّ أن يقعَ في التقصيرِ، ولهذا لما طلبَ أبو بكر الصديقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقال: علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي، قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا - وفي رواية: كثيرًا - ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»^(١).

هذا أبو بكر رضي الله عنه المبشّر بالجنة، أحبُّ الرجال إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأسبقهم إلى الإسلام قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر، وهذا يدل على أننا بحاجة إلى مغفرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وستره، فإذا مدحك الناس فلا تظنّ أنهم يمدحون ذاتك، وإنما يمدحون ستر الله الجميل الذي سترك به.

ولكلمة التوحيد ركنان لا تستقيم إلا بهما: النفي والإثبات؛ ف(لا إله): نفي عام، و(إلا الله) إثبات خاص، فلا يكفي أن يُقال: (لا إله)؛ لأنّ هذا النفي ينفي الألوهية مطلقاً، كما لا يكفي أن يُقال: (الله إله)؛ لأنّ هذا لا يدلُّ على تفردَه بالألوهية، واستحقاقه لها وحده.

أما إذا قلنا: (لا إله إلا الله) استقام التوحيد، فنحن استحقاق الألوهية عن كلِّ مَنْ سِوَى الله، وأثبتناها لله وحده.

والمعنى الصحيح لـ (لا إله إلا الله) لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

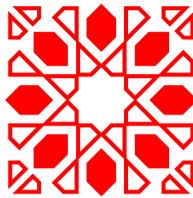
إذا علمت هذا تبيّن لك خطأ مَنْ فسّر (لا إله إلا الله) بالتفسيرات الباطلة كقول بعضهم: لا إله إلا الله، أي: لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، ونحو ذلك.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٣٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٥)، واللفظ له.

ومما يدلُّ على بطلان تفسير (لا إله إلا الله) بهذه المعاني أن المشركين الأوائل استكبروا عن قول: (لا إله إلا الله)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، مع أنهم كانوا يُقِرُّونَ بأنَّ الله تعالى هو الخالق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

والمقصودُ بالآلهة في الآية: المعبودات، وليس الخالقين^(١)، فالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم يفسرون (الإله) بالمعبود، ولا يفسرونه بالخالق أو الرزاق أو القادر على الاختراع، ونحو ذلك.

والخطأ هو تفسير (لا إله إلا الله) بـ (لا خالق إلا الله)، أو (لا رازق إلا الله)، وإن كانت هذه العبارات حقًا في ذاتها، إذ لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، لكن المقصود أن هذه العبارات لا تصلح أن تكون تفسيرًا لـ (لا إله إلا الله).



(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: «أصنامًا بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئًا وهي تُخلق، ولا تملك لأنفسها نفعًا تجرُّه إليها، ولا ضرًّا تدفعه عنها ممن أرادها بضرٍّ، ولا تملك إمامة حيٍّ ولا إحياء ميِّتٍ ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كلِّ شيءٍ وخالق آلهتهم ومالك الضرِّ والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور» [تفسير الطبري ١٧/٣٩٧].



السُّؤَالُ التَّاسِعُ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...».



الجوابُ: «صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»^(١).



أفاد هذا الحديثُ أنَّ الصِّدْقَ شرطٌ من شروط شهادة لا إله إلا الله^(٢)، فَمَنْ قال: (لا إله إلا الله) صادقًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ، أَمَّا مَنْ قالها كاذبًا، أو قالها رياءً كحال المنافقين، فلا يَحْرِمُهُ اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ** عَلَى النَّارِ، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

والتَّفَاقُ نواعان:

النوع الأول: نفاقٌ أكبرُ: هو إظهارُ الإسلامِ وإبطانُ الكفر، وهو مبطلٌ لشهادة لا إله إلا الله، كما يبطلُ الحدثُ الوضوءَ، فلو تَوَضَّأَ الإنسانُ ثُمَّ أَحْدَثَ بَطَلَ وضوؤه ولم تصحَّ صلاته، ولو قال: لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله، ودعا معبودًا من دون الله فقد نقضَ لا إله إلا الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) شروط (لا إله إلا الله) سبعةٌ وهي: العِلْمُ بمعناها - نفيًا وإثباتًا - المُنَافِي للجهل، واليَقِينُ المُنَافِي للشُّكِّ، والقَبُولُ المُنَافِي للردِّ، والانتقيادُ المُنَافِي للتَّركِ، والصِّدْقُ المُنَافِي للكذبِ، والإخلاصُ المُنَافِي للشُّركِ، والمحبةُ المُنَافِيَّةُ للبُغضِ، ولهذه الشروط أدلَّةٌ من الكتاب والسنة مبسطة في موضعها.

النوع الثاني: نفاقُ أصغرُ عمليٍّ: هو عمَلُ شيءٍ من أعمالِ المنافقين مع بقاء الإيمانِ في القلب، وهو غيرُ مُخْرِجٍ من الملة، ومن أمثلته: الكَذِبُ في الحديث، وإخلافُ الوعد، والفجورُ في الخصومة، وخيانةُ الأمانة.

وقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»، التحريمُ على النار في النصوص الشرعية على قسمين (١):

١- تحريمُ أُمْدِيٍّ: هذا في حق عصاة الموحدين، فمن شاء اللهُ تعالى أن يعذِّبه في النار أدخله النارَ ابتداءً، وحرَّم عليه الخلودَ فيها مآلاً.

٢- تحريمُ مُطْلَقٍ: وهذا في حق من حَقَّقَ التوحيدَ، فإنه لا تمسُّه النار، فلا يدخلها ابتداءً ولا مآلاً.

وأما ما جاء في بعض النصوص في ذكر التحريم على الجنة فينقسم إلى قسمين:

١- تحريم مؤقتٍ: أن تُحرَّمَ عليه الجنة إلى أمدٍ معيَّن ثمَّ يدخلها، وهذا يكون في حق الموحدين من أصحاب الكبائر إذا لم يعفُ اللهُ عنهم ابتداءً.

(١) الخلود في النار نوعان:

١- خلودٌ أُمْدِيٌّ: هو الذي تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ **بِرَجُلٍ** به أهل الكبائر.

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

٢- وخلودٌ أُمْدِيٌّ: هو الذي تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ **بِرَجُلٍ** به أهل الكفر والشرك.

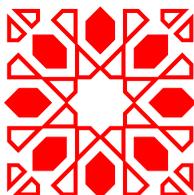
كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (١٤) **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴿ [الأحزاب: ٦٤: ٦٥].

فالخلودُ في لغة العرب: هو المُكث الطويل، وقد يكون مُكثًا طويلاً ثمَّ ينقضي، وقد يكون مُكثًا طويلاً مؤبداً، ولذلك يُمَيِّزُ الخلودُ في القرآن بالآبدية في حق الكفار، وأما في حق عصاة الموحدين فإنه لا يكون معه كلمة (أبداً). [شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ بتصرف

٢- تحريمٌ أبديٌّ: أن يُحرَّم عليه دخول الجنة ويكون من الخالدين في النار، وهذا في حق الكافر والمنافق نفاقاً أكبر.

والخلاصة أن الناس ينقسمون يوم القيامة أقساماً:

- ١- من يدخل الجنة ابتداءً ومالاً، ولا يدخل النار مطلقاً، وهؤلاء هم الذين حقَّقوا التوحيد، وعصاة الموحدين الذين عفا الله عنهم.
- ٢- من تحرَّم عليه الجنة ابتداءً، ويدخلها مالاً، وهؤلاء هم عصاة الموحدين إذا لم يعف الله عنهم.
- ٣- من تحرَّم عليه الجنة ابتداءً ومالاً، ويدخلون النار ويخلدون فيها، وهم الكفار والمنافقون نفاقاً أكبر.



السُّؤَالُ الْعَاشِرُ: مَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ؟

الجواب: الشُّرْكُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

الشُّرْكُ: هُوَ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ بِهِ: **بِرَّجَلٍ** بِهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُلَ لِلنَّهْيِ عَنْهُ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي يُوجِبُ لِلْعَبْدِ دُخُولَ نَارِ جَهَنَّمَ؛ لِذَلِكَ وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ الشُّرْكَ حَتَّى نَتَوَقَّاهُ؛ لِأَنَّ الشُّرْكَ بِاللَّهِ يَحْبِطُ الْعَمَلَ مَهْمَا كَانَ عَظِيمًا وَكَثِيرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ **مِنِي اللَّهُ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُنْ لِي وَاقِفٌ** ﴿٦٥﴾ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾، أي: يا رسول الله، ﴿**وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾، أي: إلى إخوانك من الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. وكذلك لما ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَمَلَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ قَالَ: ﴿**ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالشُّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَهُ**﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَهُ**﴾ [النساء: ١١٦].

وقال **بِرَّجَلٍ**: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال **عمر بن الخطاب**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان ٦٨: ٦٩].

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدِينَ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» قال: فما زال يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» (١).

وقال **صلى الله عليه وسلم**: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ...» (٢).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، أي: ابتعدوا عنها، والموبقات: يعني المهلكات التي تُهلك أصحابها.

«قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: الشِّرْكَ بِاللَّهِ»، فالشِّرْكَ بِاللَّهِ هو أَوَّلُ الموبقاتِ وأَعْظَمُهَا، كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم** حين سألَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ...» (٣)، فجعل النبي **صلى الله عليه وسلم** اتخذ الدِّمَّ مع اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَعْظَمَ الذَّنُوبِ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٦٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٧)، واللفظ للبخاري. قال النووي **رحمته الله**: «وأما قولهم: «لَيْتَهُ سَكَتَ»، فإنما قالوه وتمنوه شفقةً على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وكراهةً لما يزعجه ويغضبه». [شرح مسلم ٨٨/٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٧٦٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٩)، واللفظ للبخاري.

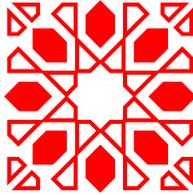
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٤٧٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٦)، واللفظ للبخاري.

فعلی المسلم أن يعرف الشُّركَ صغيره وكبيره وصوره وأنواعه وتفصيلاته حتى لا يقع فيه وهو لا يعلم، لذا قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدركني»^(١).

وفي تقرير هذا المعنى يقول الشاعرُ:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكنَّ لتوقُّيه

ومن لا يعرفُ الشرَّ من الناسِ يقعُ فيه



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٠٦)، و مسلم في صحيحه رقم: (١٨٤٧).



السؤال الحادي عشر: ما الشرك؟

الجواب: هو عبادة إله من دون الله تعالى
أو مع الله تعالى.



لا يكون التوحيد صحيحًا ما لم يقترن معه تجنبُّ الشرك، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فأمرنا سُبْحَانَ تَعَالَى بعبادته، ونهانا عن الشرك.

وكذلك لا يتحقق التوحيد إلا مع البراءة من الشرك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٦٥] (١). وقال **صلى الله عليه وسلم**: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله» (٢).

والشرك نوعان:

١- شرك أكبر: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

مثاله: الذبح لغير الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ومنه السجود لغير الله، وكذا دعاء غير الله تعالى.

(١) قال ابن كثير **رحمته الله**: «قال مُجاهدٌ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، يعني: الإيمان، وقال السُّدِّيُّ: هو الإسلام، وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ: يعني لا إله إلا الله، وعن أنس بن مالك: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ القرآن، وعن سالم بن أبي الجعد قال: هو الحبُّ في الله، والبغضُ في الله»، قال ابن كثير **رحمته الله**: وكُلُّ هذه الأقوال صحيحةٌ ولا تنافي بينها. [تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٤)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣).

٢- شركٌ أصغرُ: هو ما أتى في النصوص أنه شركٌ، ولم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر^(١)، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.

مثاله: الحَلْفُ بغير الله، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢).

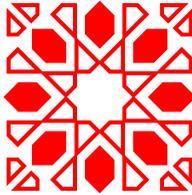
وبين الشرك الأكبر والأصغر فروقٌ منها:

١- أنَّ الشرك الأكبر يخرج من المِلَّة، والشرك الأصغر لا يُخرج من المِلَّة، ولكنَّه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

٢- أنَّ الشرك الأكبر يحبط الأعمالَ كُلَّها، أما الشرك الأصغر فلا يُحْبِطُ العملَ إلا يسير رياءٍ أو سمعة فقد يُحْبِطُ العملَ على تفصيل.

٣- أنَّ الشرك الأكبر يُحِلُّ الدَّمَّ والمالَ، بخلاف الشرك الأصغر، فإنه لا يُحِلُّ دَمَ الإنسانِ وماله؛ لأنه غير منخرج من المِلَّة.

٤- أنَّ الشرك الأكبر يُخَلِّدُ صاحبه في النار، أمَّا الشرك الأصغر فلا يُخَلِّدُ صاحبه في النار.



(١) قال الشيخُ صالح آل الشيخ: «الشُّرْكُ الأصغر: كلُّ ذنب سَمَّاهُ الشارع شركًا ولم يبلغ درجةَ عبادةٍ غير الله ﷻ؛ يعني لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، وهذا قولُ عامةِ أئمةِ الدعوة، وكذلك يُفهمُ من صنيع ابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمُ اللهُ أنهم يذهبون إليه». [الأجوبة والبحوث والمدارس المشتملة عليها الدروس العلمية ١/ ٥٩].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٥٣٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٠٤٢).

السُّؤَالُ الثَّانِي عَشَرَ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللَّهِ...».

الجواب: «فقد كفر أو أشرك»^(١).

الحَلْفُ: هو توكيد الأمرِ بذكرِ مُعْظَمٍ، وأحقُّ مَنْ يُعْظَمُ هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والحَلْفُ يجب أن يكونَ باسمِ من أسماءِ الله تعالى، أو بصفة من صفاته فَحَسْبُ، وقد نُهِينا عن الحلفِ بغيرِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما في قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ **بِمَرْجِلٍ** ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»^(٢)، فهذا نهيٌ صريحٌ عن الحلفِ بغيرِ الله.

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ الله فقد كفر أو أشرك»، اختلف أهل العلم في معنى (أو) في هذا الحديث على قولين:

القول الأول: أَنَّهَا شَكٌّ من بعض الرواة يعني يكون الحديث (من حلف بغيرِ الله فقد كفر)، أو يكون (من حلف بغيرِ الله فقد أشرك) فيكون الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد قال أحدَ اللفظين.

القول الثاني: أَنَّ (أو) بمعنى الواو، فيكون المعنى كفر وأشرك، ونظير ذلك قوله **عِمْرَانُ بْنُ حَنْبَلٍ**: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، أي: أراد أن يذْكَرَ وأراد شكورًا، وأمر الله **عِمْرَانُ بْنُ حَنْبَلٍ** موسى

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٥٣٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦١٠٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦٤٦)، واللفظ له.

وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حين أرسلهما إلى فرعون فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، أي: يتذكر ويخشى.

والحلف بغير الله له حالتان:

١- أن يكون شركاً أكبر: إن اعتقد أن المحلوف به أعظم من الله تعالى أو مساو له في المنزلة والتعظيم.

٢- أن يكون شركاً أصغر: إن جرى على لسانه الحلف بغير الله تعالى دون اعتقاد تعظيم المحلوف به.

ومن أمثله: الحلف بالنبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بالكعبة، أو بالأمانة، أو بالنعمة، أو بحياة فلان، أو برأس فلان، أو بشرفه، فيشمل كل حلف بغير الله جَلَّ وَعَلَا.

وليس معنى كونه شركاً أصغر أنه هين لا بأس به، فالشرك الأصغر ذنبٌ ليس فوقه ذنب إلا الشرك الأكبر، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره، وأنا صادق»^(١)، فالحلف بالله توحيدٌ ولو كان معه كبيرة الكذب، والحلف بغيره شركٌ ولو كان معه حسنة الصدق.

فائدة: كفارة الحلف بغير الله تعالى:

يُشْرَعُ لِمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقُولَ: (لا إله إلا الله) كفارة له؛ لحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إله إلا الله»^(٢).

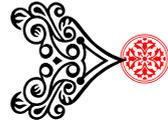


(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (٨٩٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٩٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٨٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦٤٧)، واللفظ للبخاري.



**السؤال الثالث عشر: هل يعلم أحد الغيب
سوى الله عز وجل؟ وما الدليل؟**



الجواب: لا يعلم الغيب إلا الله، والدليل قوله:
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [النمل: ٦٥].



يجبُ على كُلِّ مسلم أن يعتقدَ اعتقادًا جازمًا أن علمَ الغيبِ ممَّا اختصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى به، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [النمل: ٦٥]، فالآية فيها حَصْرُ عِلْمِ الغيبِ على اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومجيءُ حرفِ الاستثناء (إلا) بعد (لا) النَّافية أسلوب من أساليب القصر: وهو إثباتُ الحُكْمِ للمذكور، ونفيه عمَّا عداه.

والغيبُ: هو كُلُّ ما غاب عن الإنسان، وهو نوعان:

١- غيبٌ نسبيٌّ: هو الذي يعلمه بعض الخلق دون بعض، فمن حضر مجلسًا فإنه يعلم ما يحدث فيه، ومن غاب فلا يعلم.

٢- غيبٌ مُطلقٌ: وهو ما غاب عن الخلق جميعًا، ولا يعلمه إلا اللهُ، كالذي سيحدث في المستقبل، مثلًا: فلا يعلم من سيدخل الجنة، ومن سيدخل النار إلا اللهُ.

فالغيبُ المطلقُ ممَّا اختصَّ اللهُ تعالى بعلمه، فلا يعلمه ملكٌ مقربٌ، كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]، ولا نبيٌّ

مُرسلٌ، كما أمر اللهُ نبيه محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقد يُظهِرُ اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ** شيئاً مِنَ الْغَيْبِ لِبَعْضِ رُسُلِهِ، كما قال تعالى: ﴿**عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ (٦١) **إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولِي** ﴿﴾ [الجن: ٢٦: ٢٧]، فيخبرُ بعضَ رُسُلِهِ **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** عن شيءٍ من أمور الغيب ممَّا سيقعُ في المستقبل، كما قال تعالى: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ (٢) **فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴿﴾ (٢) **فِي بَضْعِ سِينِينَ** ﴿﴾ [الروم: ٢: ٤].

ومن الأدلَّةِ أيضًا على إخبار الله تعالى لنبِيِّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بشيءٍ من الغيب حديثُ سهل بن سعد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** التقى هو والمشركون، فاقْتَتَلُوا، فلَمَّا مال رسولُ الله إلى عسكرِهِ، ومال الآخرون إلى عسكرِهِم، وفي أصحابِ رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رجلٌ لا يدعُ لهم شاذَّةً ولا فاذَّةً إلا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فقال: ما أجزأنا اليومَ أحدٌ كما أجزأ فلانٌ، فقال رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أما إنَّه من أهلِ النَّارِ»، فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبُهُ، قال: فخرج معه، كلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ معه، وإذا أسرعَ أسرعَ معه، قال: فَجَرِحَ الرجلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فاستعجلَ الموتَ، فوَضَعَ نَصْلَ سيفِهِ بالأرضِ، ودَبَّابَهُ بين ثدييه، ثم تحامل على سيفِهِ، فقتَلَ نفسه...» (١).

ومدعي علم الغيب كافرٌ؛ لأنه مكذَّبٌ لله تعالى، ولرسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٨٩٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٢)، واللفظ للبخاري. وقوله: (لا يدعُ لهم شاذَّةً إلا اتَّبَعَهَا)، الشَّاذُّ والشَّاذَّةُ: الخارج والخارجة عن الجماعة،... قال ابنُ الأعرابي يقال: فلانٌ لا يدعُ شاذَّةً ولا فاذَّةً إذا كان شجاعًا لا يلقاه أحدٌ إلا قتلَهُ، وهذا الرجل اسمه قرمان قاله الخطيب البغدادي، قال: وكان من المنافقين.

قوله: (ووضع دباب سيف بين ثدييه)، هو بضم الذال وتخفيف الباء الموحدة المكررة وهو طَرَفُهُ الأسفل، وأما طَرَفُهُ الأعلى فمقبضه. [شرح النووي على مسلم ٢/ ١٢٣].



السؤال الرابع عشر: متى تكون الأعمال مقبولة



عند الله عز وجل؟



الجواب: إذا كانت خالصة لله سبحانه وتعالى،



وموافقة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يُشْتَرَطُ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ أَرْبَعَةٌ شُرُوطٌ^(١):

* **الشَّرْطُ الْأَوَّلُ:** الإسلامُ: فالكافر عمله مردودٌ، والدليل قوله تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

* **الشَّرْطُ الثَّانِي:** الإخلاصُ لله تعالى؛ وهو أن تكون نية العامل وقصدُه

ابتغاء وجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾

[البينة: ٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلِلَّهِ الدِّينَ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، فمنطوق الآية أن العمل

الخالص مقبول عند الله، والمفهوم منها أن ما لم يكن خالصًا فهو مردودٌ على

صاحبه، فإخلاص الدين لله عز وجل شرط لقبول العمل، ومن لم يُخْلِصِ العملَ

لله تعالى فلن يقبل الله منه، ولو كانت أعماله كالجبال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَإِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(١) العمل لا يكون صالحًا إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون العامل مخلصًا في عمله لله.

الثاني: أن يكون مطابقًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فكلُّ عملٍ مخالفٍ لما جاء به فليس بصالح، بل هو باطلٌ.

الثالث: أن يكون العمل مبنياً على أساس الإيمان والعقيدة الصحيحة. [أضواء البيان للشقيطي ٣/ ١٩٦].

وجاء في الحديث القدسي أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «أَنَا أَغْنِي الشَّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْتَهُ»^(١).

وفي رواية: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢).

فينبغي للمسلم أَنْ يَحْرَصَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَنْ يَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النَّفَاقِ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيْمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»^(٣).

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مَنَافِقٌ»^(٤)، يَعْنِي النَّفَاقَ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «تَاللهِ لَقَدْ قَطَعَ خَوْفُ النَّفَاقِ قُلُوبَ السَّابِقِينَ الْأَوْلِينَ، لَعَلِمَهُمْ بَدْقُهُ وَجِلَّةُ وَتَفَاصِيلُهُ وَجَمَلُهُ، سَاءَتْ ظُنُونُهُمْ بِنَفْسِهِمْ حَتَّى خَشُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ الْمَنَافِقِينَ»^(٥).

*** الشَّرْطُ الثَّلَاثُ:** موافقةُ العملِ لِسُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سِتَّةِ أُمُورٍ: الكَمِّ، وَالْكِيفِ، وَالزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالسَّبَبِ، وَالْجِنْسِ.

الأول: الكَمُّ، أَي: العَدَدُ، فَمَثَلًا: المَشْرُوعُ أَنْ يَصَلِيَ الْإِنْسَانُ الظَّهَرَ أَرْبَعًا،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٢٩٨٥).

(٢) أَخْرَجَهَا ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ رَقْمًا: (٤٢٠٢)، وَصَحَّحَهَا الْأَبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ رَقْمًا: (٣٤).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مَعْلَقًا فِي بَابِ: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَوَصَلَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي تَغْلِيْقِ التَّعْلِيْقِ [٢/ ٥١].

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مَعْلَقًا فِي بَابِ: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

(٥) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٣٦٤).

فلو صَلَّى الإنسانُ الظهرَ خمسًا متعمدًا فَإِنَّ صَلَاتَهُ لَا تَصِحُّ بِالاتِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ الْقَدْرَ الْمَشْرُوعَ.

الثاني: الكيفية، أي: صفة العبادة، فلو أَنَّ رجلاً تَوَضَّأَ فَبَدَأَ بِغَسْلِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَجْهَهُ، فَوَضُوؤُهُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ الشَّرْعَ فِي الكيفية.

الثالث: الزمان، فالصلاة تُشْرَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَحْدُودَةٍ (الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، أي فرضت في أوقات محددة، فلا تصحُّ إلا في وقتها.

الرابع: المكان، فمثلاً: المشروع للمسلم أن يطوف ببيت الله الحرام (الكعبة)، فلو طاف بغيرها فطوافه غير صحيح؛ لأنه خالف المكان الذي شُرِعَتْ فيه هذه العبادة.

الخامس: السبب، فمثلاً: المشروع عند اشتداد الريح الدعاء كما كان **صلى الله عليه وسلم** إذا عصفت الريح، يقول: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»^(١)، فلو تعبد الإنسانُ ربَّه بعبادة مقرونة بسبب لم يجعله الشرع سبباً فهي بدعة مردودة، كالصلاة عند اشتداد الريح، فالصلاة عبادة مشروعة، لكن لما قرنت بهذا السبب صارت بدعة.

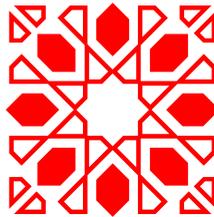
السادس: الجنس: أي جنس المتعبد به، فلا بد أن تكون العبادة موافقةً للشرع في جنسها، كالأضحية تكون من بهيمة الأنعام، وهي: الإبل، والبقر،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٩٩).

والغنم، فلو ضحى رجل بفرسٍ فلا تصحُّ أضحيتُه؛ لأنَّه خالف الشريعةَ في جنس المتعبَّد به.

*** الشرط الرابع: صحة الاعتقاد^(١):**

فالذي يعتقدُ جوازَ صرفِ العبادة لغير الله أو يقول: القرآنُ مخلوقٌ، أو ليس كلامَ الله، أو مشكوكٌ فيه، أو اعتقدَ كُفْرَ جميعِ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أو غيرَ ذلك من العقائدِ الباطلةِ المشهورةِ فلا تُقبَلُ أعمالُه.



(١) وهذا الشرط له صورٌ منها: أنَّ الرجلَ قد يكونُ قبوريًّا وثنيًّا، ولكنه قد يأتي بالصلاةِ والعبادةِ على وجهها الصحيح، ولكنه فاسد الاعتقاد. [أبرز الفوائد من الأربع القواعد للشيخ زيد المدخلي ص: ٢٧].



السُّؤال الخامس عشر: ما السُّورة التي تَعَدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ؟ وَاقْرَأْهَا.



الجواب: سورة الكافرون، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١)



لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ (١).

هذه سُورةٌ عظيمةٌ؛ لاشتمالها على إخلاصِ الدينِ لله تعالى، والبراءةِ من الشرك، وهي متضمنةٌ للتوحيدِ العمليِّ (توحيدُ الألوهية)، وقد جاء في فضلها أنّها تَعَدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، والدليل قولُه صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عَدِلَتْ لَهُ بِرُبْعِ الْقُرْآنِ...» (٢)، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها في مواطنَ عدّة، ومنها:

١- في سُنةِ الفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» (٣).

٢- في سُنةِ المغرب، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنّه قال: «ما أحصي ما سمعتُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل صلاةِ الفجر بـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» (٤).

(١) للمؤلف حفظه الله رسالةٌ نافلةٌ مطبوعة بعنوان: (قل يا أيها الكافرون) ذكر فيها جملةً من الفوائد في هذه السورة.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٤٦٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٣١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (٨٥١).

٣- بعد الطواف بالكعبة خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكروه إلا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١).

٤- في صلاة الوتر، فعن عبد العزيز بن جريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألتنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بأي شيء كان يوتر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: «كان يقرأ في الأولى: بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية بـ ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين» (٢).

٥- عند الإيواء إلى الفراش، فعن فروة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك» (٣).

٦- في الرقية الشرعية، فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لدغت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقرباً وهو يصلي فلما فرغ قال: «لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره» ثم دعا بماء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٢١٨).

قوله: «ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ» أي بلغه ووصل إليه، وقوله: «فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكروه إلا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، معنى هذا الكلام أن جعفر بن محمد الباقر روى هذا الحديث عن أبيه عن جابر، ثم قال: كان أبي يعني محمداً يقول: إنه قرأ هاتين السورتين، قال جعفر: ولا أعلم أبي ذكر تلك القراءة عن قراءة جابر بل عن جابر عن قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٧٦/٨].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٦٣)، وصححه الألباني في سنن أبي داود رقم: (١٤٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم:

وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، أمر من الله لنبِيِّهِ ﷺ ولكل من
يصحُّ توجيهُ الخطاب له بإعلان البراءة من كلِّ كافرٍ وعبادته، وهذا دليلٌ على أن
الواجب أن نعلن للكفار أنهم كفارٌ، وأن نتبرأ من دينهم، ولكن ليس بالضرورة
أن يُقال في وجه الكافر: يا كافر، لما في ذلك من تنفيره من قبول الدعوة ودخول
الإسلام^(٢).

وقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (ما) موصولةٌ وتفيد العموم، يعني: لا أعبد
الذي تعبدونه من المعبودات الباطلة.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله تعالى، ولما عبدوا غيره صحَّ أن يُقال:
إنهم ما عبدوه؛ لأن الله تعالى لا يقبلُ الشرك، ولا يرضى إلا بالتوحيد.

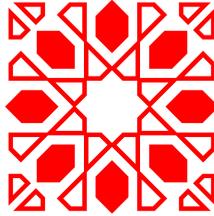
﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾^(٤) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أي: لن أقبل ولن أرضى غير
عبادتي وهي (الإخلاص)، ولن أقبل عبادتكم وهي (الشرك)، وأنتم كذلك لن
تقبلوا ولن ترضوا عبادتي.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، أي: لكم دينكم الذي أنتم عليه وتدينون به، ولي ديني
الذي أدينُ الله تعالى به، وأنا بريء من دينكم، وأنتم بريئون من ديني.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير رقم: (٨٣٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة
رقم: (٥٤٨).

(٢) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «عند الدعوة ما يقال له: أنت كافرٌ، أما عند بيان
الأحكام أن هذا مسلمٌ وهذا كافرٌ، فيقال: هذا كافرٌ، وهذا مسلمٌ». شرح رسالة الدلائل في
حكم موالاته أهل الإشراك (ص ٢١٤).

قال الشيخُ صالحُ الفوزان حفظه الله: «هذا معناه البراءة من دينهم، وليس كما يظنُّ بعضُ الناس أن معناه الموافقة لهم على دينهم، وأنَّ كلاً له دينه، وكلاً حرٌّ في عقيدته؛ كما يدندنون الآن، فلو كان الإنسانُ حرّاً في عقيدته لما أرسل اللهُ الرسلَ، ولا أنزلَ الكتبَ، ولا شرعَ الجهادَ، فالعقيدة لا بد أن تكون واحدةً وهي: عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فمن كفر وأراد نشرَ الكفرِ والقضاءَ على الإسلام فإنه يُقاتل» (١).



(١) شرح رسالة الدلائل في حكم موالاتة أهل الإشرارك (ص ١٩).



السُّؤَالُ السَّادِسُ عَشَرَ: مَنْ نَبِيِّكَ؟



الجواب: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



السُّؤَالُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَحَدُ أَسْئَلَةِ الْقَبْرِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِنْسَانُ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ... فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

وَلَنْ يُؤَفَّقَ الْإِنْسَانُ لِلْجَوَابِ عَنِ هَذَا السُّؤَالِ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَمَسِّكًا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِقَادًا، وَقَوْلًا، وَعَمَلًا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِنَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٢)، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهُ عَبْدٌ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكذَّبُ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٣).

وَالنَّبِيُّ: هُوَ مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ وَلَمْ يُؤَمَّرْ بِالتَّبْلِيغِ، أَمَّا الرَّسُولُ: فَهُوَ مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ، وَأُمِّرَ بِالتَّبْلِيغِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ^(٤).

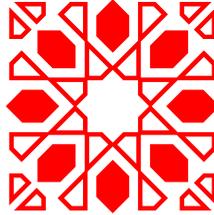
(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ رَقْمًا: (١٨٥٣٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمًا: (١٦٧٦).

(٢) وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٥)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٤٤)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ رَقْمًا: (٤٢٥٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمًا: (٧٤١٨).

(٤) وَمِنَ الْأَقْوَالِ فِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ قَوْلُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالنَّبِيُّ هُوَ الَّذِي يَنْبِئُهُ اللَّهُ، وَهُوَ يُنَبِّئُ بِمَا أَنْبَأَ اللَّهُ بِهِ؛ فَإِنْ أُرْسِلَ مَعَ ذَلِكَ إِلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ لِيَبْلُغَهُ رِسَالَةً مِنْ =

والتُّبُوَّةُ أَعْمُ مِنَ الرَّسَالَةِ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَلَمْ يَقُلْ: «وختام المرسلين»؛ لِأَنَّ نَفِي التُّبُوَّةِ أَعْمُ مِنَ نَفِي الرَّسَالَةِ. وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الرَّسَالَةَ وَالتُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ»^(١).



= اللهُ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ رَسُولٌ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُرْسَلْ هُوَ إِلَى أَحَدٍ يَبْلُغُهُ عَنِ اللَّهِ رِسَالَةً؛ فَهُوَ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ بِرَسُولٍ». [النبوات لابن تيمية ٢/ ٧١٤].

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ رَقْمًا: (١٣٨٢٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمًا: (١٦٣١).



السؤال السابع عشر: ما معنى (محمّد رسول الله)؟ وماذا يجب علينا نحوه؟



الجواب: أي: أرسله الله تعالى للناس كافةً بشيراً ونذيراً، ويجب علينا: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.



أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ **بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [البقرة: ١١٩]، بشيراً لمن أطاعه بالجنة، ونذيراً لمن عصاه من النار.

والشهادة لمحمّد صلى الله عليه وسلم بالرسالة تقتضي أربعة أمور:

١- طاعته فيما أمر: فالطاعة هي الانقياد والتسليم لأمره صلى الله عليه وسلم؛ لأن طاعته طاعة لله تعالى، قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب علينا العمل به، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

٢- تصديقه فيما أخبر: يجب علينا أن نصدّق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبرنا عنه من الأمور الماضية والمستقبلية، وذلك أن الإيمان يرجع إلى أصليين.

قال ابن القيم رحمه الله: «الإيمان يرجع إلى أصليين: الأول: طاعة الرسول فيما أمر، والثاني: تصديقه بما أخبر»^(١).

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٨٣٦). ومما يدل على شدة تصديق الصحابة رضي الله عنهم للرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه: «إني لأرجو إن طالت بي حياة أن أدرك عيسى ابن مريم، فإن عجل بي موت، فمن أدركه فليقرئه مني السلام» أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٧٩٧١)، وإسناده صحيح.

٣- اجتناب ما نهى عنه وزجر: قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فكل ما نهى عنه النبي ﷺ يجب اجتنابه والبعد عنه، قال ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم...»^(١).

٤- وأن لا يُعبَدَ اللهُ إلا بما شرع: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فمن شروط قبول العبادة أن يكون المسلم فيها مُتَّبِعًا للنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكَلَّمَا كان الرجل أتبع لمحمَّد ﷺ كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين، وإذا بَعَدَ عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كَثُرَ بَعْدُهُ عنه ظهر فيه من الشُّرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى أتباع الرسول»^(٢).

فَمَنْ عَبَدَ اللهُ بغير ما جاء به النبي ﷺ فعمله مردودٌ، لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»^(٣)، وهذا يُبَيِّنُ خطر الابتداع في الدين، فالبدعة قرينة الشُّرك، وهي أشدُّ خطراً من المعصية؛ لأنَّها معصيةٌ وزيادة، وفيها لبسُ الحقِّ بالباطل.

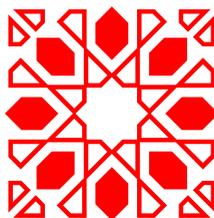
قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، والمعصية يُتابُّ منها، والبدعة لا يُتابُّ منها»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٢٨٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٣٣٧)، واللفظ له.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٧١٨).

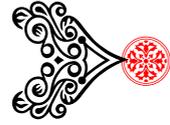
(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٤٩).



= قال شيخ الإسلام **رحمته الله**: «ومعنى قولهم: إن البدعة لا يُتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فراه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب، ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مَنْ هَدَى مِنَ الْكُفْرَانِ والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].
مجموع الفتاوى (٩ / ١٠).



**السُّؤَالُ الثَّامِنُ عَشَرَ: مَا اسْمُ نَبِيِّنَا؟
وَاسْمُ أَبِيهِ؟ وَاسْمُ جَدِّهِ؟**



الجواب: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم (١).



الواجبُ على المسلم أن يعرف اسمَ النبيِّ (محمد)، فيشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ولا يضره إنَّ جهَلَ اسمَ والدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم واسمَ جدِّه.

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم باسمِهِ مُحَمَّدٍ في أربعة مواضع من كتابه:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

الثَّاني: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾

[محمد: ٢].

الرابع: قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) اسم النبيِّ صلى الله عليه وسلم هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ

ابنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خَزِيمَةَ

ابنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِيَّاسِ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِ بنِ عَدْنَانَ. [صحيح البخاري ٥ / ٤٤].

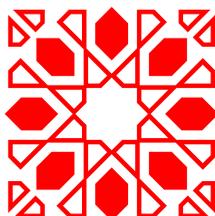
قال ابنُ كثيرٍ رحمتهُ اللهُ: «وهذا النَّسَبُ الذي سقناه إلى عدنان لا مريَّةَ فيه ولا نزاع، وهو ثابتٌ

بالتواتر والإجماع». [الفصول في السيرة ص: ٨٧].

ومن الأسماء الثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن أيضًا (أحمد)، قال تعالى:
﴿وَمُبَشِّرٍ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم الماحي والحاشر والعاقب والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:
«أنا محمدٌ، وأنا أحمدٌ، وأنا الماحي، الذي يمحو بي الكفرُ، وأنا الحاشر الذي
يُحشرُ النَّاسَ على عَقْبِي، وأنا العاقبُ» والعاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ ^(١).

فائدة: قال ابن القيم رحمته الله: «وأما ما يذكره العوامُّ أنَّ ﴿يَس﴾ و﴿طه﴾ من
أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فغير صحيح، ليس ذلك في حديثٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ولا
مُرسلٍ ولا أثرٍ عن صاحبٍ، وإنما هذه الحروف مثل: ﴿آل﴾ و﴿حم﴾ و﴿الر﴾
ونحوها» ^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٥٣٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٥٤)، واللفظ له.
قوله: (يُحشرُ النَّاسَ على عَقْبِي)، أي: بعدي، يعني: أنه الذي يُحشرُ الخَلْقَ يومَ القيامةِ على أثره، فليس
بينه وبين القيامةِ نبيٌّ آخر، ولا أمةٌ أخرى، ولا شريعةٌ تَنسخُ شريعتهُ، كما نسخت شريعتهُ سائرُ
الشرائع. [الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٢٣/٢٢٢].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ١٢٧).

السؤال التاسع عشر: من يجب أن نُحِبَّ أكثر من جميع الناس؟ وما الدليل؟

الجواب: رسول الله ﷺ، والدليل قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»^(١).

يجب على كل مسلم أن يحب النبي ﷺ أكثر من محبته للناس أجمعين. قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لآنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لآنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»^(٢).

ومن علامات محبة رسول الله ﷺ امتثال أمره، واجتناب نهيه، ودراسة سيرته، وكثرة الصلاة والسلام عليه، ومحبة أصحابه رضي الله عنهم، والذب عن أزواجه رضي الله عنهن.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٤)، واللفظ للبخاري.

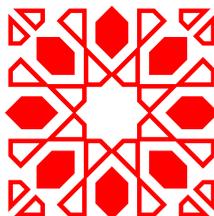
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٦٣٢).

قال ابن حجر رضي الله عنه: «فجواب عمر رضي الله عنه أولاً كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرّف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: «الآن يا عمر»، أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب». [فتح الباري ١١/٥٢٨].

ومحبة النبي **صلى الله عليه وسلم** لا تعني الغلو فيه، وإعطاءه شيئاً من خصائص الله تعالى، فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله، ورسوله»^(١).

أي: لا تغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى **عليه السلام** فادعوا فيه الألوهية، فالحديث نهى عن الغلو في مدح النبي **صلى الله عليه وسلم**.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن **رحمه الله**: «فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فعظموه بما نهاهم عنه وحذَّروهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطول عدُّه، وصنَّفوا فيه مصنِّفات»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٤٥).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥٤).



السُّؤَالُ الْعَشْرُونَ: متى وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ؟ وفي أيِّ بَلَدٍ؟



الجواب: في عامِ الْفَيْلِ، بِمَكَّةَ.



وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ في مَكَّةَ في يومِ الْاِثْنَيْنِ من عامِ الْفَيْلِ، ونشأَ يَتِيمًا، فقد مات والده عبد الله، والنَّبِيُّ ﷺ حَمَلٌ في بطنِ أُمِّهِ ^(١) - وهذا أعلى أنواعِ الْيَتِيمِ - ثُمَّ تُوْفِيَتْ أُمُّهُ أَمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وله من الْعَمْرِ سِتُّ سنين، فكفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ تُوْفِيَتْ، وللنَّبِيِّ ﷺ ثمانين سنين، فكفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وناصِرَهُ ودافع عنه، وكفَّ أذى قومهِ بعد أن بعثه اللهُ نَبِيًّا، ثُمَّ تُوْفِيَتْ أَبُو طَالِبٍ قبل الْهَجْرَةِ بقليل.

فائدة: كان النَّبِيُّ ﷺ يصومُ يومِ الْاِثْنَيْنِ، ولَمَّا سُئِلَ عن ذلك قال: «فيه وُلِدْتُ، وفيه أنزل عليَّ» ^(٢)، فصيام يومِ الْاِثْنَيْنِ مشروع؛ لأنَّ الْأَعْمَالَ تُرْفَعُ فيه إلى اللهِ، والدليل قوله ﷺ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يومِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» ^(٣).

أَمَّا الْاِحْتِفَالُ بيومِ مَوْلِدِهِ ﷺ فَأَمْرٌ مَحْدَثٌ غيرُ مشروعٍ:

١- لأنَّ مَوْلِدَ النَّبِيِّ ﷺ غيرُ معلومٍ، حتى إنَّ الْعُلَمَاءَ اختلفوا في تحديد يومِ مَوْلِدِهِ على أقوالٍ كثيرةٍ، فلو كان الْاِحْتِفَالُ مشروعًا لحفظ اللهُ تعالى لنا ذلك

(١) قال ابنُ الْقَيْمِ رحمته الله: «واختلَفَ في وفاةِ أبيهِ عبد الله، هل تُوْفِيَتْ ورسول الله ﷺ حملًا، أو تُوْفِيَتْ بعد ولادته؟ على قولين: أصحهما: أنه تُوْفِيَتْ ورسول الله ﷺ حملًا». [زاد المعاد ١ / ٧٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١١٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٧٤٧)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٩٤٩).

اليوم كما حفظ الأيام التي تُشرع فيها العبادات كيوم عرفة ويوم النحر.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر به ولم يفعله، ولم يفعله أحدٌ من أصحابه الكرام رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وأوّل مَنْ أحدث الاحتفال بالمولد هم العبيديّون في سنة ٣٦٢ هـ (١).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ» (٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقّص للرسول صلى الله عليه وسلم، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنّها خيرٌ من السنّة وأولى بالصواب، ويزعم أنّها هي السنّة إن كان جاهلاً مقلّداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاقٌّ لله ورسوله» (٣).



(١) نسبة إلى المهدي عبيد الله، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وهم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فهم شرٌّ من اليهود والنصارى». [الرّد على البكري بتصرف ص ٣٢٤]، وقال رحمته الله: «العبيديون الذين كانوا يدعون أنهم من ولد عليّ، وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل، وأن جدّهم يهودي في الباطن وفي الظاهر». [منهاج السنة بتصرف ١١/٨].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله: «هم الذين يسميهم كثيرٌ من المؤرخين الفاطميين، ويسمون دولتهم العبيدية الدولة الفاطمية، ونسبتهم إلى فاطمة رضي الله عنها أو إلى عليّ رضي الله عنه نسبة مرفوضة؛ إذ إنّ المحققين من المؤرخين علّطوا هذه النسبة». [شرح كشف الشبهات ص: ٣٤١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

(٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/ ١٠٤).



السُّؤال الحادي والعشرون: كم كان عُمرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أرسله اللهُ عَزَّوَجَلَّ؟



الجواب: أربعون سنةً.



بدأ الوحي من الله تعالى للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما بلغ الأربعين من العمر.

قال أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بعثه اللهُ على رأس أربعين سنة»^(١).

ومن آياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدالة على نبوته أنه لبثَ قبل البعثة أربعين عامًا لم يُعهد عليه كذبٌ، ولا خيانةٌ، بل ما عُرِفَ إلا بالصدق والأمانة وحُسن الخُلُق، ولما قال هرقلُ ملك الروم لأبي سفيان - وكان يومئذٍ مشركًا ومعاديًا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، قال: فقد أعرِفُ أنه لم يكن ليذَرَ الكذبَ على الناس، ويكذِبَ على الله»^(٢).

وقالت خديجةُ بنتُ خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فوالله لا يُخزيك اللهُ أبدًا، والله إنك لتصلُ الرَّحِمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتكسِبُ المعدومَ، وتُقري الضيفَ، وتعينُ على نوائبِ الحق»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٥٤٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٤٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٧٧٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٥٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦٠)، واللفظ له، قال

النووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأما الكَلُّ فهو بفتح الكاف، وأصله الثقل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾

[النحل: ٧٦]، ويدخل في حمل الكَلِّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغيرها». [شرح

النووي على مسلم (٢/٢٠١)].

فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحِوْطُهُ مِنْ أَفْذَارِ
الْجَاهِلِيَّةِ، لَمَّا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كِرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مَرُوءَةً،
وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ
حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدَسُّ الرِّجَالَ،
حَتَّى كَانَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالْأَمِينِ، لَمَّا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ (١).



(١) سيرة ابن هشام (١/١٦٧).

السُّؤَالُ الثَّانِي وَالْعَشْرُونَ: كَمْ سَنَةً عَاشَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبُوءَةِ وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ؟

الجواب: ثلاث عشرة سنة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ»^(١).

دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة إلى توحيد الله تعالى وتقرير ذلك في النفوس، والإيمان بالبعث؛ لأن كفار قريش كانوا يُنكرون ذلك، ولأن الشرائع لم تُفرض بعد، ولذلك من خصائص السُّورِ المَكِّيَّةِ^(٢) الدعوة إلى أصول الإيمان وأركانه.

وقد دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام، فكان أوَّلَ من آمن به زوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا^(٣)، ثم أسلم علي بن أبي طالب ابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أوَّلَ من أسلم من الصَّيِّيان، وكان ابنَ عشر سنين.

وبعد إسلام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أسلم زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أوَّلَ مَنْ أسلم من الموالى^(٤)، وهو والد أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٩٠٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٥١)، واللفظ للبخاري.

(٢) المكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم يسفر من الأسفار [الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٣٧].

(٣) قال ابن الأثير: «خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة». [أسد الغابة ٦/٧٨].

(٤) كلمة المولى لها معان كثيرة، والمقصود بها هنا: المملوك الذي أعتق. [انظر النهاية لابن الأثير

وبعده أسلم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أول من أسلم من الرجال الأحرار.

فائدة: من الخطأ أن يُقال: «عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه»، والصَّواب أن يقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهي أبلغ وأولى؛ لأنَّ الله تعالى اختار ذلك عند ذكر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كتابه.

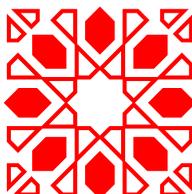
قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النُّسَخ للكتب، أن

يُفْرَدَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأن يُقال: عليه السَّلام، من دون سائر الصَّحابة، أو: كَرَّمَ اللهُ

وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يُساوى بين الصحابة في

ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن

عفان أولى بذلك منه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»^(١).



(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٧٨).



السُّؤال الثالثُ والعشرون: إلى أين هاجر

النبي ﷺ؟



الجواب: إلى المدينة النبوية.



الهجرة: الانتقالُ من بلدِ الكفرِ إلى بلدِ الإسلامِ، وقد هاجر النبي ﷺ من مكةَ إلى المدينة، واختار لصحبته في الهجرة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، واستأجر عبدالله بن أريقطٍ - وكان مشركاً - ليدلَّهما الطريق، وكان ماهراً في الطُّرُق عارفاً بها، وواعده غارَ ثور بعد ثلاثِ ليالٍ، ولمَّا وصلا غارَ ثور، كان المشركون يبحثون عن النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه حتى وصلوا إلى الغار، قال أبو بكر رضي الله عنه: «نظرتُ إلى أقدامِ المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلتُ: يا رسولَ الله لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكرٍ ما ظنُّك باثنينِ اللهُ ثالثُهُما؟»^(١)، وفي هذا أنزل اللهُ تعالى ﴿ثَافِكًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وممَّن كان له دورٌ في هجرة النبي ﷺ:

١- عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما: كان يجمع الأخبار وما يقوله النَّاسُ في النَّهار، ثم يأتي ليلاً إلى غار ثور فيخبرهما.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٩٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨١)، واللفظ له.

قوله ﷺ: (اللهُ ثالثُهُما)، أي: معاونهما وناصرهما وإلا فهو مع كل اثنين بعلمه. [انظر فتح

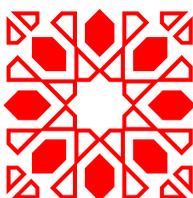
الباري للحافظ ابن حجر ٢٥٩/٧].

٢- عامرُ بنُ فهيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان يُطْعِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر، ويزيل آثارَ أقدام عبد الله بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

٣- أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كانت تأتيهما بالطعام ليلاً.

فائدة: قال الشيخ الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «واعلم أنه لا يصحُّ حديثٌ في عنكبوت الغار والحمامتين على كثرة ما يُذكر ذلك في بعض الكتب والمحاضرات التي تُلقى بمناسبة هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يحترم كثيرٌ من الناس العنكبوت، يقول: لا تقتلها؛ لأنها نسجت على الغار الذي دخله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو غار ثور، فإذا كان الوزغ يُقتل؛ لأنه كان ينفخ في النار على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، فنقول: العنكبوت تُقتل إذا أذت مثل غيرها»^(٢).



(١) السلسلة الضعيفة (٣/٣٣٩).

(٢) لقاءات الباب المفتوح (١٠/٣٢٢) بتصرف يسير.



السؤال الرابع والعشرون: كم سنة عاش النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة؟



الجواب: عشر سنوات.



مرَّ الرسول ﷺ بأحوال في دعوته إلى الله تعالى:

١- الصَّبر، وكان في بداية الدعوة إلى الله في مكة، فصبر على أذى المشركين له ولأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢- الهجرة، لَمَّا اشتدَّ عليه أذى قومه، وقُتِلَ من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من قُتِلَ، وعُذِّبَ من عُذِّبَ، هاجر إلى المدينة النبوية.

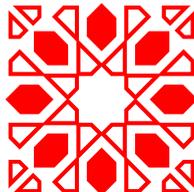
٣- الجهاد، بعدما قويت دولة المسلمين، وصارت لها شوكةٌ جاهدَ النبي ﷺ أعداءَ الإسلام.

٤- الصُّلح، لَمَّا كانت المصلحةُ تقتضي الصُّلحَ صالحَ النبي ﷺ الكُفَّارَ في صلح الحديبية^(١)، ثمَّ لَمَّا نقضوا العهدَ قاتلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) كان في السنة السادسة من الهجرة، وقد سماه الله تعالى فتحاً مبيناً، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما نزلت ﴿وَإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴿٢﴾ [الفتح: ٢٠١]، إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]، مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكأبة، وقد نُحِرَ الهدى بالحديبية، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد أنزلت عليَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً» أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٧٨٦)، وللبخاري في صحيحه رقم: (٤٨٣٣) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿وَإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].
قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح». [فتح الباري ٨/ ٥٨٣].

٥- أخذ الجزية^(١)، وكان هذا في حال قُوَّة الإسلام وظهوره.

وهذه الأحوال تدل على أنَّ للحاكم المسلم أن يفعل ما تقتضيه المصلحة. ولَمَّا هاجر النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى المدينة أقام دولته على توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكَمَلت الأحكام وجاءت الشرائع، فالقرآن المدني فيه الحديث عن الحدود، والفرائض، وأحكام الجهاد، ومعاملة اليهود، ولم ينقطع **صلى الله عليه وسلم** عن الدعوة إلى توحيد الله، فهي أوَّل ما بدأ به دعوته، وهي آخر ما ختم به **صلى الله عليه وسلم** حياته، فصَحَّ أَنَّهُ قال **صلى الله عليه وسلم** في مرض موته: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢).



(١) ما لَّ يؤخذ من أهل الكتاب كلَّ عام مقابل إقامتهم بديار المسلمين، وحفظ حقوقهم، وحمايتهم ممَّن يعتدي عليهم، ويلحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية المجوس.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٧٣٥٨)، وقال الشيخ الألباني **رحمته الله**: «الحديث صحيح لا شك فيه».

[أحكام الجنائز (ص: ٢١٧)].



السُّؤال الخامس والعشرون: مَنْ هُنَّ أمهاتُ

المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ؟



الجواب: زوجاتُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



الدليلُ على كون زوجاتِ (١) النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات المؤمنين قوله تعالى:

﴿التِّي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال ابنُ كثير رَضِيَ اللهُ فِي تفسِيرِ قوله تعالى: ﴿التِّي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، «أي: في الرحمة، والاحترام، والتوقير، والإعظام، ولكن لا

تجوز الخلوَّة بهنَّ، ولا يتشرُّ التحريمُ إلى بناتهنَّ، وأخواتهنَّ بالإجماع» (٢).

لذلك لَمَّا قيل لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إِنَّ رجلاً قال: «إِنَّكَ لستِ له بأمِّ»، فقالت:

صدق أنا أمُّ المؤمنين، ولستُ بأمِّ المنافقين» (٣)، وهنَّ أمهات المؤمنين، أي: في

وجوب التعظيم، وعدم الزواج بهنَّ حتى بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) الألفصح في اللغة أن يقال: زوجٌ، ويصح أن يقال: زوجة، إلَّا في باب المواريث فلا يقال عن الزوجة

زوج؛ لأنَّ نصيب الزوج مختلف عن نصيب الزوجة. [قاله المؤلف حفظه الله].

* يؤخذ من الآية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبٌ للمؤمنين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فإن نساءه إنما كنَّ

أمهات المؤمنين تبعًا له، فلولا أنه كالأب لم يكن نساءه كالأمهات». [منهاج السنة (٥/٢٣٨)].

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٨٠).

(٣) الشريعة للأجري (٥/٢٣٩٤)، وأخرجه الأجرى بلفظ آخر «صدق أنا أمُّ المؤمنين، فأما الكافرون

فلست لهم بأمِّ» الشريعة (٥/٢٤٢٧).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ

أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فربُّ العالمين كما اختار محمدًا صلى الله عليه وسلم اختار له أزواجه ليكنَّ أزواجًا له في الدنيا والآخرة، وكذلك اصطفى له أصحابًا، فعاش معهم، وأحبَّهم وأحبُّوه، وصاهرهم وصاهروه، فتزوَّج عائشة بنت أبي بكر، وتزوَّج حفصة بنت عمر، وتزوج أم حبيبة أخت معاوية، وزوَّج عثمان ابنتين من بناته، وزوج عليًّا فاطمة رضي الله عنهما.

وأمهات المؤمنين إحدى عشرة امرأة، وهنَّ:

١- خديجة بنت خويلد القرشيَّة الأسيديَّة رضي الله عنها، تزوَّجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة^(١)، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلُّهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها، وكانت خير نساء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير نساءها مريم بنت عمران، وخير نساءها خديجة بنت خويلد»^(٢)، أرسل الله إليها السلام مع جبريل عليه السلام، وهذه خاصية لا تُعرف لامرأة سواها، وهي مبشرة بالجنة، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

٢- سودة بنت زمعة القرشيَّة رضي الله عنها، أسلمت بمكة قديمًا، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهي أول امرأة تزوَّجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة رضي الله عنها في شوال سنة عشر من البعثة، ومن مناقبها أن عائشة رضي الله عنها تمت أن تكون مثلها في هديها وطريقتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت امرأة أحبَّ

(١) وقيل غير ذلك، فقد جاء أن عمر خديجة رضي الله عنها كان ثمانية وعشرين عامًا، وقيل: كان خمسة وعشرين عامًا أو خمسة وثلاثين عامًا. انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨/٢٠٤)، و(٣/٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٣٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٣٠)، واللفظ له.

إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاحِهَا مِنْ سُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ...»^(١)، وتوفيت سنة خمس وخمسين من الهجرة.

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت أحبَّ النَّاسِ إليه.

رُميت بالإفك والبهتان، ثم أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات في القرآن، فسما ذكرها وعلا شأنها، وانفقت الأمة على كُفْرٍ قاذفها، وهي أفعى نساء الأمة، وأعلمهنَّ على الإطلاق، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها»، توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سحرها ونحرها في بيتها^(٢)، ودُفِنَ فيه، وتوفيت سنة ثمان وخمسين من الهجرة، ودُفِنَتْ بالبقيع.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد كانت صوامة قوامة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاني جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»^(٣)، وهي من المهاجرات إلى المدينة النبوية، وماتت سنة خمس وأربعين من الهجرة.

٥- زينب بنت خزيمة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت تطعم المساكين، وتتصدق عليهم، ولهذا لُقِّبت بأُمِّ المساكين، تزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الثالثة من الهجرة، وتوفيت عنده بعد زواجها بشهرين، وصَلَّى عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٤٦٣).

قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «في مِسْلَاحِهَا» قال ابن الأثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المِسْلَاحُ هو الجلد، كأنها تمت أن تكون في مثل هديها وطريقتها». [النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٨٩ بتصرف].

(٢) قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قولها: «وبين سَحْرِي ونَحْرِي» السَّحْرُ بالفتح وسكون الحاء الرثة تريد أنه مات وهو مستند لصدرها ما بين جوفها وعنقها [فتح الباري ١/ ١٣٠].

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (٩٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٣٥١).

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة زوجها أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد الذي هاجرت معه إلى الحبشة، وهبها الله حكمةً وحسنَ تدبير، ولذلك استشارها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية، توفيت سنة إحدى وستين من الهجرة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً.

٧- زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي ابنة عمته أُميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: «زوجكنَّ أهاليكنَّ وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»^(١)، ومن فضائلها أيضاً أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم أر امرأة قطُّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، وأشدَّ ابتداءً لنفسها في العمل الذي تصدَّق به، وتقرَّب به إلى الله تعالى»^(٢)، توفيت سنة عشرين من الهجرة.

٨- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت من سبايا بني المصطلق، فلما تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الخامسة من الهجرة، قال النَّاسُ: أصهارُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرسلوا ما بأيديهم، وقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركةً على قومها منها»^(٣)، توفيت سنة خمسين من الهجرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٤٢٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٤٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٦٣٦٥)، وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٢١٢).

٩- أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان القرشيَّة الأمويَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تزوّجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشيُّ أربعمائة دينار ذهباً، وماتت في خلافة أخيها معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٠- صفية بنت حُيي بن أخطب سيّد بني النضير من ولد هارون بن عمران أخي موسى، ومن مناقبها ما ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التنويه بشرف نسبها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنْ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ...»^(١).

وكانت من أجمل نساء العالمين، أعتقها وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة خمسين من الهجرة.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهي آخر زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوّجها بعد عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة، وشهد لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان فقال: «الأخوات مؤمناتٌ: ميمونة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأختها أم الفضل بنت الحارث، وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهنّ لأمهنّ»^(٢)، توفيت سنة إحدى وخمسين من الهجرة.

فائدة: مارية القبطية وُلدت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إبراهيم، وهي من الإماء ولم يتزوجها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلذلك لا تُعدُّ من أمهات المؤمنين، وتوفيت في خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة من الهجرة، وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلّى عليها عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ودفنت بالبقيع^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٨٩٤)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رقم: (٦١٩٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٧٦٣).

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر (١٩١٢/٤).



السُّؤَالُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ: متى تُوفِّي النبي ﷺ، وأين، وكم كان عمره؟



الجواب: تُوفِّي بعد الهجرة بعشر سنواتٍ، في المدينة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة.



عاش النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة، ملاً الله تعالى على يديه وبدعوته الخير، فأناز مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فكانت العربُ قبل بعثته في ضلالٍ مبينٍ من الإِشْرَاقِ بالله تعالى، وفِعْلِ الفَوَاحِشِ، ووَادِ البِنَاتِ، وقَطِيعَةِ الأَرْحَامِ، فَأَتَاهُمُ الرِّسُولُ ﷺ فدعاهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، والتحلِّي بالأخلاق الحسنة.

وبعد حياة مليئة بالدعوة إلى الله تعالى تُوفِّي رسولُ الله ﷺ في يوم الاثنين من ربيع الأول^(١)، ووفاة النبي ﷺ هي أعظم مصيبة حلت بالمسلمين، وقد جاءت الإشارة إليها في قوله ﷺ: «يا أيُّها الناس أيُّما أحدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنْ

= * واجب المسلم تجاه زوجات النبي ﷺ: محبتهم ومعرفة فضلهم وقدرهم، واعتقاد أنهم أزواج له في الآخرة، والذبُّ عنهم والرَّدُّ على مَنْ ينتقص من قدرهم أو يقلِّل من مكانتهم، ودراسة سيرتهم.

انظر رسالة (تأملات في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ﴾ ص: ٩٤)، للشيخ: عبدالرزاق البدر.

(١) قال ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعاً... ثمَّ عند ابن إسحاق والجمهور أنَّها في الثاني عشر منه». [فتح الباري (١٢٩/٨)].

المؤمنين أُصيب بمصيبة، فليتعرَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنَّ أحدًا من أمّتي لن يُصاب بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مُصِيبتي»^(١).

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما رأيتُ يوماً قطُّ أنورَ ولا أحسنَ من يوم دخل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكرُ المدينة، وشهدتُ وفاته، فما رأيتُ يوماً قطُّ أظلمَ، ولا أقبحَ من اليوم الذي توفِّي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه»^(٢).

وكانت وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت أمِّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفِّي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي»^(٣)، وأنَّ الله جمع بين ريقِي وريقه عند موته: دخل عليَّ عبد الرحمن، ويده السواك، وأنا مُسْنِدَةٌ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيتُه ينظرُ إليهِ، وعرفتُ أنه يحب السواك، فقلتُ: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أَنْ نَعَمْ» فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فأشار برأسه: «أَنْ نَعَمْ» فليّته، وبين يديه ركوَّةٌ أو علبَةٌ فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبِضَ ومالت يده»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (١٥٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١١٠٦). قوله: «فليتعرَّ»، أي: يخفُّف على نفسه تلك المصيبة بتذكُّر هذه المصيبة العظيمة، إذ المصيبة الصغيرة تهون في جنب الكبيرة. [انظر حاشية السندي على ابن ماجه ١/٤٨٦].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢٢٣٤)، قال أبو ذؤيب الهذلي: «قدمتُ المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج، فقلت: مه! فقالوا: قُبِضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». [فتح الباري ٨/٥٨٠].

(٣) قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قولها: «بين سَحْرِي ونَحْرِي» السَّحْرُ بالفتح وسكون الحاء الرثة تريد أنه مات وهو مستند لصدرها ما بين جوفها وعنقها [فتح الباري ١/١٣٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٤٤٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٤٤)، واللفظ للبخاري.

ثُمَّ دُفِنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَكَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فَيَصَلُّونَ عَلَيْهِ فُرَادَى لَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ^(١).

فائدة مهمة: دَفِنُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَيْسَ فِيهِ مَخَالَفَةٌ لِحَدِيثِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»^(٢)؛ لَوْجُوه:

١- أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يَدْفَنُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيْتُهُ، قَالَ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»، اَدْفَنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ»^(٣)، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِنَ فِي بَيْتِهِ، وَلَمْ يُدْفَنِ فِي الْمَسْجِدِ.

٢- أَنَّ الْمَسْجِدَ لَمْ يُبْنَ عَلَى الْقَبْرِ، بَلْ بُنِيَ الْمَسْجِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- أَنَّ الْقَبْرَ لَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّهُ فِي حُجْرَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ عَنِ الْمَسْجِدِ فَلَيْسَ الْمَسْجِدُ مَبْنِيًّا عَلَيْهِ، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٤)، وَلِهَذَا جُعِلَ هَذَا الْمَكَانُ مَحْفُوظًا وَمَحُوطًا بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ الْقَبْرَ أَوْ يَتَمَسَّحَ بِهِ أَوْ يَسْتَقْبِلَهُ إِذَا صَلَّى.

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَهَذَا الصَّنِيعُ، وَهُوَ صَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ فُرَادَى لَمْ يُؤْمَرْ أَحَدٌ عَلَيْهِ، أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ لَا خِلَافَ فِيهِ». [الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٨ / ١٣٤].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٣٣٠)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٥٣١)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ رَقْمًا: (١٠١٨)، وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَا شَكَّ فِيهِ». [أَحْكَامُ الْجَنَائِزِ (ص: ٢١٧)].

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ رَقْمًا: (٧٣٥٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَخْرِيجِ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ رَقْمًا: (٧٥٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ودعا بأن لا يُجعل القبرُ الذي

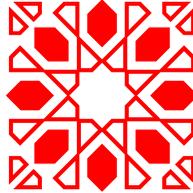
قد ضمَّه وثنًا من الأوثانِ

فأجاب ربُّ العالمين دعاءهُ

وأحاطهُ بثلاثةِ الجُدرانِ

حتَّى اغتدت أرجاؤه بدعائه

في عِزَّةٍ وحمايةٍ وصِيانٍ^(١)



(١) نونية ابن القيم (ص: ٢٥٢).

الشُّؤَالُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً...»**

الجواب: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا^(١).

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَدْ أَمَرَ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: هِيَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى^(٢)، وَفَسَّرَ بَعْضُهُم الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بِالرَّحْمَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]؛ وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ تَعَدَّتْ بـ (عَلَى) فَيَنْبَغِي تَفْسِيرُهَا بِكَلِمَةِ تَنَاسُبُ حَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى)^(٣)، وَأَمَّا صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمَعْنَاهَا: الدُّعَاءُ، أَي: نَدَعُو اللَّهَ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٠٨).

(٢) قال التابعي الجليل أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم بعد حديث رقم: (٤٧٩٧).

(٣) وقد صَعَفَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفْسِيرَ الصَّلَاةِ بِالرَّحْمَةِ مِنْ خَمْسَةِ عَشْرَ وَجْهًا فِي كِتَابِهِ (جِلَاءُ الْأَفْهَامِ

والصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** شأنها عظيم عند الله تعالى، وهي ركن من أركان الصلاة، فمن ترك الصلاة الإبراهيمية متعمداً بطلت صلاته.

وللصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** فوائد منها:

١- أنها امتثال لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٢- أنها سبب لصلاة الله على المصلي وزيادة لدرجاته، فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»^(١).

٣- أن الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** سبب لإزالة الهم وغفران الذنوب، قال أبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قلت: يا رسول الله إنني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت». قال: قلت: الربع، قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: الثلثين، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: «إذا تكفي همك، ويغفر لك ذنبك»^(٢).

٤- في الصلاة عليه **صلى الله عليه وسلم** ردٌ لشيء من فضله علينا، فقد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وأنقذنا الله تعالى به من الشرك إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(١) أخرجه النسائي في سننه رقم: (١٢٩٧)، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٩٢٢).

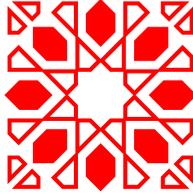
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٤٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم:

(١٦٧٠)، هذا الحديث لا ينافي أن يدعو الإنسان ربّه ويسأله أمورَه كلها بالأدعية المشروعة، وأن

يكثر من الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** فيجمع بين الأمرين. [فتاوى اللجنة الدائمة (١٥٩/٢٤)].

٥- أنها سببٌ لدعاء الملائكة للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يصلي عليّ، إلا صلّت عليه الملائكة ما صلّي عليّ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر»^(١).

فائدة: لا تُشرع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند نسيان شيء، بل المشروع ذكرُ الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، وكذلك عند الغضب يُشرع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم لما رأى رجلاً غاضباً: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذُ بالله من الشيطان»^(٢).



(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٩٠٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦١٠)، واللفظ للبخاري.

* الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لتذكر شيء قد نسيه الإنسان ففعل لا أصل له شرعاً.



السُّؤال الثامن والعشرون: ما دينك؟



الجواب: ديني الإسلام.



السُّؤال عن الإسلام هو أحد أسئلة القبر الثلاثة التي يُسأل عنها الإنسان، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «يأتيه ملكان فيجلسانه... فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام»^(١)، وهو الأصل الثاني من الأصول الثلاثة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وهي معرفة الله، ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه.

الدين: هو ما يُتعبَّد به للمعبود، والمعبود إمَّا أن يكون معبودًا بحق وهو الله عزَّ وجلَّ، وإمَّا أن يكون معبودًا بباطل، وهو كلُّ معبودٍ سوى الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فكلُّ ما يتعبَّد به الإنسان يُقال عنه: دينٌ، ويدخل في ذلك الأديان الباطلة والمنسوخة، وقد أرسل الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، والهدى: هو العلم النَّافع، ودين الحق: هو العمل الصالح.

وفي الصَّحيحين أن رجلاً من اليهود قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦٧٦).

اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر رضي الله عنه: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائمٌ بعرفة يومَ جمعة»^(١)، فاليهودي أدرك هذا الفضل العظيم الذي تفضل الله تعالى به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فالإسلام دينٌ أكمله الله تعالى بنفسه، وأتم به النعمة، ورضيه لنا دينًا، فكيف للعاقل أن يبحث عن غير هذا الدين؟!

كثيرٌ من الناس يعتزُّ ببلدٍ، أو بقبيلةٍ، أو بجنسٍ، أو بشهادةٍ، لكنه يغفل عن الاعتزاز والافتخار بهذه النعمة العظيمة وهي الانتسابُ لدين الإسلام، ولذلك على المسلم أن يعرفَ قيمةَ هذا الدين العظيم الذي رزقه الله تعالى إياه، وحُرِّمَ منه أكثرُ الناس؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يهدي من يشاء، ويعفُرُ لمن يشاء، ويوفِّقُ من يشاء، ويرحمُ من يشاء، فاخترك واصطفاك من بين الخلق، وقد كان أبو طالب عمُّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحي

فلقد صدقتَ وكنتَ قدِّمَ أميناً

وعرَّضتَ ديناً قد عرَّفتُ بأنه

من خيرِ أديانِ البريةِ دينا

لولا الملامةُ أو حذاري سبَّته

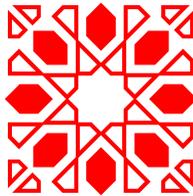
لوجدتني سمحاً بذاك مُبيناً^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٠١٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤/١٠٨).

ومع علمه بصدق النبي صلى الله عليه وسلم أبي أن يقول: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرنن لك، ما لم أنه عنه»، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] (١).

فهذا عم النبي صلى الله عليه وسلم كان في عصره، ومصره، ومع ذلك لم يوقفه الله تعالى للإسلام، وأنت لست في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا في مصره، ولم تره، ولست من قرابته، وبينك وبينه قرون، ومع ذلك تقول: «لا إله إلا الله» منشرحاً بذلك صدرك، فلا بُدَّ أن نستشعر هذه النعمة العظيمة، وأن نشكر الله تعالى عليها، ونتمسك بها، ونحرص عليها.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٨٨٤)، عبد الله بن أبي أمية أسلم وحسن إسلامه، وهاجر قبل الفتح، وشهد الفتح وحينئذ، واستشهد بالطائف [انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١١/٤)]، وأما أبو جهل عمرو بن هشام فقد قُتِلَ في غزوة بدر كافرًا.

السُّؤال التاسع والعشرون: ما معنى الإسلام؟

الجواب: الاستسلامُ لله عَزَّجَلَّ بالتوحيد، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءةُ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ.

الإسلامُ: هو الاستسلامُ لله، والخضوعُ له، والعبوديةُ له ^(١).

والإسلامُ له إطلاقان:

١ - الإسلامُ العامُّ: وهو الاستجابةُ والاستسلامُ لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو الذي كان عليه الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى عن ملكةٍ سبأ أنها قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، فهذا دينُ الأنبياءِ جميعاً.

٢ - الإسلامُ الخاصُّ: والمراد به الدينُ الذي أرسل الله به مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ بَعْتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والتوحيدُ يشمل الربوبيةَ والألوهيةَ والأسماءَ والصفاتِ، والمقصودُ هنا هو توحيدُ الألوهيةِ.

والإيمانُ بالألوهيةِ: أن تعتقدَ أن الله يَسْتَحِقُّ العبادَةَ، فهو الإلهُ الحقُّ، وكلُّ ما دونه مما يُتَّخَذُ إلهًا فهو معبودٌ بالباطلِ، حتَّى لو كان مِنَ الأنبياءِ المرسلينِ،

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٦٣).

أو الملائكة المُقَرَّبِينَ، أو الأولياء الصَّالِحِينَ، أو الشمس والقمر، أو غير ذلك، فليس هناك إلهٌ يستحق العبادة إلا الله، وهذا معنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى.

والانقيادُ له بالطاعة^(١)، أي: بفعل أو امره، واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٢).

والبراءةُ من الشُّركِ وأهله: يجب على المسلم أن يتبرَّأ من أعمال المشركين، وأقوالهم، ويعتقد بطلانها، فيوالي أهل الإيمان، ويرجو أن يكون لهم الظهورُ على أعداء الدين.

قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأبي ذرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «أَيُّ عَرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قال: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «المُوالاةُ في الله، والمُعاداةُ في الله، والحبُّ في الله، والبغضُ في الله **عَزَّ وَجَلَّ**»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «والمؤمنُ عليه أن يُعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمنٌ فعلية أن يواليه وإن ظلمه؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاةَ الإيمانيةَ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْتَلَا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩: ١٠].» [الحجرات: ٩: ١٠].

(١) قال ابن القيم **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله اللهُ ووضعه، وصغره وحقره» مدارج السالكين (٢/ ٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٢٨٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (١١٥٣٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٧٢٨).

فجعلهم إخوةً مع وجود القتال والبغْيِ والأمرِ بالإصلاح بينهم، فليتدبَّرِ المؤمنُ الفرقَ بين هذين النوعين، فما أكثرَ ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أنَّ المؤمنَ تجبُ موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك.

والكافرَ تجبُ معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإنَّ الله سبحانه بعثَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ ليكونَ الدينُ كلُّهُ لله، فيكونَ الحبُّ لأوليائه، والبغْضُ لأعدائه، والإكرامُ لأوليائه، والإهانةُ لأعدائه، والثوابُ لأوليائه، والعقابُ لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرَّجل الواحد خيرٌ وشرٌّ وفجورٌ، وطاعةٌ ومعصيةٌ، وسنةٌ وبدعةٌ، استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشرِّ، فيجتمعُ في الشَّخص الواحدُ موجباتُ الإكرام والإهانة... هذا هو الأصل الذي اتَّفَق عليه أهل السنة والجماعة»^(١).

والبراءةُ من المشركين لا تعني الاعتداء عليهم بغير حقٍّ، كقتل المعاهدِين، قال **صنِّ الله عليه وسلم**: «من قتل معاهدًا لم يرحَ رائحة الجنة، وإن ريحها تُوجدُ من مسيرة أربعين عامًا»^(٢).

وكذلك ظلمَ الكافرَ محرَّمٌ لقوله **صنِّ الله عليه وسلم**: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣١٦٦)، وهذا الحديث يشملُ الذمِّيَّ والمعاهدَ والمستأمنَ، قال ابنُ حجر **رحمته الله**: «والمراد به من له عهدٌ مع المسلمين سواء كان بعقدٍ جزيةٍ أو هدنةٍ من سلطانٍ أو أمانٍ من مسلم» [فتح الباري (١٢ / ٢٥٩)].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢٥٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٧٦٧)، وهو في الصحيحين دون قوله: «وإن كان كافرًا».

والبراءة من المشركين لا تمنع من تعامل المسلم مع الكفار تعاملًا تجاريًا بالبيع والشراء ونحو ذلك، فقد «توفي رسول الله ﷺ ودرعُه مرهونَةٌ عند يهوديٍّ»^(١).

فالبراءة من المشركين شيءٌ، والتعامل معهم شيءٌ آخر.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٩١٦).



السُّؤَالُ الثَّلَاثُونَ: كم أركانُ الإسلامِ؟ وما الدليلُ؟



الجواب: خمسةُ أركانٍ، والدليلُ قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ،
وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).



الأركانُ جَمْعُ ركنٍ، والركنُ: هو ما يقومُ عليه غيره، وهذه الأركانُ الخمسة هي أصولُ الإسلامِ، وتُسمى دعائمِ الإسلامِ.

وقد دلَّ هذا الحديثُ على أنَّ للإسلامِ مبانيَ وأصولاً ودعائمَ، وقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، التقديرُ على خمسِ دعائمٍ، وجاء في رواية: «بُنِيَ
الإسلامُ على خمسةٍ»^(٢)، والتقديرُ على خمسةِ أركانٍ^(٣).

والشهادتان متلازمتان لا تنفكُ إحداهما عن الأخرى، فلو أنَّ شخصاً شهد
أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ ولم يشهد أنَّ محمداً رسولُ اللهِ فلا يصحُّ إسلامُهُ، ومعنى (شهادة
أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ)، أي: الإقرارُ بالقلبِ، والاعترافُ باللسانِ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، أي:
لا معبودَ حقٌّ إلاَّ اللهُ، وهذه أعظمُ شهادةٍ؛ لأنَّه شهدَ بها أعظمُ شاهدٍ، وهو اللهُ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٦).

(٣) والقاعدة: أن العدد من ثلاثة إلى تسعة يخالفُ المعدودَ تذكيراً وتأييماً بمعنى أن المعدودَ
إذا كان مؤنثاً فالعدد يأتي مُذكراً، وإذا كان المعدودُ مذكراً فالعدد يكون مؤنثاً.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ، ولا بُدَّ للمسلم أن يشهد هذه الشهادة، وإلا لم يصحَّ إيمانه أبداً، ولذلك ناسب أن تتكرَّر هذه الشهادة في مناسبات عدَّة كالشَّهْد والأذَان^(١).

ومعنى شهادة (أن محمداً رسول الله)، أي: أقرُّ على علم ويقينٍ بأنَّ محمداً ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشيَّ عبدُ الله ورسولُه إلى الثقلين الجن والإنس، وأنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** اصطفاؤه، وأرسله للناس كافةً ليلبغ دينه لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن مقتضى الشهادتين التصديق بالقرآن والسنة، والعملُ بهما، فالقرآنُ أرشدَ إلى اتِّباعِ السُّنَّةِ والأخذِ بها.

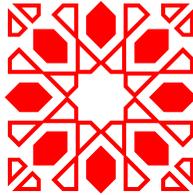
وممَّن فهم ذلك الصحابيُّ الجليل عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حين روى حديثَ النبيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لعن الله الواشماتِ والمستوشماتِ، والنَّامِصاتِ والمتمنصاتِ، والمتفلجاتِ للحسنِ المغيراتِ خَلَقَ اللهُ» قال: فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يُقال لها: أمُّ يعقوبَ وكانت تقرأ القرآنَ، فأتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنتِ الواشماتِ والمستوشماتِ، والمتمنصاتِ، والمتفلجاتِ للحسنِ، المغيراتِ خَلَقَ اللهُ، فقال عبدُ الله: «وما لي لا ألعنُ من لعنَ رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ وهو في كتاب الله» فقالت المرأةُ: لقد قرأتُ ما بين لוחي المصحفِ فما وجدتهُ فقال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]^(٢).

(١) وللمؤلِّف رسالةٌ مطبوعة بعنوان: «جدِّد عهدك بـ (لا إله إلا الله)» ذكر فيها المواطن التي يُشرع فيها ذكر كلمة التوحيد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٢٥)، واللفظ له. =

فلا يمكن الاستغناء بالقرآن عن السنّة، ولا بالسنّة عن القرآن، قال **صلى الله عليه وسلم**:
 «ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقول:
 عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام
 فحرّموه...»^(١).

ومن أركان الإسلام الصّلاة، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، وكذلك
 الزكاة عبادةٌ تتعلق بالمال، وهي قرينةُ الصّلاة في كتاب الله تعالى، ثمّ ذكر النبيّ
صلى الله عليه وسلم الحجّ وهو عبادةٌ ماليةٌ بدنيةٌ، له فضائلٌ عظيمةٌ، ثمّ ختم النبيّ **صلى الله عليه وسلم**
 الحديثَ بذكر الركن الخامس من أركان الإسلام وهو صوم رمضان، وسيأتي
 الحديث مفصّلاً عن هذه الأركان الأربعة إن شاء الله.



= * الوشم: أن يُغرّز الجلدُ بإبرة، ثم يُحشَى بكحل، فيزرق أثره أو يخضّر، والمستوشمة:
 التي يُفعلُ بها ذلك. [النهاية لابن الأثير ٥/ ١٨٩] وأمّا النامصة: فهي التي تزيل الشعرَ من
 الوجه، والمنتمصّة التي تطلب فعل ذلك بها، وهذا الفعل حرامٌ في الحواجب وما في أطراف
 الوجه، وأمّا المتفلجات بأن تبرد ما بين أسنانها لتوهم أنها صغيرة العمر، وحسنة الأسنان
 [شرح النووي على مسلم بتصرف ١٤/ ١٠٦].

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٦٤٣).

السُّؤَالُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: مَا عَمُودُ الْإِسْلَامِ؟

الجواب: الصَّلَاةُ.

الصَّلَاةُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ **صَيِّبُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ...» (١).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ الصَّلَاةِ وَعَظِيمِ مَنَزَلَتِهَا:

١- أَنَّهَا الْعِبَادَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي فُرِضَتْ فِي السَّمَاوَاتِ عِنْدَمَا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ **صَيِّبُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قَالَ **صَيِّبُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، ففرض عليَّ خمسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ... حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً» (٢).

٢- وَهِيَ أَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ **صَيِّبُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «أَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةَ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» (٣).

٣- وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، قَالَ **صَيِّبُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ** مَجِيبًا مَنْ سَأَلَهُ عَنِ مِرَافِقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» (٤).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ رَقْمًا: (٢٦١٦)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ رَقْمًا: (٤١٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٧٥١٧)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٦٢)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

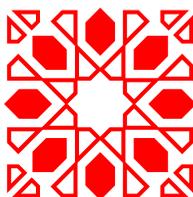
(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ رَقْمًا: (١٨٥٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ رَقْمًا:

(١٣٥٨).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٤٨٩).

٤- وأجر مَنْ خرج إليها كأجر الحاجِّ المُحْرَمِ، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مَتَطَهَّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرَمِ...»^(١).

ولذلك كانت الصَّلَاةُ آخِرَ وصايا النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مرض موته، فعن أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «كَانَتْ عَامَّةٌ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ، الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَغْرِغُرُ بِهَا صَدْرَهُ، وَمَا يَكَادُ يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ»^(٢).



(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٥٨)، وحسنه الألباني في المشكاة رقم: (٧٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢١٦٩)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٢١٧٨).

السُّؤَالُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة...»

الجواب: فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ^(١).

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَخْتَلِفُ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَمْدًا مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرَ الْكِبَائِرِ، وَأَنَّ إِثْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ قَتْلِ النَّفْسِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَمِنْ إِثْمِ الزَّانِي وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَعَرِّضٌ لِعَقُوبَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ وَخِزْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٢).

وتارك الصلاة له حالان:

الحال الأولى: أن يكون جاحداً لفرضيتها، ومُنكراً لوجوبها، فهذا كفرٌ أكبر يجمع أهل العلم^(٣).

الحال الثانية: أن يكون تاركاً للصلاة كسلاً وتهاوناً، وهو يعتقدُ وجوبها ولا يجحدها، فإنه يكفرُ كُفْرًا أكبر^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٦٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٥٦٤).

(٢) كتاب الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٣١).

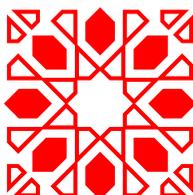
(٣) قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع المسلمون على أن جاحداً فرض الصلاة كافرٌ يقتل إن لم يتب من كفره ذلك» [الاستذكار ٢/ ١٤٩].

(٤) تكفير تارك الصلاة كسلاً رُوي عن عليٍّ وابن عباسٍ وجابرٍ وأبي الدرداء، قالوا: «من لم يُصلِّ فهو كافرٌ، وكذا رُوي عن عمر بن الخطاب وعن ابن مسعودٍ من لم يُصلِّ فلا دين له، =

وهذا هو القول الراجح عند بعض المحققين من أهل العلم ؛ لأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۗ إِلَّا الْأَصْحَابَ الْأَيْمِينِ ۗ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ۗ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۗ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۗ﴾ [المدثر ٣٨: ٤٣]، فترك الصلاة من أعظم أسباب دخولهم النار.

٢- حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١).

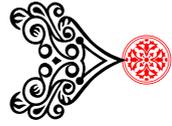


= وبه قال إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وأيوب السخيتاني وعبد الله بن المبارك وأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه [انظر الاستذكار ٢ / ١٤٩].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٢).



السُّؤالُ الثالثُ والثلاثون: عرّفِ الصَّلَاةَ؟



الجواب: هي التَّعبُدُ لله بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ،
مفتحةٌ بالتَّكبيرِ، ومختتمةٌ بالتَّسليمِ.



الصلاة لغةً: الدعاء، وسُميت صلاةً؛ لأنَّ فيها دعاءً بلسانِ الحالِ ولسانِ المقالِ، أمَّا لسانُ الحالِ فالمسلمُ يصلِّي لِنَيْلِ مغفرةِ الله ورحمتهِ ويدخلُ الجنَّةَ وينجو من النَّارِ، وأمَّا كونُها دعاءً بلسانِ المقالِ فلاَّنها مشتملةٌ على كثيرٍ من الأدعيةِ والأذكارِ، فهناك ارتباطٌ بين التعريفِ اللُّغويِّ والتعريفِ الشَّرعيِّ.

والصلاة شرعاً: التَّعبُدُ لله بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ مفتحةٌ بالتَّكبيرِ ومختتمةٌ بالتَّسليمِ.

والأقوال التي في الصلاة تنقسم إلى:

- ١- أركانٍ مثل: تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والتشهد الأخير.
- ٢- واجباتٍ مثل: تكبيرات الانتقال، والتسيح في الركوع والسجود، والتسميع والتحميد.
- ٣- مستحباتٍ مثل: دعاء الاستفتاح، وما زاد على التسيحة الواحدة في الركوع والسجود.

والأفعال في الصلاة تنقسم إلى:

- ١- أركانٍ كالقيام مع القدرة في الفريضة، والركوع، والاعتدال منه، والسجود، والجلوس بين السجدين.

٢- واجبات، وواجبات الصلاة كلها قولية إلا الجلوس للتشهد الأول.

٣- مستحبات كوضع اليد اليمنى على اليد اليسرى على الصدر.

والصلاة أقوال وأفعال مخصوصة، ولا بد أن تكون هذه الأقوال والأفعال مشروعة، وأن يأتي بها المصلي في أماكنها التي شرعت فيها، فلو افتتح المسلم صلاته بغير التكبير في تكبيرة الإحرام فلا تصح صلاته، ومن الأذكار المشروعة في الصلاة قراءة القرآن، ولكن لا تُشرع قراءته في الركوع والسجود، قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «ألا وإني نهيتُ أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً...» (١).

وكذلك لا يُشرع للمصلي الزيادة على الأذكار المشروعة في الصلاة كما يزيد بعض الناس لفظ (سيدنا) في الصلاة الإبراهيمية فيقول: (اللهم صل على سيدنا محمد)، ولا شك أن النبي **صلى الله عليه وسلم** سيد ولد آدم، كما قال **صلى الله عليه وسلم**: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...» (٢)، ولكن الصيغ الثابتة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** في التشهد ليس فيها لفظة (سيدنا).

ونظير هذا أنه لا يشرع للمؤذن أن يقول في الأذان: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد **رحمته الله**: «تأكد لدي ما قرره المحققون من أنه ليس لهذه الزيادة (سيدنا) أصل، لا داخل الصلاة في التشهدين والصلاة الإبراهيمية، ولا خارج الصلاة، وعلى ذلك كلمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والفيروز آبادي، وتلميذه الحافظ ابن حجر، والسخاوي تلميذ الحافظ ابن حجر، والقاسمي، والألباني» (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٧٩).

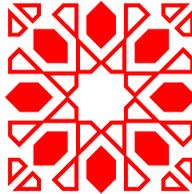
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٧٨).

(٣) معجم المناهي اللفظية (ص: ١٣٤).

والعبودية لله تقتضي الإتيان بالأذكار المشروعة في أماكنها بلا زيادة ولا نقصان، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُمْ﴾ [هود: ١١٢]، أي: كما أمرك الله^(١).

وقال **صيني الله عليه وسلم**: «صَلُّوا كما رأيتموني أصلي...»^(٢).

فالأصل في العبادات التحريم والمنع، فلا تأت بعبادة إلا بدليل شرعي، وإلا كانت عبادتكم مردودة عليكم، قال **صيني الله عليه وسلم**: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).



(١) قال الشيخ السعدي **رحمته الله**: «أمر نبيّه محمدًا **صيني الله عليه وسلم**، ومَنْ معه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ يَسْتَقِيمُوا كَمَا أَمَرُوا، فَيَسْلُكُوا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَيَعْتَقِدُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعُقَائِدِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَزِغُوا عَنْ ذَلِكَ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَيَدُومُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَطْعُوا بِأَنْ يَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ» [تفسير السعدي ص ٣٩٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٧٤)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٧١٨).

السُّؤَالُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: كَمْ صَلَاةً تَحِبُّ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ وَكَمْ عَدَدُ رَكَعَاتِ كُلِّ صَلَاةٍ؟

الجواب: خمسُ صلواتٍ في اليومِ والليْلِ: صلاةُ

الفجرِ (ركعتان)، وصالَةُ الظُّهرِ (أربعُ ركعات)،

وصالَةُ العِصرِ (أربعُ ركعات)، وصالَةُ المِغربِ

(ثلاثُ ركعات)، وصالَةُ العِشاءِ (أربعُ ركعات).

دليلُ كونِ الصلَاةِ المفروضةِ خمسَ صلواتٍ ^(١) حديثُ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...» ^(٢)، فَهِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

صلَاةُ الفجرِ ركعتان، وصالَةُ الظُّهرِ أربعُ ركعات، وصالَةُ العِصرِ أربعُ ركعات، وصالَةُ المِغربِ ثلاثُ ركعات، وصالَةُ العِشاءِ أربعُ ركعات، هَذِهِ صَلَاةُ الْمُقِيمِ، أَمَّا الْمَسَافِرُ فَيُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعِصْرَ وَالْعِشَاءَ رَكَعَتَيْنِ، أَمَّا الْفَجْرُ وَالْمِغْرَبُ فَلَا يَجُوزُ فِيهِمَا الْقَصْرُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فَرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأَقْرَتِ صَلَاةَ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ» ^(٣).

(١) سَأَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هَلْ تَجِدُ مِيقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟

قال: نعم ﴿فَسَبَّحْنِ اللَّهَ حِينَ نُمَسِّرُكَ﴾، الْمِغْرَبِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، الْفَجْرِ ﴿وَعِشَاءً﴾، الْعِصْرِ

﴿وَحِينَ نُنْظِرُونَ﴾، الظُّهرِ ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [الرُّومُ: ١٧/١٨] [تفسير الطبري ١٨/٤٧٤].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٧٣٧٢)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٩)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٣٥٠)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٨٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

بعض الناس إذا صَلَّى الرباعيَّةَ ركعتين في السَّفَرِ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ أَخْلَّ بِالْعِبَادَةِ، فيُقال له: كَمْ يُؤَثَّرُ عن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَطُّ أَنَّهُ أتمَّ الصلاةَ في السَّفَرِ.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «وكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقصرُ الرباعيَّةَ، فيصلِّيها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجعَ إلى المدينة، ولم يَثْبُتْ عنه أَنَّهُ أتمَّ الرباعيَّةَ في سفره البتَّة»^(١).

فلا تظنَّ برسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا الظنَّ الحسنَ، لا تظنَّ به أَنَّهُ قَصَرَ وَصَلَّى ركعتين ففَرَطَ في عبادةِ الله، بل ما فعله هو المشروع.

فائدة: لو صَلَّى المسافرُ مأموماً خلفَ إمامٍ مقيمٍ فإنه يتمُّ صلاته، وكذلك لو دخل والإمامُ في آخر ركعتين فعليه أن يأتي بركعتين بعد سلام الإمام، لكن لو صَلَّى خلفَ إمامٍ مسافرٍ يَقْصُرُ الصلاةَ فإنه يَقْصُرُ الصلاةَ معه^(٢).

والمقصودُ أن على الإنسان أن يؤدي الصلاةَ كما شرعها اللهُ تعالى في السَّفَرِ والحضرِ.

وإن نام عن صلاةٍ أو نسيها فليبادرْ إلى الإتيانِ بها، قال رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من نسيَ صلاةً، أو نام عنها، فكفارتُها أن يصلِّيها إذا ذكرها»^(٣).

(١) زاد المعاد (١/ ٤٧٤).

(٢) قال نافع: «كان ابنُ عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** إذا صَلَّى مع الإمام صَلَّى أربعاً، وإذا صَلَّى وحده صَلَّى ركعتين». أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٨٤)، واللفظ له.

* قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: «وقد شاع عند الناس أن الإنسان إذا فاتته فرضٌ فإنه يقضيه مع الفرض الموافق له من اليوم الثاني، فمثلاً: لو أنه لم يصلِّ الفجرَ يوماً فإنه لا يصلِّه إلا مع الفجر في اليوم الثاني، وهذا غلطٌ، وهو مخالفٌ لهدي النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القوليّ والفعليّ». [مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٢/ ٢٢٤].



السؤال الخامس والثلاثون: ما شروط الصلاة؟



- الجواب: ١- الإسلام. ٢- العقل. ٣- التمييز.
٤- دخول الوقت. ٥- إزالة النجاسة. ٦- الطهارة.
٧- ستر العورة. ٨- استقبال القبلة. ٩- النية.



الشروط جمع شرط، والشرط لغة: العلامة، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي: علامات الساعة.

واصطلاحاً: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط.

مثاله: الطهارة شرط لصحة الصلاة، فمن لم يتطهر مع قدرته على ذلك لم تصح صلاته.

ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط.

مثال ذلك: إذا توضأ العبد فلا يلزم من وضوئه وجود الصلاة، فقد يتوضأ ولا يصلي، كما لا يلزم من وجود الوضوء انعدام الصلاة.

والشروط تختلف عن الأركان، فالشروط تكون قبل الصلاة وتستمر إلى نهايتها، وأمّا الأركان فتكون في الصلاة؛ كالركوع والسجود، وهناك واجبات في الصلاة كالشهادتين، وهناك مستحبات وسنن، الإتيان بها زيادة في أجر المصلي (١).

(١) من ترك ركناً من أركان الصلاة عمداً بطلت صلاته، ومن تركه سهواً ونسياناً وجب عليه الإتيان به مع سجوده للسهو، أما الواجب: فتركه عمداً مبطل للصلاة، وتركه سهواً موجب لسجود السهو، =

وشروط الصلاة تسعة، أوّل ثلاثة شروطٍ عامّةٌ للصلاة وغيرها من العبادات، وبعدها ستة شروطٍ خاصّةٌ بالصلاة:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الإسلامُ، فالكافر عمله مردودٌ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقد يجازيه الله في الدنيا على إحسانه، لكن في الآخرة لا نصيب له؛ لأن الإسلام شرطٌ لقبول الأعمال.

الشَّرْطُ الثَّانِي: العقلُ؛ لأنَّ العقلَ مناطُ التكليف، فغيرُ العاقل لا يُكَلَّفُ، ولذلك رُفِعَ عنه القلمُ، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَفِيقَ»^(١).

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: التمييزُ، والمميّزُ: هو من كان بلغ السادسة أو السابعة، والصلاة تصح من المميّز، ولا تجبُ عليه، وإنما تجبُ على البالغ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: دخولُ الوقتِ، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، فَمَنْ صَلَّى قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ مَتَعَمِّدًا فَصَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ، وَمَنْ صَلَّى مَخْطِئًا فَصَلَاتُهُ تَكُونُ نَافِلَةً، وَعَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَرِيضَةِ بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِهَا.

وَمِنْ حُسْنِ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَكَمَالِ نَصَحِهِ لِأُمَّتِهِ أَنَّهُ بَيْنَ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أَمْنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ قَدْرَ الشَّرَاكِ»^(٢)،

= وأما من نسي شيئاً من السنن والمستحبات سهواً فلا شيء عليه ولكن فاته أجرٌ كبيرٌ وثوابٌ عظيمٌ، ويُستحبُّ له سجود السهو إن كان ناولياً أن يأتي بها. [قاله المؤلف وفقه الله].

(١) أخرجه النسائي في سننه رقم: (٣٤٣٢)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٢٩٧).

(٢) قال الشيخ عبد المحسن العباد: «يعني أن ظلّها يكون شيئاً يسيراً تحت الجدران مثل سير النعل الذي يكون على ظاهر النعل، وهذا هو أول وقت الظهر». [شرح سنن أبي داود الدرر الستون].

وصلّى بي العصر حين كان ظلُّه مثله، وصلّى بي - يعني المغرب - حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلّى بي الفجر حين حرّم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغدّ صلّى بي الظهر حين كان ظلُّه مثله، وصلّى بي العصر حين كان ظلُّه مثليه، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء إلى ثلث الليل، وصلّى بي الفجر فأسفر ثم التفت إليّ فقال: «يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين»^(١).

ومما يتساهل فيه كثير من المسلمين تأخير الصلاة عن وقتها مع أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها...»^(٢).

وبعض الناس يُنشئ وقتاً للصلاة من هواه، ويتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يأمر الله به فيتعمد أن يجعل صلاة الفجر بعد طلوع الشمس، وهذا على قول بعض العلماء لا صلاة له على هذه الحالة شأنه شأن من يصلي الصلاة قبل دخول الوقت^(٣)، كما لا يجوز أن تصلي الصلاة قبل دخول الوقت كذلك لا يجوز أن تتعمد وتصليها بعد خروج وقتها، فمن صلّى الصلاة في غير وقتها متعمداً فهو كمن صام الليل بدل النهار، فلا يصح صيامه؛ لأنه ابتدع وقتاً ما أنزل الله به من سلطان.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٣٩٣)، والترمذي في جامعه رقم: (١٤٩)، واللفظ لأبي داود، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٢٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «تارك الصلاة عمداً لا يشرع له قضاؤها ولا تصح منه، بل يكثر من التطوع، وكذا الصوم وهو قول طائفة من السلف: كأبي عبد الرحمن صاحب الشافعي، وداود وأتباعه، وليس في الأدلة ما يخالف هذا، بل يوافق» [الفتاوى الكبرى ٥ / ٣٢٠].

الشرط الخامس: إزالة النجاسة، والنجاسة: هي كل عين مستقدرة شرعاً، كالبول، والغائط، ودم الحيض^(١).

فإذا أصابت النجاسة ثوب الإنسان، أو بدنه، أو البقعة التي يريد أن يصلي فيها وجب إزالتها.

فمن صلى في ثوب نجس، أو بقعة نجسة، أو كان بدنه نجساً لم تصح صلاته إذا كان ذاكراً عالمًا، أمّا إذا كان جاهلاً أو ناسياً، فصلاته صحيحة، والدليل ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته، قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم؟»، قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَام أتاني فأخبرني أن فيهما قدرًا - أو قال: أذى -...»^(٢).

فتبين من هذا الحديث أن المصلي إذا وجد نجاسة في ثوبه وجب عليه إزالتها، فإن لم يستطع إزالتها، فعليه أن يقطع الصلاة.

الشرط السادس: الطهارة: وهي رفع الحدث وإزالة النجاسة، والمراد بهذا الشرط رفع الحدث.

والحدث: أمر حُكْمِي ووصفٌ يقوم بالبدن يمنع من الصلاة ونحوها مما تُشْتَرَطُ له الطهارة.

والحدث نوعان:

(١) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٧/١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٦٥٠)، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٧٦٦).

- ١- حدثٌ أكبرٌ: وهو ما يُوجبُ الغُسلَ، مثاله: الجنابة، والحيض، والنفاس.
- ٢- حدثٌ أصغرٌ: وهو ما يوجب الوضوء، مثاله: خروج الريح، والبول، والغائط، فلا بدَّ أن يرفعَ المسلمُ الحدثَ الأكبرَ والأصغرَ قبل أن يصلي؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ أحدِكُمْ إذا أحدثَ حتى يتوضَّأ»^(١)، وقال: «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ بغيرِ طُهُورٍ»^(٢).

الشَّرْطُ السَّابِعُ: سَتْرُ العورةِ، ينبغي للمسلم أن يأتيَ إلى المسجدِ على أكملِ هيئةٍ في لباسِه، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

والواجب على المسلم أن يصلي وهو ساترٌ عورته، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، ولا بد أن يستترَ أكثرَ من الركبة حتى لا تنكشف إذا سجدَ أو ركعَ، ويكرهُ أن يصليَ وليس على عاتقيه شيء؛ لقوله ﷺ: «لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقيه منه شيء»^(٣).

وأما المرأة في الصلاة فتستترُ بدنَها كلَّه إلا وجهَها وكفيها^(٤)، حتى لو لم يكن عندها أحدٌ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٩٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٢٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٥٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥١٦)، واللفظ له.

* قوله ﷺ: «على عاتقيه منه شيء» قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: العاتق: هو ما بين العُنُقِ والكتفِ

[شرح مسلم ٥٨/١٢].

(٤) المرأة كلُّها عورةٌ، والواجب عليها التسترُ في الصلاة في الفرض والنفل إلا الوجه، فالسنة أن تكشفه إذا لم يكن عندها أجني، أما بقيةُ بدنِها فإنها تسترُه ما عدا الكفين فتسترُهما مستحبٌ، وإن كشفتهما فلا حرج على الصحيح، وهذا يعمُّ الفرض والنفل، وإذا خرجت قدمها أو شيء من قدمها فإن كان كثيرًا فإنها تعيد الصلاة عند جمهور أهل العلم، أما إذا كان شيئًا يسيرًا ثمَّ غطته فيعفى عنه إن شاء الله. [فتاوى نور على الدرب لابن باز بتصرف يسير ٢٤٧/٧].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ حائضٍ إلا بخِمارٍ»^(١)، ومعنى حائض: أي امرأة بالغة.

وممَّا تتساهل فيه بعض النساء أن تصلِّي كاشفةً قدميها، والواجب أن تستر قدميها في الصلاة.

الشرط الثامن: استقبال القبلة، لا بد من استقبال القبلة في الفرض والنفل^(٢)، والدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وأما المسافر فيجوز له أن يصلِّي النافلة على الراحلة إلى غير جهة القبلة، فعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: «رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو على الراحلة يُسبِّح، يومئ برأسه قبلَ أيِّ وجهٍ توجه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك في الصلاة المكتوبة»^(٣).

وإذا أراد المسافر أن يصلِّي السُّنَّة على راحلته استقبال القبلة، ثمَّ صلَّى حيث توجهت به راحلته لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر فأراد أن يتطوع استقبال بناقته القبلة فكبر، ثمَّ صلَّى حيث وجهه ركابُه»^(٤).

الشرط التاسع: النية، وهي شرط في جميع الأعمال.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧٧٤٧).

(٢) قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «إلا إذا كان هناك عذرٌ كمريضٍ ليس عنده من يُعدِّله إلى القبلة، أو سجينٍ مربوطٍ ليس عنده قدرة على استقبال القبلة». [الشرح الممتاز على شروط الصلاة ص: ٨٣ بتصرف].

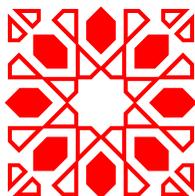
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٠٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٠١)، واللفظ للبخاري. * يُسبِّح: أي يصلِّي النافلة.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٢٢٥)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (١٣٤٥).

والنية لغةً: القصد، وشرعاً: تعيينُ المسلمِ العملَ الذي يريد القيامَ به، يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).

والنية محلها القلب، ولا يشرع التلفُّظُ بها؛ لأنَّ النبي ﷺ صَلَّى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً، وَمَا تَلَفَّظَ بِالنِّيَّةِ قَطُّ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ النِّيَّةِ: «وَمَحَلُّهَا الْقَلْبُ، لَا تَعَلَّقُ لَهَا بِاللِّسَانِ أَصْلًا، وَلِذَلِكَ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ فِي النِّيَّةِ لَفْظٌ بِحَالٍ، وَلَا سَمِعْنَا عَنْهُمْ ذِكْرَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْعِبَارَاتُ الَّتِي أُحْدِثَتْ عِنْدَ افْتِتَاحِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ قَدْ جَعَلَهَا الشَّيْطَانُ مُعْتَرِكًا لِأَهْلِ الْوَسْوَاسِ، يَحْبِسُهُمْ عِنْدَهَا، وَيَعْدِّبُهُمْ فِيهَا، وَيُوقِعُهُمْ فِي طَلَبِ تَصْحِيحِهَا؛ فَتَرَى أَحَدَهُمْ يَكْرُرُهَا وَيُجْهِدُ نَفْسَهُ فِي التَّلَفُّظِ بِهَا، وَليست من الصلاة في شيء»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٣٨).



السُّؤال السادس والثلاثون: ما أركانُ الوضوء؟



- الجواب: ١- غَسْلُ الْوَجْهِ مَعَ الْمِضْمُضَةِ وَالِاسْتِشْقَاقِ.
 ٢- غَسْلُ الْيَدَيْنِ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ. ٣- مَسْحُ الرَّأْسِ مَعَ الْأَذْنَيْنِ.
 ٤- غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ. ٥- التَّرْتِيبُ. ٦- الْمَوَالَاةُ.



الوضوء من أجل العبادات وأعظمها، وقد جاءت في فضله نصوص كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»^(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بِطَشْتِهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ...»^(٣).

والوضوء شرط من شروط صحّة الصلاة، فمن فرط فيه لم تصحّ صلاته؛ للحديث «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا يَصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لَمْعَةٌ قَدَرِ الدَّرْهَمِ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥١).

لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة^(١).

وللوضوء ستة أركان لا يصح إلا بها، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

الركن الأول: غَسَلُ الْوَجْهِ مَعَ الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ، وَالْوَجْهُ: هُوَ مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ^(٢)، وَحَدُّ الْوَجْهِ طُولًا: مِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ الْمَعْتَادِ إِلَى مُتَهَيِّ الذَّقَنِ، وَعَرَضًا مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ؛ وَغَسَلَ الْوَجْهَ دَلَّتْ عَلَيْهِ رُكْنِيَّةُ آيَةِ الْوَضُوءِ.

والمضمضة والاستنشاق واجبتان^(٣)؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بهما في قوله: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَمَضْمُضٌ»^(٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(٥)؛ ولأنَّ الأنفَ والفمَّ داخلان في مسمى الوجه.

والسُّنَّةُ الْجَمْعُ بَيْنِ الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ مِنْ غَرَفَةٍ وَاحِدَةٍ.

قال ابن القيم رحمه الله: «وَلَمْ يَجِئِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ الْبَتَّةِ»^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٧٥)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٨٦).

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (١/٣١٤).

(٣) قال ابن قدامة رحمه الله: «كُلُّ مَنْ وَصَفَ وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُسْتَقْصِيًا، ذَكَرَ أَنَّهُ تَمَضْمُضٌ وَاسْتِنْشَقٌ، وَمَدَاوِمَتُهُ عَلَيْهِمَا تَدُلُّ عَلَى وَجُوهَيْهِمَا؛ لِأَنَّ فِعْلَهُ يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ بَيِّنًا وَتَفْصِيلًا لِلْوَضُوءِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ». [المغني (١/٨٨)].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (١٣٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٤٢)، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٤٠٥).

(٦) [زاد المعاد (١/١٨٥)].

الركن الثاني: غَسَلَ اليدين مع المرفقين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، ومعنى إلى المرافق: أي مع المرافق (١).

وغسل اليد يكون: من أطراف الأصابع إلى المرفق.

ويخطئ بعض الناس فيترك غسل الكفين اكتفاءً بغسلهما في بداية الوضوء، والصواب: أن غسلهما في بداية الوضوء سنة لا تُغني عن غسلهما في هذا الموطن لأنه ركن.

الركن الثالث: مسح الرأس مع الأذنين، قال تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، فيجب أن يعم المسح الرأس كله (٢).

والأذنان من الرأس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأذنان من الرأس» (٣)، والمشروع في مسح الأذنين أن يكون بالماء الذي مسح به رأسه (٤).

وصفته: أن تمسح داخل الأذن بالسبابة، وتمسح ظاهر الأذنين بالإبهام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم مسح برأسه وأذنيه

(١) قال الشافعي رحمته الله: «فلم أعلم مخالفاً في أن المرافق مما يُغسل». [الأم (١/ ٤٠)].

قال البغوي رحمته الله: «قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: مع أموالكم، وقال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، أي: مع الله [تفسير البغوي ٢١/ ٣].

(٢) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله: «والصواب أنه لا بد من مسحه كله، وزعم من زعم أن الباء للتبعيض، وليس في لغة العرب أنها للتبعيض بل هي للإصاق، ثم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة في تعميمه مسح رأسه». [فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٢/ ٦٢].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٦).

(٤) قال ابن القيم رحمته الله: «وكان يمسح أذنيه مع رأسه، وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما، ولم يثبت عنه أنه أخذ لهما ماءً جديداً». [زاد المعاد ١/ ١٨٧].

باطنهما بالسَّباحتين وظاهرهما بإبهاميه...»^(١).

الركن الرابع: غسل الرجلين مع الكعبين، قال تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوف على منصوب تقدّم وهو ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، وهذا يحمل على حال تكون الرجل فيه مكشوفة ففرضها الغسل، وهناك قراءة أخرى (وأرجلكم) بالجر^(٢)، وتحمل على مسح الخفين حال كون الرجل مستورةً.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أناسًا يتوضؤون لم يُصبِ الماءُ أعقابهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «ويلٌ للأعقابِ مِنَ النَّارِ»^(٣)، فينبغي التنبه إلى غسل الأعقاب.

الركن الخامس: الترتيب، يعني أن يأتي بها مرتبةً كما وردت في آية الوضوء، والذي يدل على ركنية الترتيب أن الله تعالى ذكر ممسوحًا وهو الرأس بين مغسولاتٍ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخلّ بالترتيب.

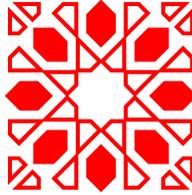
الركن السادس: الموالاتة، والمراد بها عدم الفصل بين أعضاء الوضوء بفواصل طويلة عُرْفًا، ودليل ركنية الموالاتة أن رجلًا توضأ فترك موضع ظفرٍ على

(١) أخرجه النسائي في سننه رقم: (١٠٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٩٠)، قال الملا علي القاري رحمته الله: «(بالسباحتين)، يعني المسبّحتين، سُميتا بذلك لكثرة التّسيح بهما غالبًا، وهما السّباتان، والسّباحة والمسبّحة من التّسميات الإسلامية كراهة لمعنى السّبابة، وهو أن الجاهلية كانوا يسيّبون الناس ويُشيرون بها إليهم فهي من جملة الأسماء التي غيرها عليه الصلاة والسلام». [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤١٣/٢].

(٢) قال ابن الجزري رحمته الله: «قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض» [النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤١).

قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ارجع فأحسن وضوءك»^(١)، وحديث: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم، لم يصبها الماء فأمره النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة»^(٢)، ولو لم تكن الموالاة واجبةً لأمره صلى الله عليه وسلم بغسل اللمعة فقط.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٧٥)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٨٦).



السُّؤال السَّابعُ والثَّلَاثونُ: ما نواقضُ الوضوءِ؟



**الجواب: ١- الخارجُ مِنَ السَّبِيلينِ؛ كالبولِ والغائطِ
والرَّيحِ. ٢- النَّوْمُ، والإِغْمَاءُ. ٣- أَكْلُ لَحْمِ الإِبِلِ.
٤- موجباتُ الغُسلِ.**



نواقض الوضوء أي: ما يفسده ويبطله.

ونواقض الوضوء هي:

١- الخارجُ من السَّبِيلينِ: كالبولِ والغائطِ والريحِ^(١).

والسَّبيلان هما: القَبْلُ والدُّبْرُ، فما خرج من السَّبِيلينِ أو من أحدهما فإنه ينقض الوضوء؛ لقول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

(١) قال ابنُ قدامة **رَحِمَهُ اللهُ**: «الخارج من السَّبِيلينِ على ضربين: معتادُ البولِ، والغائطِ، والمني، والمذْي، والودي، والريحُ، فهذا يَنْقُضُ الوضوءَ إجماعاً» [المغني (١/ ١٢٥)].
* الفرقُ بين المني والمذْي والودي: أنَّ المني: ماء غليظ له رائحة، ويخرج دفقاً عند اشتداد الشهوة، ويعقبه فتور الجسم، وهو طاهر لا يلزم غسل ما أصابه إلا على سبيل إزالة الأثر فقط، وهو موجب للغُسلِ.

وأما المذْيُ: فهو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير بالشهوة، وهو نجس، يكفي فيه النَّضْحُ، وغسل الذكر، وهو موجب للوضوء.

الودي: سائل يخرج عقب البول، وهو نجس، وأحكامه كأحكام البول.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٩٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٢٥)، واللفظ للبخاري.

٢- النَّوْمُ: وفيه تفصيلٌ، فإذا كان النَّوْمُ عميقاً بحيث لا يشعُر الإنسانُ بما يخرجُ منه، فهذا يُبطلُ الوضوءَ؛ لقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «وكأُ السَّهِّ العَيْنَانِ، فمن نام فليتوضأ»^(١).

والسَّهُّ: هو الدُّبْرُ؛ والإنسانُ ما دام مستيقظاً فإنه يَمْنَعُ ما يخرجُ منه ويحبسُهُ، فإذا نامت العَيْنَانِ استطلق الوكأُ، يعني: لا يكون عند الإنسانِ عِلْمٌ، وشعورٌ وإدراكٌ، فيحصلُ النَّاقِضُ.

أما لو نَعَسَ قليلاً؛ فهذا النَّوْمُ لا ينقضُ الوضوءَ؛ لحديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «كان أصحابُ رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ينامون ثم يصلُّون ولا يتوضَّؤون»^(٢).
وأما الإغماءُ فينقضُ الوضوءَ يسيره وكثيره بإجماع العلماء^(٣).

٣- أَكَلَ لَحْمَ الْإِبِلِ^(٤): وقد دلَّ على إيجابِ الوضوءِ من أكلِ لحمِ الإبلِ حديثُ جابر بنِ سَمُرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أنَّ رجلاً سألَ رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: أتوضأُ من لحومِ الإبلِ؟ قال: «نعم، فتوضأُ من لحومِ الإبلِ...»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٤٣٣).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٣٧٦)، وهو عند أبي داود في سننه رقم: (٢٠٠) بلفظ: «كان أصحابُ رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ينتظرونَ العِشاءَ الآخرةَ حتَّى تَخْفَقَ رؤوسُهُم، ثمَّ يصلُّونَ ولا يتوضَّؤون»، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (٣١٧).
(٣) قال ابن المنذر **رَحِمَهُ اللهُ:** «أجمعوا على إيجابِ الطَّهارةِ على مَنْ زالَ عَقْلُهُ بِجُنُونٍ أَوْ إغمَاءٍ». [الأوسط (١/ ١٥٥)]، وقال ابنُ قدامة **رَحِمَهُ اللهُ:** «الإغماءُ والسُّكْرُ وما أشبههُ من الأدويةِ المزيلةِ للعقلِ، ينقضُ الوضوءَ يسيرها وكثيرها إجماعاً» [المغني ١/ ١٢٨].

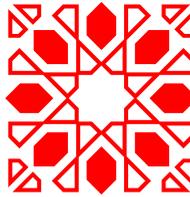
(٤) قال النووي **رَحِمَهُ اللهُ:** «وهذا المذهب أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه» [شرح مسلم

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٣٦٠).

وهذا حديث صحيح وصريح، يشمل من أكله مطبوخاً، أو نيئاً أو أكل أجزاءً من الإبل كالكبد أو الكرش أو الطحال، فالله تعالى عندما حرّم لحم الخنزير حرّم أجزاءه كلّها، فليس في الشريعة حيوانٌ تتبعضُ أجزاءه حلاًّ وحرمةً، وطهارةً ونجاسةً، وعليه تكون أجزاء الإبل كلّها واحدة؛ لأنّ اللحم يشمل جميع الأجزاء^(١).

٤- موجبات الغسل: كخروج المني دفقاً بلذة، والجماع، والحيض، والنّفاس فهذه توجب الغسل، وتنقض الوضوء.

فائدة: إذا أصابت النجاسةُ بدن الإنسان أو ثوبه وهو على وضوء، فلا يبطل الوضوء، وإنما يجب عليه غسل النجاسة فقط.



(١) انظر الشرح الممتع لابن عثيمين (١/٢٩٩).

السُّؤَالُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...

الجواب: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ
لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(١).

ورد في الدعاء بعد الوضوء فضلٌ عظيمٌ فينبغي للمسلم ألا يفترط فيه، وثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه لَمَّا تَوَضَّأَ قَالَ: «سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢)، فالمشروع أن يأتي المسلم بهذا الدعاء تارة، وبالآخر تارة.

فائدة: لا يشرع رفع الإصبع عند التشهد في الوضوء، وكذا لا يشرع رفع البصر إلى السماء بعد الوضوء لعدم ثبوتها عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فائدة أخرى: لم يثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** دعاءٌ أثناء الوضوء، وما يدعو به العامة عند غسل كل عضو بدعةً، مثل قولهم عند غسل الوجه: اللهم بَيِّضْ وجهي يوم تسودُّ الوجوه، وقولهم عند غسل اليدين: اللهم أعطني كتابي بيمينِي ولا تعطني كتابي بشمالي إلى غير ذلك من الأدعية عند سائر أعضاء الوضوء^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٤).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم: (٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٣٣٣).

(٣) قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «هذا الدعاء، لا أصل له» [روضة الطالبين ١ / ٦٢]، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة (٢٢١ / ٥) المجموعة الأولى.



السؤال التاسع والثلاثون: ما الواجبُ قراءته في الصلاة؟



الجواب: سورة الفاتحة.



قراءة الفاتحة ركنٌ من أركان الصلاة، بدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١)، والنفي في قوله: «لا صلاة»، نفي للصحة.

والعبادة إذا لم تصح فهي كعدمها، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم** لخالد بن رافع الأنصاري **رضي الله عنه**: «ارجع فصل فإنك لم تصل...»^(٢)؛ لأنه صلى صلاة غير صحيحة، فاعتبرها النبي **صلى الله عليه وسلم** كعدمها.

ثم قال له **صلى الله عليه وسلم**: «ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها»، فدل على أن الركعات صورتها واحدة إلا ما جاء فيه نص كقراءة ما تيسر من القرآن في الركعة الأولى و الثانية بعد الفاتحة^(٣)، لكن بقية الأركان والواجبات داخله في قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٩٧)، والحديث مشهور بحديث المسيء في صلاته.

(٣) الواجب قراءة الفاتحة في الثالثة والرابعة من الظهر والعصر والعشاء، والثالثة من المغرب، لفعل النبي **صلى الله عليه وسلم**، وإن قرأ زيادة يسيرة فلا حرج، وقد ورد أنه **صلى الله عليه وسلم** ربما قرأ في الثالثة والرابعة شيئاً يسيراً، وجاء عن أبي بكر الصديق **رضي الله عنه** أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. [فتاوى نور على الدرب للشيخ ابن باز بتصرف سبتمبر ٢٠١٢/٨].

وقراءة الفاتحة ركنٌ في حق الإمام والمأموم والمنفرد في الصلاة الجهرية والسرية، وتسقط عن المأموم في أحوال:

١- السَّهْو.

٢- الجهل.

٣- إذا أدرك الإمام راعياً، والدليل أن أبا بكرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أدرك النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راعٍ فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زادك الله حرصاً ولا تعدُّ»^(١)، ولم يأمره بقضاء الركعة التي لم يقرأ فيها الفاتحة، ولو كانت الركعة غير صحيحة لأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعادتها^(٢).

فائدة: من عجز عن قراءة الفاتحة قرأ غيرها مما تيسر من القرآن، فإن لم يكن حافظاً لشيء من القرآن، شُرِعَ له التسبيح والتحميد، والدليل حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقال: إني لا أستطيع أن أخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يجزئني منه، قال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم»، قال: يا رسول الله، هذا لله عزَّ وجلَّ فما لي؟ قال: «قل: اللهم ارحمني وارزقني وعافني واهدني»، فلما قام قال: هكذا بيده فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما هذا فقد ملأ يده من الخير»^(٣).

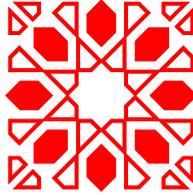
(١) أخرجه البخاري رقم: (٧٨٣).

قال ابن المنير: «صوب النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل أبي بكرَةَ من الجهة العامة وهي الحرص على إدراك فضيلة الجماعة، وخطأه من الجهة الخاصة، قوله: «ولا تعدُّ»، أي: إلى ما صنعت من السعي الشديد ثم الركوع دون الصف ثم من المشي إلى الصف». [فتح الباري ٢/٢٦٨].

(٢) انظر [الشرح الممتاز على شروط الصلاة للشيخ ابن باز ص: ٩٩].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٨٣٢)، وحسنه الألباني في الإرواء رقم: (٣٠٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن العاجز عن تعلُّمِ الفاتحة: «فإن عجز فيما تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِهَا، فَإِنْ عَجَزَ فَالتَّسْبِيْحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ وَالحَوْقَلَةُ»^(١).



(١) الشرح الممتع (٣/ ٧٠).

السؤال الأربعون: ماذا يقول المصلي في الركوع؟

الجواب: سبحان ربِّي العظيم.

أوجب الله **عَزَّجَلَّ** علينا على لسان رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن نذكر الله تعالى في الركوع فنقول: «سبحان ربِّي العظيم»^(١).

والتسبيح: هو تنزيه الله عن كل عيب ونقص، ومعنى العظيم، أي: الجامع لصفات العظمة والكبرياء؛ فهو عظيم في كبريائه، وعلمه، وسمعه، وبصره، وفي صفاته كلها.

والذكر الذي يقوله المصلي في الركوع نوعان:

- ١- واجب وهو قول: «سبحان ربِّي العظيم» مرة واحدة.
- ٢- مستحب وهو قول: «سبحان ربِّي العظيم» أكثر من مرة، وكذا الإتيان بالأذكار الأخرى الثابتة عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الركوع.

مسألة: لو نسي المصلي أن يسبح الله تعالى في الركوع فماذا يجب عليه؟

الجواب: يجب عليه أن يسجد سجدة السهو^(٢) قبل السلام.

(١) ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس قولهم: «سبحان رب العظيم»، و«سبحان رب الأعلى»، بإضافة العظيم إلى الرب، أو الأعلى إلى الرب، وهذا لا شك أنه باطل، والصواب أن يقول: «سبحان ربِّي العظيم»، و«سبحان ربِّي الأعلى». [قاله المؤلف].

(٢) هذا في حق الإمام والمنفرد، أما المأموم إذا نسي التسبيح فالإمام يتحمل عنه، ولا شيء عليه، قال ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: «إن ترك المأموم واجبا فعليه سجود السهو لتركه، ويتحمل الإمام عنه سجود السهو إذا لم يقته شيء من الصلاة» [مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٤ / ٨٩ بتصرف يسير].

ويجوز أن يسجد بعد السلام، لكن السنة أن من تقص في صلاته سجداً قبل السلام، ومن زاد في صلاته فإنه يسجد بعد السلام.

فائدة: الذكر المشروع في سجود السهو أن يقول المصلي: «سبحان ربي الأعلى»، وأما قول: «سبحان من لا ينام ولا يسهو» في سجدي السهو فلا أصل له^(١).

فائدة أخرى: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في ركوعه بعد سبحان ربي العظيم أذكراً عدة، ومنها:

١- ما ثبت عن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي، وبصري، ومُحِّي، وعظمي، وعصبي»^(٢).

٢- ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوحٌ قدوسٌ، ربُّ الملائكة والروح»^(٣).

٣- وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(٤).

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نساءه، فتحسست ثم رجعت، فإذا هو راکعٌ أو ساجدٌ يقول:

(١) انظر التلخيص الحبير لابن حجر رحمه الله (١٢/٢).

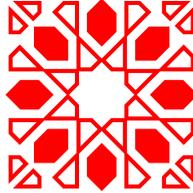
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٧١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٦٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٨٤).

«سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت»^(١).

ويجوزُ للمسلم أن يجمعَ بين هذه الأذكار في ركوعٍ واحدٍ، قال الشيخ ابنُ عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «أذكارُ الركوعِ المعروفة تقال جميعاً عند عامة العلماء»^(٢).



(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٥). قولها: (فتحسنتُ)، أي: بحثتُ عنه، وطلبتُه.

(٢) الشرح الممتع (٣/٩٥).



السؤال الحادي والأربعون: ماذا يقول المصلي في السجود؟



الجواب: سبحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى.



السُّجُودُ عِبَادَةٌ جَلِيلَةٌ، وَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَعَنْ رِبِيعَةَ ابْنِ كَعْبِ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مِرَاقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

وَالسُّجُودُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي أَنْ يَسْجُدَ عَلَى الأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّجُودِ عَلَيْهَا، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ؛ عَلَى الْجَبْهَةِ، - وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ - وَالْيَدَيْنِ وَالرِّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا تَكْفَتِ الثِّيَابَ وَالشَّعْرَ»^(٢).

فَإِنْ رَفَعَ الْمُصَلِّي رِجْلَيْهِ أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَوْ يَدَيْهِ أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَوْ جَبْهَتَهُ أَوْ أَنْفَهُ أَوْ كَلِيهِمَا، فَإِنَّ سُجُودَهُ يَبْطُلُ، وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَإِذَا بَطَلَ سُجُودُهُ فَإِنَّ صَلَاتَهُ تَبْطُلُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨١٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٩٠)، واللفظ للبخاري.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «الكفت: الضم، وهو بمعنى الكف، والمراد أنه لا يجمع ثيابه ولا شعره، وظاهره يقتضي أن النهي عنه في حال الصلاة» [فتح الباري ٢/٢٩٦].

* وقد أفتت اللجنة الدائمة بأنه لا يجوز تسمير الأكمام بكفها أو ثيها لثلاث تقع على الأرض عند السجود في أثناء الصلاة ولا قبل الصلاة [فتاوى اللجنة الدائمة ٧/٣٥].

عند بعض أهل العلم (١).

والمشروع للمصلي أن يكثر من الدعاء وهو ساجد، قال **صلى الله عليه وسلم**: «أما السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَفَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» (٢).

والواجبُ على المصلي أن يقول في سُجُودِهِ: «سبحانَ رَبِّيَ الأعلى»، مرةً واحدةً وما زاد عليها فهو مستحبٌ، والتسبيحُ: هو تنزيهُ الله تعالى عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، والأعلى: صيغة تفضيل على وزن: الأفعال، مثل: الأكبر، والأعلم، والأكرم، والله أعلى من كلِّ شيءٍ، وعلوُّ الله مطلقٌ؛ فيشمل علوُّ الذاتِ، وعلوُّ القدرِ، وعلوُّ القهرِ لجميعِ المخلوقاتِ.

ولذلك فإنَّ المسلم في سجوده يضع أشرف ما في بدنه وهو جبينه في الأرض ويتذكر علو الله.

فائدة: وردت عن النبي **صلى الله عليه وسلم** أذكاءُ عدَّة في السجود، يشرع للمصلي الإتيان بها بعد أن يقول: «سبحان ربي الأعلى»، ومنها:

١- عن علي بن أبي طالب **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «إذا سجد قال: «اللَّهُمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجدتُ وجهي للذي خلقه، وصوره، وشقَّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسنُ الخالقينَ...» (٣).

(١) قال الشيخ ابن عثيمين **رحمه الله**: «الظاهر أنه إن رفع في جميع السجود -أي: ما زال ساجداً وهو رافعٌ أحد الأعضاء- فسجوده باطل، وإذا بطل السجود بطلت الصلاة، وأما إذا كان رفعه لمدة يسيرة مثل أن يحك رجله بالأخرى ثم أعادها فأرجو ألا يكون عليه بأس». [لقاءات الباب المفتوح ١٠/ ١٢٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٧٩)، قوله **صلى الله عليه وسلم**: «فَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»، أي: خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ [النهاية لابن الأثير ٤ / ١١١].

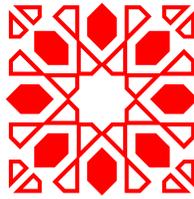
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٧١).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»^(١).

٣- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتَهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاْفَاتِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(٢).

٤- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَصَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سَجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»، أَوْ قَالَ: «وَاجْعَلْنِي نُورًا»^(٣).

٥- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَضْجَعِهِ فَجَعَلْتُ أَلْتَمِسُهُ... فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ»^(٤).



(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٦٣).

(٤) أخرجه النسائي في سننه رقم: (١١٢٤)، وإسناده على شرط مسلم.



السؤال الثاني والأربعون: ماذا يقول المصلي بين السجدين؟



الجواب: رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي.



الجلوس بين السجدين ركنٌ تظهر فيه قِمةُ التعبد لله والتأدبِ معه، ولا تصح صلاةٌ من تركه عمدًا، والواجب على المصلي في هذا الركن أن يسأل ربه المغفرة، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول بين السجدين: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»^(١).

فالمسلم يسأل الله المغفرة؛ وهي ستر الذنب، والتجاوز عن صاحبه.

ويُشرع للمصلي أن يأتي بما ورد في السنة من الأذكار في هذا الجلوس، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول بين السجدين: «اللَّهُم اغْفِرْ لِي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزُقني»^(٢)، وفي لفظ: «اللَّهُم اغْفِرْ لِي، وارحمني، وعافني، واهدني وارزُقني»^(٣).

وفي رواية أخرى: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وارحمني، واجبرني، وارزُقني، وارفعني»^(٤).

(١) أخرجه النسائي في سننه رقم: (١١٤٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٣٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٢٤٨). قوله: (واجبرني)، أي: أغني، مِنْ جَبَرَ اللَّهُ مَصِيبَتَهُ: أَي رَدَّ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْهُ وَعَوَّضَهُ. [النهاية لابن الأثير ١/٢٣٦].

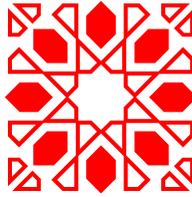
(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٨٥٠)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رقم: (٩٠٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٨٩٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (٨٩٨).

فائدة: قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ:** «وكان هديه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إطالة هذا الركن بقدر السجود، هكذا الثابت عنه في جميع الأحاديث.

وفي الصحيح عن أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** «كان رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقعد بين السجدين حتى نقول: قد أوهم»^(١).

وهذه السُّنة تركها أكثر الناس من بعد انقراض عصر الصحابة، ولهذا قال ثابتٌ: فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم تصنعونه، يمكث بين السجدين حتى نقول: قد نسي أو قد أوهم»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٢١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٧٣)، واللفظ له.

(٢) زاد المعاد (١/٢٣٢)، قوله: (قال ثابت) هو ثابت بن أسلم البُناني، وُلِدَ في خلافة معاوية **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، وروى عن جماعة من الصحابة، وكان حافظاً عابداً. انظر [سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٠].



السؤال الثالث والأربعون: ما التَّحِيَّاتُ؟



الجواب: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١).



يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْرَأَ التَّحِيَّاتِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ؛ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً، وَيَتَأَمَّلُ فِي أَلْفَاظِ التَّحِيَّاتِ، وَيَتَدَبَّرُ الْمَعَانِيَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا.

قوله: **(التَّحِيَّاتُ)**، أي: الكلماتُ العظيمةُ الكاملةُ التي يُحْيَا بِهَا^(٢).

وقوله: **(اللَّهُ)**، اللامُ للاستحقاق، أي: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ التَّحِيَّاتِ لِإِخْتِصَاصِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

وقوله: **(وَالصَّلَوَاتُ)**، تشملُ جميعَ ما شرَعَ اللَّهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ، فَرِضًا وَنَافِلًا، وَيَدْخُلُ فِيهَا أَيْضًا الدُّعَاءُ، فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ هُوَ أَحَقُّ مَنْ يُدْعَى، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالدُّعَاءِ، وَوَعَدَهُمْ بِالِاسْتِجَابَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٢٣٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٢).

(٢) قال ابنُ رجبِ الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فُسِّرَتِ التَّحِيَّةُ بِالْمُلْكِ، وَفُسِّرَتِ بِالْبَقَاءِ وَالِدَوَامِ، وَفُسِّرَتِ بِالسَّلَامَةِ؛ وَالْمَعْنَى: أَنَّ السَّلَامَةَ مِنَ الْآفَاتِ ثَابِتٌ لِلَّهِ، وَاجِبٌ لَهُ لِذَاتِهِ، وَفُسِّرَتِ بِالْعِظْمَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا تَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَا كَانَ بِمَعْنَاهُ، وَهُوَ أَحْسَنُ». [فتح الباري لابن رجب ٧/ ٣٢٧].

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٤٠٧).

والعبادات كلها دعاءً إمَّا بلسان الحال ويسمى دعاء عبادة، وهو: أن تعبد الله **عَزَّجَلَّ** بما له من الأسماء الحسنى وما يتصف به من الصفات العُلا، فتتوب إليه؛ لأنه التواب، وتستغفره؛ لأنه الغفار، وهكذا.

وإمَّا بلسان المقال ويسمى دعاء مسألة: وهو أن تتوسَّل إلى الله **عَزَّجَلَّ** باسم من أسمائه الحسنى، فتدعو الله به وتسأله حاجتك.

ومن آداب دعاء المسألة أن تختار اسمًا مناسبًا لحاجتك، فإن أردت الرزق تقول: (يا رزاق ارزقني)، وإن أردت المغفرة تقول: (يا غفور أو يا غفار اغفر لي)، وهكذا.

قوله: **(الطَّيِّبَات)**: تشمل كلَّ قول وفعل طيب، فالله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، ومن أسمائه **(الطَّيِّب)**؛ لحديث «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١).

والطَّيِّب: المقدَّس المنزه عن النقائص والعيوب.

والطَّيِّبَات لها معنيان:

الأول: ما يتعلق بالله تعالى، فهو المستحق للكلمات والأفعال والعبادات الطيبات، فهو طيبٌ في كل شيء؛ في ذاته وصفاته وأفعاله.

الثاني: ما يتعلق بالعباد، فله من أقوال العباد وأفعالهم أطيِّبها.

قوله: **(السَّلَامُ عَلَيْكَ)**: السلام اسم من أسماء الله، والدليل قوله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وله معنيان:

الأول: السَّلَامُ من كلِّ عيب، ونقص، وآفة، والمنزه عن النقائص جميعًا، فلا نقص فيه بحال من الأحوال، وعليه فيكون اسمًا لازمًا.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٠١٥).

الثاني: المُسَلِّمُ غَيْرُهُ، فيكون اسماً متعدياً^(١).

قوله: **(أَيُّهَا النَّبِيُّ)**، والنبيُّ: هو من أُوحي إليه بشرعٍ ولم يُؤمر بالتبليغ، وقيل غير ذلك^(٢).

ومعنى السَّلَامِ على النبيِّ دعاء الله تعالى أن يحفظه، ويسلِّمه من كل آفة.

قوله: **(رَحْمَةُ اللَّهِ)**، دعاءٌ للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالرحمة، ولا غنى لمخلوق عن رحمة الله.

قوله: **(وَبَرَكَاتِهِ)**، البركة: هي النماء والزيادة، فالمسلم يدعو للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالزيادة والبركة، والرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حسناته ما زالت مستمرة في كل وقت؛ وذلك بانتشار سنته، وكثرة أتباعه، ولا غنى لأحد عن بركة الله تعالى.

قوله: **(السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ)**، هذا ذِكْرٌ للعام بعد الخاص؛ لأنَّ عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ هم كل عبد صالح في السماء والأرض^(٣)، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «...فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقِلِّ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيَّاتُ،

(١) الاسم اللازم يدل على أمرين: إثبات الاسم، وإثبات الصفة.

أما الاسم المتعدي فيدل على ثلاثة أمور: إثبات الاسم، وإثبات الصفة، وإثبات المقتضى أو الأثر أو الحكم. [منحة المولى شرح القواعد المثلى للمؤلف ص: ٥١].

(٢) ومن الأقوال في بيان الفرق بين النبي والرسول قول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فالنبيُّ هو الذي ينبئه الله، وهو يُنَّبِئُ بما أنبأ الله به؛ ... وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبيٌّ، وليس برسول». [النبوات لابن تيمية ٢/ ٧١٤].

(٣) علَّمهم أن يفردوه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم ثم علمهم أن يخصصوا أنفسهم أولاً؛ لأن الاهتمام بها أهم ثم أمرهم بتعميم السَّلَامِ على الصَّالِحِينَ إعلاماً منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون شاملاً لهم. [انظر تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة لليضاوي ١/ ٣٠٣].

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

قوله: **(أشهد أن لا إله إلا الله)**، أي: أقرُّ بقلبي وأعترف بلساني أن لا إله إلا الله، أي لا معبود حقَّ إلا الله، وهذه أعظمُ شهادةٍ؛ لأنه شهد بها أعظم شاهد، وهو الله عَزَّجَلَّ، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قوله: **(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)**، أي: أقرُّ على علم ويقين بأنَّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشيَّ عبدُ الله ورسولُه إلى الثقلين الجن والإنس، وأن الله عَزَّجَلَّ اصطفاه، وجعله واسطة تبليغ بينه عَزَّجَلَّ وبين عبادِهِ يُبَلِّغُهُمْ دِينَهُ، فجمع في التحيات بين العبودية والرَّسالة لبيان أنه عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب.

ولابدَّ للمسلم أن يشهد هذه الشهادة، ليصحَّ إيمانه، ولذلك ناسب أن تتكرَّر هذه الشهادة في مناسبات عدَّة كالشَّهْد والأذان^(٢).

فائدة: العبودية هي أشرف وصف وصف الله عَزَّجَلَّ به نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقد وصفه بها:

١- في مقام الإسراء، قال تعالى: ﴿مُبِخَّنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَا﴾ [الإسراء: ١].

٢- في مقام المعراج، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

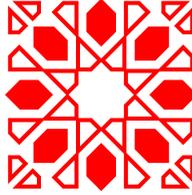
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٣١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) وللمؤلف حفظه الله رسالة نافلة مطبوعة بعنوان (جدد عهدك بلا إله إلا الله)، ذكر فيها المواطن التي يشرع أن تقال فيها كلمة التوحيد.

٣- في مقام التحدي، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

٤- في مقام إنزال الكتاب، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].

٥- في مقام الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].





السؤال الرابع والأربعون: ما الصَّلَاةُ الإبراهيمية؟



الجواب: «اللهم صلِّ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ،

كما صليتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ

مجيدٌ، اللهم بارِكْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما

باركتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ»^(١).



سُميت الصلاةُ الإبراهيميةُ بهذا الاسم؛ لأنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكِرَ فِيهَا، وهي أكملُ الصَّيغِ التي يُصَلَّى بها على رسولِ الله ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعبُ بنُ عُجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: ألا أُهدي لك هديةً سمعتها مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فقلتُ: بلى، فأهدىها لي، فقال: سألنا رسولَ الله ﷺ فقالنا: يا رسولَ الله، كيف الصلاةُ عليكم أهلِ البيتِ، فإنَّ اللهَ قد علَّمنا كيف نُسَلِّمُ؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما صليتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارِكْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ»^(٢).

والصلاةُ الإبراهيميةُ من أركان الصلاة ومحلها التشهد الأخير، فينبغي للمسلم أن يعتني بها حِفْظًا وفَهْمًا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٦)، واللفظ للبخاري.

قوله: «اللَّهُمَّ»: أي يا الله، حُذِفَ حرف النداء (يا)، وِعَوَّضَ عنه بالميم في آخر لفظ الجلالة، فصارت (اللَّهُمَّ)، وهذه الصيغة أبلغ الصيغ في نداء الله عَزَّجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «لا خلاف أنَّ لفظة (اللَّهُمَّ) معناها (يا الله)، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال: (اللَّهُمَّ غفورٌ رحيمٌ)، بل يقال: (اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني)»^(١).

قوله: «صلِّ على محمد»: الصَّلَاةُ مِنَ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هي ثناؤه عليه في الملاء الأعلى، وفسَّر بعضهم الصَّلَاةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ، وهذا القول ضعيف؛ لأنَّ الله عَزَّجَلَّ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]؛ ولأنَّ الصَّلَاةَ تَعَدَّتْ بِ(على) فينبغي تفسيرها بكلمة تناسب حرف الجر (على)^(٢).

قوله: «وعلى آل محمد»: تطلق الآل ويراد بها القرابة، فأل الرجل قرابته، وأساس هذه القرابة الأسرة فلذا يدخل في آل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزواجه، وتطلق الآل ويراد بها الأتباع عموماً^(٣) فعندما تقول: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ»، تدعو الله أن يصلي على أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤)، وعلى أتباعه على دينه.

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام [ص ١٤٣].

(٢) وقد ضعَّف ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تفسير الصلاة بالرحمة من خمسة عشر وجهاً في كتابه جلاء الأفهام (ص: ١٥٨).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فالمراد بآله: كلُّ من أتبعه على دينه، ولهذا نقول: إنَّ الرجل إذا قال: (اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد) فقد دعا لنفسه؛ لأنه ممَّن اتبعه» [شرح القواعد المثلى ص ٢٣].

(٤) وقد جاء في بعض صيغ الصلاة الإبراهيمية النص على الصلاة على أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أخرج البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٦٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٧)، واللفظ له عن أبي حميد =

وإذا قيل: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وعلى أصحابه» صار الال بمعنى القرابة.

قوله: «**كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**» الأصل أن الكاف تأتي للتشبيه، وقد تأتي للتعليل كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، أي: لأنهما ربياني صغيرًا، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتَنِي﴾ [البقرة: ١٩٨]، يعني اذكروه؛ لأنه هداكم، وكما في هذا الحديث، والمعنى، أي: لأنك يا رب من فضلك ورحمتك وكرمك وجودك صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فصلّ على محمد وعلى آل محمد، فـ(الكاف) هنا للتعليل^(١).

ولا يقال: إنها للتشبيه؛ لأن المشبه أقل من المشبه به، فإذا: قيل فلان جبل، أي في الثبات، فيكون الجبل أشد ثباتًا منه، فلو قلنا: إن (كما) للتشبيه صارت صلاة الله على إبراهيم أكمل من صلاة الله على محمد فتكون رتبة صلاة الله على محمد أقل من رتبة صلاته على إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

وإبراهيم هو أبو الأنبياء؛ لأن الأنبياء الذين بعده كلهم من ولده، وأشهر أولاده المباشرين إسماعيل ومن ولده نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، والثاني إسحاق ومن ولده يعقوب، ويقال عنهم بنو إسرائيل.

= الساعدي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صلّ على محمد، وعلى أزواجه، وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه...».

(١) قوله: «كما صليت على آل إبراهيم» قال بعض العلماء: الكاف للتعليل، وهذا من باب التوسل بفعل الله السابق؛ لتحقيق الفعل اللاحق، يعني: كما أنك سبحانه سبق الفضل منك على آل إبراهيم؛ فألحق الفضل منك على محمد وآله، وهذا لا يلزم أن يكون هناك مشبه ومشبه به. [الشرح الممتع ٣/١٦٦].

وإبراهيم الخليل له فضائل عظيمة، منها:

١- أن الله اتخذه خليلاً، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، والخلة أعلى مراتب المحبة.

وبعض الناس يقول: إبراهيم خليل الرحمن، ومحمد حبيب الله، وهذا الكلام لا يستقيم؛ لأن الخلة رتبة أعلى من المحبة.

فالصحيح أن يقال: إبراهيم خليل الرحمن، ومحمد خليل الرحمن، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»^(١).

٢- أن الله تعالى ابتلاه بأنواع من البلاء فآتم ما أمره الله به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]^(٢).

وممّا ابتلاه الله به أمره أن يضع زوجته وولده الرضيع في وادٍ غير ذي زرع فاستجاب لله تعالى، وأمره أن يذبح ابنه إسماعيل فاستجاب لله تعالى، ودعا قومه إلى التوحيد، وعانى ما عانى حتى ألقى في النار، فنجاه الله، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** [الأنبياء: ٧٠].

٣- أن الله جعل النبوة والكتاب في ذريته، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاقِبْتُهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

٤- لم يأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة أحد من الأنبياء عليهم السلام

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٣٢).

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يُبتل أحدٌ بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات فآتمهن».

[تفسير الطبري ٢/٤٩٨].

غير إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

فهذه بعض فضائل إمام الحنفاء، فقد كان قلبه للرحمن، وولده للقربان، وبدنه للنيران، وماله للضيفان، ومناقب هذا الإمام الأعظم والنبى الأكرم أجل من أن يحيط بها كتاب (١).

قوله: «إِنَّكَ حَمِيدٌ» الحميد اسم من أسماء الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، أي: ذو المحامد، وهو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة الكاملة، وجميع المخلوقات ناطقة بحمده.

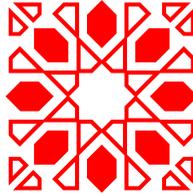
قوله: «مَجِيدٌ»، المجيد: اسمٌ من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، أي: ذو الصفات الكثيرة العظيمة، والشيء إذا كانت له صفات كثيرة يقال عنه: المجيد، فقد وصف الله نفسه بالمجيد، ووصف القرآن - وهو كلامه وصفته - بأنه مجيد، ووصف العرش بأنه مجيد.

قوله: «بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ» البركة معناها الزيادة، والبركة ليست مقتصرة على ذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل تشمل سنته لتزداد وتنتشر، فكلمًا زادت سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زاد أجره، وكذا الزيادة في أتباعه، فأنت تدعو للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة ليعظم أجره.

قوله: «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، بين ابن القيم وجه ختم الصلاة الإبراهيمية بهذين الاسمين العظيمين فقال: «فلما كان المطلوبُ للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمدًا ومجدًا بصلاة الله عليه ختم هذا السؤال باسمي الحميد والمجيد، وأيضًا فإنه لما كان

(١) انظر جلاء الأفهام لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ [ص: ٢٧٤، ٢٧٦].

المطلوب للرسول حمداً ومجداً وكان ذلك حاصلًا له ختمَ ذلك بالإخبار عن ثبوت ذينك الوصفين للرب بطريق الأولى إذ كل كمال في العبد غير مستلزم للنقص فالرب أحق به، وأيضاً فإنه لما طلب للرسول حمداً ومجداً بالصلاة عليه وذلك يستلزم الثناء عليه ختم هذا المطلوب بالثناء على مرسله بالحمد والمجد فيكون هذا الدعاء متضمناً لطلب الحمد والمجد للرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والإخبار عن ثبوته للرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**»^(١).



(١) جلاء الأفهام لابن القيم **رَحْمَةُ اللهِ** [ص: ٣٢٠].

السؤال الخامس والأربعون: ما الأربعة التي يستعبدُ المُصليُّ بالله منها قبل التسليم؟

الجواب: يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال».

أمر النبي ﷺ المصلي إذا فرغ من التشهد الأخير أن يستعبدَ بالله من أربع، ذكرها النبي ﷺ في قوله: «إذا تشهد أحدكم فليستعبدَ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال» (١).

قوله: «اللهم» أي يا الله، حذف حرف النداء (يا)، وعوض عنه بالميم في آخر لفظ الجلالة فصارت (اللهم)، وهذه الصيغة أبلغ الصيغ في نداء الله عز وجل. قوله: «إني أعوذُ بك» أي: أَلجأُ إليك وأعتصم بك لتقيني من شر ما استعدتُ بك منه.

قوله: «عذاب جهنم»: جهنم اسمٌ من أسماء النار، وسميت بذلك لُبعد قعرها (٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٨٨).

(٢) ومما يدلُّ على سعة النار وبعُد قعرها ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ، إذ سمعَ وجبةً، فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجرٌ رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها» أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٤)، قوله: (سمعَ وجبةً) هي بفتح الواو وإسكان الجيم وهي السَّقْطَةُ. [شرح مسلم للنووي ١٧ / ١٧٩].

وعذابها أشد العذاب ففي الحديث القدسي أن الله تعالى قال لجهنم: «إنما أنت عذابي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ مِنْ عِبَادِي...» (١).

وإذا استعاذ المسلم بالله من النار فإن النار تدعو له تقول: اللهم أجره من النار، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «من استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار» (٢).

فائدة: ما من أحدٍ منا إلا وسيرد على النار، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ نَسْكُرَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] (٣).

فائدة أخرى: إذا دخل الكفار جهنم فلا يخفف عنهم العذاب كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها، حتى من يأسهم إذا نادوا خزنة جهنم لا يسألونهم الخروج من النار، بل يطلبون تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْنُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

قوله: «ومن عذاب القبر»، القبر يُطلق ويراد به المدة التي تكون بين الحياة

= * وجهنم لها أسماء متعددة، لاختلاف صفاتها، فتسمى الجحيم، وتسمى جهنم، ولظن، والسعير، وسقر، والحطمة، والهاوية، وغير ذلك فكل ما ثبت في الكتاب والسنة من أسمائها وجب إثباته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٨٥٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٢٧٥).

(٣) قال السعدي **رحمه الله**: «وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بُدَّ من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه». [تفسير السعدي (٤٩٨)].

الدنيا والحياة الآخرة؛ وتسمى الحياة البرزخية، وتشمل من قُبِرَ - وهو الأغلب -، ومن أكلته السباع أو احترق وصار رمادًا، فكلُّ من مات فإنه يُعَذَّبُ أو يُنَعَّمُ (١).
والاستعاذة من عذاب القبر تدل على أن عذاب القبر حقيقة، فلو لم يكن العذاب حقيقياً لَمَا استعاذ منه النبي ﷺ.

وقد دلَّ القرآن على ثبوت عذاب القبر، كما في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] (٢).

ومن الأدلَّة من سنة النبي ﷺ، ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليُعَذبان، وما يُعَذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستترُّ من البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشققها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلتَ هذا؟ قال: «لعله يخففُ عنهما ما لم ييبس» (٣).

وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يبيلَ لحيته، فقيل له: تُذَكِّرُ الجنة والنَّارَ فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن

(١) قال ابن أبي العز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِرَ أو لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صُلب أو غرق في البحر وصل إلى روجه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور». [شرح الطحاوية ٢/ ٥٧٩].
(٢) الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبوت عذاب القبر [انظر فتح الباري ٣/ ٢٣٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢١٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٩٢)، واللفظ للبخاري.
* لا يجوز أن نضع جريدة على القبر؛ لأنه لم يكشف لنا أن هذا الرجل يُعَذَّب بخلاف النبي ﷺ فإنه أوحى إليه بذلك، ولأننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت؛ لظننا أنه يُعَذَّب، ولأن هذا الفعل مخالفٌ لهدي النبي ﷺ وأصحابه، فقد كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت دعا له واستغفر له. [انظر مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢/ ٣٢].

القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» (١).

قوله: «ومن فتنة المحيا والممات»، هاتان فتنتان يُفتن الإنسان بهما ويُختبر. أما فتنة المحيا: فكل ما فيه فتن في الحياة كفتنة النساء، وفتنة المال.

وفتنة الممات، أي: التي تكون قبيل الموت، والعبرة بالخواتيم، فإن الرجل قد يعمل بعمل أهل الجنة ثم يُختم له بخاتمة سيئة، كما قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ، فيدخلُ النَّارَ...» (٢).

ويحتمل أن تكون فتنة الممات ما يفتن الإنسان به في قبره، فإنه يُسأل عن ربه ودينه ونبيه.

قوله: «ومن فتنة المسيح» بعض الناس يقول: المسيح بالخاء تفريقاً بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم، وهذا الكلام خطأ (٣).

وسُمي المسيح الدجال بذلك لأنه ممسوح العين اليمنى، كما قال ﷺ: «الدجالُ ممسوحُ العينِ...» (٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٣٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٣٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٤٣)، واللفظ للبخاري.

* قال ابن رجب رحمته الله: «وإنَّ خاتمةَ الشَّوْءِ تكونُ بسببِ دسيئةٍ باطنةٍ للعبد لا يطلعُ عليها الناسُ، إما من جهةِ عملٍ سيءٍ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجبُ سُوءَ الخاتمةِ عند الموت، وكذلك قد يعملُ الرجلُ عملَ أهلِ النَّارِ وفي باطنه خصلةٌ خفيةٌ من خصالِ الخير، فتغلبُ عليه تلك الخصلةُ في آخر عمره، فتوجبُ له حسنَ الخاتمةِ» [جامع العلوم والحكم ١/ ١٨٠].

(٣) قال ابن عبد البر رحمته الله: «وقد كان بعض رواة الحديث يقول في الدجال المِسيح بكسر الميم

والسين، ومنهم من قال ذلك بالخاء وذلك كله عند أهل العلم خطأ» [التمهيد ١٤/ ١٨٨].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٣٣).

أو لأنه يمسح الأرض فلا يدع أرضاً إلا دخلها (١).

قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة، والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافرٍ ومنافقٍ» (٢).

قوله: «الدجال» أي كثير الدجل والتمويه.

ومما يفتن به الدجال الناس:

١- أن معه جنةً و ناراً لكن ناره جنةٌ وجنته نارٌ، قال رسول الله ﷺ: «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين، ماءً أبيض، والآخر رأي العين، نارٌ تأجج، فإما أدركن أحد، فليات النهر الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأ طيء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد...» (٣).

٢- أنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، قال رسول الله ﷺ: «فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت...» (٤).

(١) قال ابن الأثير رحمه الله: «وأما الدجال فسمي به؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض: أي يقطعها» [النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٨٨١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٩٤٣)، واللفظ للبخاري. وقال رسول الله ﷺ عن الدجال: «لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور...» أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٣٠٩٠)، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين رقم: (١٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٣٧).

السؤال السادس والأربعون: أكمل الحديث:

قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ مُسَلِّمٍ يصلي لله كُلَّ يومٍ ثنتي عشرة ركعةً تطوعاً، غيرَ فريضةٍ...».

الجواب: «إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»^(١).

السنن الرواتب: هي التي رتب علي الفرائض، وقد ذكر النبي ﷺ في الحديث الثواب المترتب على المحافظة على السنن الرواتب، مما يبين مكانتها، ويدل على أهميتها.

وقد ورد في سنة النبي ﷺ بيان لفضائل صلاة التطوع، منها:

١- أنها تكمل الفرائض، وتجبر النقص الذي قد يقع فيها.

ففي الحديث القدسي يقول ربنا عز وجل لملائكته - وهو أعلم -: «انظروا في صلاة عبدي أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه»^(٢).

٢- أنها ترفع الدرجات وتكفر الذنوب والسيئات.

قال النبي ﷺ: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدةً، إلا رفعك الله بها درجةً، وحطَّ عنك بها خطيئةً»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٩٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٥٧١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٨).

٣- نيلُ محبةِ الله تعالى، قال **عَزَّجَلَّ** في الحديث القدسي: «وما تقربَ إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه...»^(١).

وَيُسْنُّ أَنْ تُصَلِّيَ النَوَافِلَ فِي الْبَيْتِ، قَالَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا»^(٢)، وقال النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فعلیکم بالصلاة في بيوتکم، فإنَّ خیرَ صلاةٍ المرءِ في بيته إلا الصلاة المكتوبة»^(٣)، وقال النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «صلاة المرءِ في بيته أفضلُ من صلاته في مسجده هذا، إلا المكتوبة»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٣٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٧٧)، واللفظ للبخاري.

* قال النووي **رَحْمَةُ اللهِ**: «وإنما حثَّ على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحطات، وليتبرك البيتُ بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان» [شرح صحيح مسلم ٦/٦٧]، قلت: وليقتدي به أهل بيته. [قاله المؤلف وفقه الله].

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٧٣١)، ومسلم رقم: (٧٨١)، واللفظ له.

قال ابن حجر **رَحْمَةُ اللهِ**: «ظاهره أنه يشمل جميع النوافل؛ لأنَّ المراد بالمكتوبة المفروضة لكنه محمولٌ على ما لا يُشْرَعُ فيه التجميع، وكذا ما لا يَخْصُ المسجد كركعتي التحية كذا قال بعض أئمتنا» [فتح الباري ٢/٢١٥].

قوله **رَحْمَةُ اللهِ**: «ما لا يُشْرَعُ فيه التجميع» أي: ما لا تُشْرَعُ فيه الجماعة كصلاة التراويح.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٠٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٨١٤).

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «صلاة المرءِ في بيته أفضلُ من صلاته في مسجده هذا، إلا المكتوبة» قال الطَّيْبِيُّ: تتميمٌ ومبالغةٌ لإرادة الإخفاء، فإن الصلاة في مسجد رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تعادل ألف صلاةٍ في غيره من المساجد، سوى المسجد الحرام، وفيه إشعارٌ بأنَّ النوافل شرعت للقرابة إلى الله تعالى، وإخلاصاً لوجهه، فينبغي أن تكون بعيدة عن الرياء، ونظر الخلق، والفرائض أُسِّسَتْ لإشادة الدين، وإظهار شعائر الإسلام، فهي جديرةٌ بأن تُقام على رؤوس الأشهاد. [شرح مشكاة المصابيح ٤/١٢٦٣].

السؤال السابع والأربعون: ما السنن الرواتب؟

الجواب: ركعتان قبل الفجر، أربع ركعات قبل الظهر، ركعتان بعد الظهر، ركعتان بعد المغرب، ركعتان بعد العشاء.

السنن الرواتب ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم حبيبة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً، غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»^(١).

قوله: «ركعتان قبل الفجر»، أي: بعد دخول وقت الفجر وقبل صلاة الفريضة. ولها تين الركعتين فضل عظيم فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يتعاهد هذه السنة ويحرص عليها بشدة كما قالت عائشة رضي الله عنها: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٦٩)، ومسلم رقم: (٧٢٤)، واللفظ للبخاري.

* قال ابن القيم رحمه الله: «وكان من هديه في سفره الاقتصار على الفرض، ولم يحفظ عنه أنه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها إلا ما كان من الوتر، وسنة الفجر فإنه لم يكن ليدعها حضراً ولا سفراً». [زاد المعاد / ١ / ٤٥٦].

وكان من هدي النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يقرأ في سنة الفجر سورة الكافرون في الركعة الأولى بعد الفاتحة، وفي الركعة الثانية سورة الإخلاص، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** «أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(١)، وفي هذا بيان فضل التوحيد، لذا كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يفتح به يومه.

وورد أنه **صلى الله عليه وسلم** كان يقرأ في سنة الفجر ببعض الآيات كما في حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، الآية التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿إِنَّمَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]»^(٢).

وعنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال: «كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]»^(٣).

ومن الأحكام المتعلقة بهاتين الركعتين أنه يُسَنُّ تخفيفهما لحديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: «كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يُخَفِّفُ الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول: هل قرأ بأَمِّ الكتاب؟!»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٧١).

* تخفيف سنة الفجر يكون من غير إخلال بالأركان والواجبات.

* للمؤلف وفقه الله رسالة نافلة مطبوعة بعنوان (اعتناء الأجر لمن شهد صلاة الفجر) ذكر فيها فضائل صلاة الفجر وبعض الأحكام المتعلقة بها.

قوله: «**أربع ركعات قبل الظهر**» فقد ثبت في فضل هذه الركعات الأربع حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ...»^(١).

وعن عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٢).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعًا، وَقَبْلَ الْأُولَى أَرْبَعًا بُنِيَ لَهُ بِهَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

قوله: «**وركعتان بعدها**» لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «حَفِظْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا»^(٤).

ويستحب أن يصلي المسلم بعد الظهر أربع ركعات، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيَّ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعِ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيَّ النَّارَ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٣٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٥٨٧).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: (٤٧٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٣٤٠).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وقبل الأولى أربعًا)، المراد الظهر فإنها أول الصلوات المفروضة في ليلة الإسراء. [فيض القدير للمناوي ٦/ ١٦٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٨٠).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦١٩٥).

* قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّنا صفة سنة الظهر البعدية: «الأفضل أيضًا أن يصلي بعد الظهر أربعًا كما صلى قبلها أربعًا، يسلم من كلِّ ثنتين» [فتاوى ابن باز ١٢/ ٣٤]، وهو اختيار اللجنة الدائمة (٦/ ١٢٦ المجموعة الثانية).

فائدة: ليس لصلاة الجمعة سنة قبلها، والمشروع لمن أتى المسجد قبل صلاة الجمعة أن يصلي نفلاً مُطلقاً، إلى أن يصعد الخطيب المنبر^(١).

فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من اغتسل يوم الجمعة، وتطهر بما استطاع من طهر، ثم أدهن أو مس من طيب، ثم راح فلم يفرق بين اثنين، فصلّى ما كتّب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»^(٢).

وأما السنة التي تُصلى بعد صلاة الجمعة فقد ورد فيها حديثان:

الأول: أنها ركعتان، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف، فيصلّي ركعتين»^(٣).

والثاني: أنها أربع ركعات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا صلّى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً»^(٤).

الخلاصة: أن سنة الجمعة تكون بعدها؛ إن صلاها في المسجد صلى أربعاً، وإن صلاها في البيت صلى ركعتين، وليس لها سنة قبلها.

(١) ومن أتى المسجد يوم الجمعة سنّ له تحية المسجد ولو كان الإمام يخطب، أمّا من أتى المسجد قبل أذان الجمعة وصلّى ما كتّب له ثم جلس فلا يسنّ له بعد الأذان أن يقوم ليصلي ركعتين، فإنّ هذا لا أصل له في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما المشروع له أن يتهيأ لاستماع الخطبة [فتاوى اللجنة الدائمة (٦/ ١٣١) المجموعة الثانية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٩١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٣٧)، ومسلم في صحيحه (٨٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٨١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلّى في المسجد صلّى أربعاً، وإن صلّى في بيته صلّى ركعتين، قلتُ (أي ابن القيم): وعلى هذا تدل الأحاديث» [زاد المعاد (١/ ٤٢٥)].

قوله: «**ركعتان بعد المغرب**» لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حفظت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر ركعات... وركعتين بعد المغرب في بيته»^(١).

و كان من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقرأ في سنة المغرب سورة (الكافرون) في الركعة الأولى بعد الفاتحة، وفي الركعة الثانية سورة (الإخلاص)، فعن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «ما أحصي ما سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢)، وفي الحديث دليلٌ على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يختم يومه بالتوحيد بقراءة هاتين السورتين العظيمتين.

فائدة: ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمرُ بصلاة ركعتين قبل صلاة المغرب، فعن عبد الله المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صَلُّوا قبل صلاة المغرب»، قال في الثالثة: «لمن شاء» كراهية أن يتخذها الناس سنة»^(٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنَّا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري، فيركعون ركعتين ركعتين، حتى إنَّ الرجلَ الغريبَ ليدخل المسجدَ فيحسبُ أن الصلاةَ قد صُليَتْ من كثرة من يصلِيهما»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٣١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٨٣).

قوله: «كراهية أن يتخذها الناس سنة»، قال المُجِبُّ الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يُردْ نفي استحبابها؛ لأنه لا يمكن أن يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من أقوى الأدلة على استحبابها، ومعنى قوله: سنة، أي: شريعة وطريقة لازمة، وكان المراد انحطاط مرتبتها عن رواتب الفرائض». [فتح الباري لابن حجر ٣/ ٦٠].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٣٧).

قوله: «ركعتان بعد العشاء»، ثبت أنه **صلى الله عليه وسلم** كان يصلي بعد العشاء ركعتين كما في حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «حَفِظْتُ مِنَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَشْرَ رَكَعَاتٍ... وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ» (١).

فائدة: يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ إِذَا نَسِيَ السَّنَنَ الرَّوَاطِبَ أَنْ يَقْضِيَهَا لِعُمُومِ قَوْلِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا» (٢)، فكلمة (صلاة) هنا نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، يعني من نام عن أي صلاة اعتاد أن يصليها سواء كانت فريضة أم نافلة فليصلها إذا ذكرها.

يُشْرَعُ لِمَنْ فَاتَتْهُ سَنَةُ الْفَجْرِ أَنْ يَقْضِيَهَا:

١- بعد صلاة الفجر، كما جاء في حديث قيس بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: رأى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «صلاة الصبح ركعتان»، فقال الرجل: إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما، فصليتهما الآن، فسكت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (٣)، وسكوت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إقرارٌ منه على مشروعية قضاء سنة الفجر في هذا الوقت.

٢- بعد طلوع الشمس، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ لَمْ يَصِلْ رَكَعَتِي الْفَجْرِ فَلْيَصِلْهُمَا بَعْدَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ» (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٨٤)، واللفظ له.

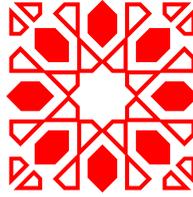
(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٢٦٧)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة رقم: (١٠٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٢٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٣٦١).

* قضاء سنة الفجر يكون بعد طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح، ويقدر بربع ساعة من طلوع الشمس. أما الصلاة عند طلوع الشمس فقد نهى عنها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث عمرو بن عبسة =

كما دلت السنة على مشروعية قضاء سنة الظهر، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا لم يُصلِّ أربعاً قبل الظهر صلاههنَّ بعدها»^(١).

فائدة: ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الترغيب في صلاة أربع ركعات قبل العصر، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رحم الله امرأً صلَّى قبل العصر أربعاً»^(٢)، وهذه الركعات ليست من السنن الرواتب.



= أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «صلِّ صلاة الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٣٢).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٤٩٣).



السؤال الثامن والأربعون: عَرَّفَ الزَّكَاةَ؟



الجواب: هي حق واجب في مالٍ خاصٍّ، لطائفةٍ مخصوصةٍ، في وقتٍ مخصوصٍ.



الزكاة عبادةٌ عظيمةٌ جليئةٌ، وهي الرُّكنُ الثالثُ من أركان الإسلام، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة،...»^(١)، وقد فرض الله الزكاة في السنة الثانية من الهجرة^(٢).

ومما يدلُّ على أهميتها أن الله قرنها مع الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه^(٣).

فائدة: جاء في بعض نصوص الكتاب والسنة إطلاق اسم الصدقة على الزكاة،

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ**﴾ [التوبة: ٦٠]^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) قال ابن كثير **رحمه الله** في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة: ٤٣]، «أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدلُّ لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النُصب والمُخرج لم تُبين إلا بالمدينة». [تفسير ابن كثير ٨/ ٢٥٩].

(٣) قرنت الزكاة بالصلاة في القرآن في ستة وعشرين موضعًا، قال السعدي **رحمه الله**: «وكثيرًا ما يجمعُ تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن؛ لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والتفقه متضمنة للإحسان إلى عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان». [تفسير السعدي ص: (٤٠)].

(٤) الصَّدقة: ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن الصَّدقة في الأصل تُقال =

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعته إلى اليمن: «فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائهم فترُدُّ على فقرائهم»^(١).

والزَّكَاةُ لُغَةً: النَّمَاءُ، يُقَالُ زَكَ الزَّرْعُ إِذَا نَمَا وَزَادَ.

وَالزَّكَاةُ تَنْمِي الْمَالَ وَتُطَهِّرُهُ وَتَزَكِّي صَاحِبَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وَالزَّكَاةُ شَرْعًا: هِيَ حَقٌّ وَاجِبٌ فِي مَالٍ خَاصٍّ لَطَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ.

قوله: (حَقٌّ وَاجِبٌ)، يُخْرِجُ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ، فَالزَّكَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اكْتَمَلَتْ شُرُوطُهَا^(٢).

قوله: (فِي مَالٍ خَاصٍّ)، الزَّكَاةُ لَا تَجِبُ فِي كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَثَاثٍ أَوْ دَابَّةٍ أَوْ بَيْتٍ، وَإِنَّمَا تَجِبُ فِي أَشْيَاءٍ مَخْصُوصَةٍ، وَهَذَا مِنْ يَسْرِ الْإِسْلَامِ.

وَالْأَمْوَالُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ هِيَ خَمْسَةٌ:

١- الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعَمَلَاتِ الْوَرَقِيَّةِ، وَتُسَمَّى الْأَثْمَانُ؛ لِأَنَّهَا تَعْتَبَرُ ثَمَنًا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِ الزَّكَاةِ فِي الْأَثْمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]^(٣).

= لِلْمُتَطَوِّعِ بِهِ، وَالزَّكَاةُ لِلوَاجِبِ، وَقَدْ يُسَمَّى الْوَاجِبُ صَدَقَةً إِذَا تَحَرَّى صَاحِبُهَا الصَّدَقَ فِي فِعْلِهِ. [المفردات في غريب القرآن للراغب ص: ٤٨٠].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٤٩٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) شروط وجوب الزكاة: الإسلام، والحرية، وملك النصاب، واستقرار الملك، ومضي الحول.

(٣) قال ابن قدامة رحمته الله: «ولا يتوعد بهذه العقوبة إلا على ترك واجب». [المغني ٣/ ٣٥].

ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، ونصاب الفضة مائتا درهم لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس في أقل من عشرين مثقالاً من الذهب شيءٌ، ولا في أقل من مائتي درهم شيءٌ»^(١).

والمقدارُ الواجب في زكاة التَّقْدِينِ ربع العُشْرِ^(٢).

والنقود الورقية تُقَدَّرُ بنصاب الذهب أو الفضة، وتجبُ فيها الزكاةُ على الصحيح من أقوال العلماء^(٣).

٢- الخارج من الأرض من الحبوب والثمار.

إذا اشتدت الحبوبُ، وبدا صلاحُ الثمار وجبت فيهما الزكاةُ، ولا يشترط لها حولان الحول، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ونصاب الخارج من الأرض خمسة أوسق^(٤)، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس فيها دون خمسة أوسقٍ صدقةٌ...»^(٥).

ومقدارُ الزكاة فيها إن سُقيت بلا مؤونة من الأمطار ونحوها العُشْرُ، وأما إن سُقيت بمؤونة ففيها نصف العُشْرِ، والدليل قولُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيما سقت السماءُ

(١) أخرجه الدارقطني في سننه رقم: (١٩٠٢)، وصححه الألباني بشواهد في إرواء الغليل رقم: (٨١٥).

(٢) ربع العُشْرِ أي: اثنان ونصف في المائة، وطريقة حساب الزكاة أن يُنظر إلى قيمة الذهب أو الفضة بالعملة السائدة ثم يقسم المبلغ على أربعين فالناتج هو الزكاة.

(٣) إذا بلغت قيمة الأوراق التَّقْدِينِ والعروض المعدة للتجارة نصاب الذهب والفضة وجبت فيها الزكاة، وما كان أقل من النصاب المذكور ليس فيه زكاة؛ لما ورد من الأحاديث النبوية في ذلك. [فتاوى ابن باز ١٤ / ٧٩].

(٤) الوسق ستون صاعاً، فإذا كان الوسق الواحد ستون صاعاً ونصاب الزكاة خمسة أوسقٍ فنضرب خمسة بستين صاعاً فيكون الناتج ثلاث مائة صاع، فهذا هو نصاب الحبوب والثمار.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٤٥٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٩٧٩)، واللفظ له.

والعيونُ أو كان عَثْرِيًّا الْعُشْرُ، وما سُقي بالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ» (١).

٣- الرِّكَاز.

والرِّكَازُ: هو ما دفنه أهلُ الجاهليَّةِ أي الكنوز المدفونة السابقة، والواجب فيها الخمس لقول النبي ﷺ: «وفي الرِّكَازِ الْخُمْسُ» (٢).

٤- عُروض التجارة.

العروض: ما أعد للبيع والشراء من أجل الربح، والدليل على وجوب الزكاة فيها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] (٣).

مثال ذلك: رجل عنده بضاعة فينظر كم قيمتها إذا حال الحول، ويُخْرِجُ زكاتها بالأحظِّ والأنفع للمساكين من ذهب أو فضة.

والواجب في عروض التجارة ربع العُشْرِ أي اثنان ونصف بالمائة.

٥- السائمة من بهيمة الأنعام.

السَّوم هو الرعي، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

أي: ترعون دوابكم، فالزَّكَاةُ تجب في سائمة بهيمة الأنعام، وهي التي ترعى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٤٨٣).

قوله: (عَثْرِيًّا)، قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «هو الذي يشرب بعروقه من غير سقي» [فتح الباري لابن حجر ٣/ ٣٤٩].

(٢) قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمعوا على أن الخمس يجب في ركاز الذهب والفضة». [الإجماع ص: ٤٦].

(٣) قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، أي: «من التَّجَارَةِ»، وفي لفظ «التَّجَارَةُ الحلال». [تفسير الطبري ٤/ ٦٩٥].

من المراعي الطبيعية، وليس بعلفٍ يُشترى^(١).

قوله: (لطائفةٍ مخصوصةٍ)، الأصنافُ الذين تُدفعُ لهم الزكاةُ ثمانيةً، فلا يجوز دفع الزكاة لغيرهم، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَى فُلُوهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

١- الفقراء: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾، بدأ الله عزَّ وجلَّ بذكر الفقراء والمساكين لأنهم هم الأغلب والأكثر، ولأن حاجتهم أشد^(٢). والفقير: هو الذي لا يجد ما يكفيه، أو يجد كفايةً أقل من نصف الشهر، فيُعطى من الزكاة ما يُكَمِّل كفايته من النِّفقة عامًّا كاملاً.

٢- المساكين: هم الذين يجدون أكثر الكفاية، أو نصفها في الحَوْل، فالفقير أشدُّ حاجةً من المسكين.

٣- العاملون عليها: هم السُّعاة الذين يبعثهم الإمام أو نائبه لأخذ الزكاة من أصحاب المال، وجمعها وحفظها ونقلها، ومن يعينهم ممن يسوقها ويرعاها ويحملها، وكذلك الحاسب والكاتب والكيال والوزان والعداد، وكل من يحتاج إليه فيها^(٣).

(١) شروط وجوب الزكاة في بهيمة الأنعام: أن تتخذ للدَّرِّ والنسل لا للعمل، وأن تكون سائمة أكثر الحول، وأن يحول عليها الحول، وأن تبلغ النصاب.

(٢) الفقراء والمساكين من الكلمات التي إذا اجتمعت في الذِّكر افتقرت في المعنى، وإذا افتقرت في الذِّكر اجتمعت في المعنى، مثال اجتماعهما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾، فالفقراء يختلفون عن المساكين لكن قوله تعالى: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، تشمل الفقير والمساكين.

(٣) المغني لابن قدامة (٦/٤٧٣).

فِيُعْطَى الْعَامِلُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ بِقَدْرِ أَجْرِهِ.

٤- الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ: مَنْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ أَوْ كَفُّ شَرِّهِ أَوْ يَرْجَى بَعْطِيته قُوَّةَ إِيمَانِهِ أَوْ إِسْلَامَ نَظِيرِهِ أَوْ جَبَايَتِهَا مِمَّنْ لَا يُعْطِيهَا أَوْ دَفَعُ شَرِّهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ. وَيُعْطَى مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّأْلِيفُ عِنْدَ الْحَاجَةِ فَقَطْ (١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ نَوْعَانِ: كَافِرٌ وَمُسْلِمٌ، فَالْكَافِرُ: إِمَّا أَنْ يُرْجَى بَعْطِيته مَنفَعَةٌ: كِإِسْلَامِهِ، أَوْ دَفَعُ مَضَرَّتِهِ إِذَا لَمْ يَنْدَفِعْ إِلَّا بِذَلِكَ، وَالْمُسْلِمُ الْمُطَاعُ يَرْجَى بَعْطِيته الْمَنفَعَةُ أَيْضًا كَحُسْنِ إِسْلَامِهِ، أَوْ إِسْلَامَ نَظِيرِهِ، أَوْ جَبَايَةِ الْمَالِ مِمَّنْ لَا يُعْطِيهِ إِلَّا لَخَوْفٍ، أَوْ النِّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ، أَوْ كَفُّ ضَرَرِهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا لَمْ يَنْكُفْ إِلَّا بِذَلِكَ» (٢).

٥- وَفِي الرِّقَابِ أَيُّ: شَرَاءِ الْعَبِيدِ مِنْ أَسْيَادِهِمْ ثُمَّ عَتَقَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْمَكَاتِبُ، وَالْمَكَاتِبَةُ: أَنْ يَتَّفَقَ الْعَبْدُ مَعَ سَيِّدِهِ بِأَنْ يُعْطِيَهُ قَدْرًا مِنَ الْمَالِ مَفْرَقًا فَمَتَى مَا اسْتَوْفَى الْمَبْلُغَ كَامِلًا صَارَ حُرًّا، وَإِذَا عَجَزَ الْمَكَاتِبُ عَنِ آدَاءِ مَا عَلَيْهِ فَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ حَتَّى يُعْتَقَ (٣).

٦- الْغَارِمُونَ: هُمُ الْمَدِينُونَ الْعَاجِزُونَ عَنِ آدَاءِ دِيُونِهِمْ. فَمَنْ اسْتَدَانَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَلَا يَمْلِكُ سَدَادًا لِدَيْنِهِ، وَكَذَا مَنْ تَحَمَّلَ حِمَالَةَ فِي صَلَاحٍ مَشْرُوعٍ كِإِنْسَانٍ لَهُ مَكَانَةٌ أَوْ عَالَمٌ يَتَنَازَعُ النَّاسَ عِنْدَهُ فِي أُمُورِ الدِّمَاءِ وَنَحْوِهَا فَتَدْخُلُ لِلصَّلَاحِ، فَلَمَّا حَصَلَ الصَّلَاحُ وَالْعَفْوُ عَجَزَ عَنِ دَفْعِ قِيَمَةِ الصَّلَاحِ

(١) الرُّوضُ الْمَرْبِعُ (ص: ١٢٩).

(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (٢٨/٢٩٠).

(٣) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «يَجُوزُ إِعْتَاقُ الرِّقِيقِ مِنَ الزَّكَاةِ وَافْتِكَائِهِ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ» [الْفَتَاوَى الْكُبْرَى لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ ٥/٣٧٤].

فيعطى من الزكاة، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»^(١).

٧- في سبيل الله.

يعني الجهاد وقتال الكفار المحاربين، وليس المقصود في أبواب الخير كلها كبناء المساجد، وطباعة المصاحف^(٢)؛ لأن الله ذكر مصارف الزكاة الثمانية، وبدأ الآية بـ(إنما) التي تفيد الحصر، ولو كان المراد في سبيل الله أبواب الخير كلها لما كان للحصر معنى، ولما ذكرت الأصناف الثمانية.

فائدة: قال العلماء: الحج يدخل في مصرف **﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** لحديث أم مَعْقِلٍ، قالت: لما حجَّ رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم** حجة الوداع وكان لنا جملٌ، فجعله أبو مَعْقِلٍ في سبيل الله، وأصابنا مرض وهلك أبو مَعْقِلٍ، وخرج النبي **صلى الله عليه وسلم** فلما فرغ من حجه جئته، فقال: «يا أمَّ مَعْقِلٍ ما منعك أن تخرجي معنا؟»، قالت: لقد تهيأنا فهلك أبو مَعْقِلٍ، وكان لنا جمل هو الذي نحج عليه فأوصى به أبو مَعْقِلٍ في سبيل الله، قال: «فهلَّا خرجتِ عليه، فإنَّ الحجَّ في سبيل الله...»^(٣)، فاستدلَّ أهل العلم على أن الإنفاق على الحججاج يجوز أن يكون من أموال الزكاة^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٣٨٧).

(٢) قال الشيخ ابن باز **رحمه الله**: «المعروف عند العلماء كافة، وهو رأي الجمهور والأكثرين، وهو كالإجماع من علماء السلف الصالح الأولين - أن الزكاة لا تُصرف في عمارة المساجد وشراء الكتب ونحو ذلك، وإنما تصرف في الأصناف الثمانية... وفي سبيل الله تختص بالجهاد». [فتاوى ابن باز ١٤ / ٢٩٤].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٩٨٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود الأم رقم: (١٧٣٦).

(٤) قال شيخ الإسلام **رحمته الله**: «ومن لم يحج حجة الإسلام وهو فقير أُعطي ما يحج به وهو إحدى الروايتين عن أحمد» [فتاوى الكبرى لابن تيمية ٥ / ٣٧٤].

٨- ابن السبيل .

يعني المسافر الذي انقطع في سفره وليس له ما يرجع به إلى بلده، وإن كان غنياً في بلده، يُعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده.

قوله: **(في وقت مخصوص)**، فمن الأموال الزكوية ما يزكى إذا حال عليه الحول كالنقدين، ومن الأموال الزكوية ما يزكى منه إذا تم حصاده كالخارج من الأرض من زروع وثمار^(١).

قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، يعني إذا حصد تخرج زكاته، وقد يحصد في العام مرتين أو ثلاثاً حسب نوع المحصول.

فائدة: إن اجتمع في واحدٍ من مستحقي الزكاة سببان، يجوز الأخذ بكل واحدٍ منهما منفرداً، كالفقير الذي عليه دينٌ، أُعطي بهما جميعاً، يُعطى ما يقضي به دينه، ثُمَّ يُعطى ما يُغنيه^(٢).

فائدة أخرى: من تدفع له الزكاة نوعان:

١- نوع يُعطى لحاجته ك: الفقير والمسكين وابن السبيل والغارم لنفسه.

٢- نوع يُعطى لحاجة المسلمين إليه وعموم نفعه كالعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، والغارم لإصلاح ذات البين، والإخراج في سبيل الله^(٣).

(١) هناك أشياء لا يشترط لها تمام الحول وهي:

الأول: الحبوب والثمار، تجب زكاته عند حصاده، الثاني: نتاج السائمة أي أولادها، تتبع الأمهات في الحول.

الثالث: ربح التجارة، فمن ملك نصاباً من النقود واتجر به وربح زكَّي رأس المال والربح.

الرابع: الرِّكاز، وهو ما يوجد من دفن الجاهلية، فيه الخمس، ويزكيه بمجرد وجوده.

(٢) المغني (٦ / ٤٨٨).

(٣) إرشاد أولى البصائر للشيخ عبد الرحمن السعدي [ص: ١٢٨].



السؤال التاسع والأربعون: عَرَّفِ الصَّيَامَ.



الجواب: هو التعبدُ لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النيَّة.



الصيامُ ركنٌ من أركان الإسلام، فَرَضَهُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ^(١)، وَدَلِيلُ فَرَضِيَةِ الصَّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أَيْ: لِكَيْ تَتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» ^(٢).

وقد ورد في فضل رمضان وصيامه أحاديث كثيرة منها:

١- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه» ^(٣).

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ» ^(٤)، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «صام رسول الله ﷺ رمضانَ تسعَ سنين؛ لأنه فَرِضَ فِي شَعْبَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ» [المجموع ٦ / ٢٥٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٦٠).

(٤) قوله: (الصَّيَامُ جُنَّةٌ)، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو بضم الجيم، ومعناه سترٌ ومانعٌ من الرِّفْثِ وَالْآثَامِ، وَمَانِعٌ أَيْضًا مِنَ النَّارِ» [شرح مسلم ٨ / ٣٠].

فلا يَرْفُثُ^(١) ولا يَصْخَبُ^(٢)، فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائمٌ^(٣)، والذي نفسُ محمدٍ بيده لخلوفٌ فم الصائمِ^(٤) أطيبُ عند الله من ريح المسكِ، للصائمِ فرحتانِ يفرحُهُمَا؛ إذا أفطرَ فرِحَ، وإذا لقي ربه فرِحَ بصومه^(٥).

٣- وعنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إذا كان أوَّلُ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ: صُفِّدَتْ^(٦) الشياطينُ ومردةُ الجنِّ^(٧)، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ، فلم يُفتح منها بابٌ، وفُتِحَتْ أبوابُ الجنةِ فلم يُغلق منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخير

(١) قوله: (فلا يَرْفُثُ)، الرَّفْثُ: الكلامُ الفاحشُ، ويُطلقُ على الجماعِ ومقدماته وعلى ذِكْرِهِ مع النساءِ. [انظر فتح الباري ٤/ ١٠٤].

(٢) قوله: (ولا يَصْخَبُ)، قال ابنُ حجر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «الصخبُ: الخصامُ والصَّياحُ» [فتح الباري ٤/ ١١٨].

(٣) الثابت في السُّنَّةِ أن يقول الصَّائمُ لمن شتمه أو قاتله: «إني امرؤٌ صائمٌ» كما جاء في الحديث، ولا يقل كما درج عند العامة: «اللهم إني صائمٌ».

(٤) قوله: (لخلوف فم لصائم)، بضم الخاء، قال ابن حجر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أي: تغير رائحته». [فتح الباري ١/ ١١٣].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٥١)، واللفظ للبخاري.

(٦) قوله: (صُفِّدَتْ الشياطين)، قال ابن الأثير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أي: سُدَّتْ وأوثقت بالأغلال» [النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٥].

(٧) فإن قيل: نرى الشرور والمعاصي تقع كثيراً في رمضان، فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شرٌّ، فيقال: إنها إنما تُغَلُّ عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، ورُوِّعَتْ آدابه، أو يقال: إن المصفدَ بعضُ الشياطين وهم المردة لا كلُّهم كما ثبت في بعض الروايات، أو يقال: إن المقصودَ تقليل الشرور في رمضان، وهذا أمرٌ مشاهدٌ محسوسٌ فإن وقوع الشرور فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور، إذ لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين ألا يقع شرٌّ، ولا معصية؛ لأن وقوع الشر والمعاصي له أسبابٌ آخرٌ غير الشياطين وهي: النفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية. [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣/ ١٣٦] و [فتح الباري ٤/ ١١٤].

أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»^(١).

والصيام لغةً: هو الإمساك، فكلُّ شيء أمسك الإنسانُ عنه فقد صام عنه.

وقد ورد هذا الاستعمال اللغوي في قول الله تعالى عن مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾** [مريم: ٢٦]، يعني نذرتُ أن تُمسِكَ عن الكلام.

والصَّيَامُ شرعاً: هو التعبدُ لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

قوله: **(هو التعبدُ لله)**، الواجب على المسلم أن يصوم رمضان إيماناً بأنَّ الله تعالى شرع له الصَّيَام، وأوجهه عليه، واحتساباً للأجر والثَّواب من الله تعالى، لا سُمعةً ولا رياءً ولا تقليداً للناس، ومتابعةً لهم.

قوله: **(بالإمساك عن المفطرات)**، فالصوم ليس عملاً يقوم به الإنسان، وإنما عمل يكفُّ عنه^(٢).

والمفطرات المتفقُ عليها هي:

١- الرّدة عن الإسلام^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٦٨٢)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة رقم: (١٩٦٠).

(٢) قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «فالصيام لجامُ المتقين، وجنةُ المحاربين، ورياضةُ الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو تركُ محبوبات النفس وملذوذاتها إثارةً لمحبة الله ومرضاته» [زاد المعاد بتصرف يسير ٢/ ٢٧].

(٣) قال ابنُ قدامة **رَحِمَهُ اللهُ**: «لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في أن من ارتدَّ عن الإسلام في أثناء الصوم، أنّه يفسد صومه... وذلك لأنَّ الصَّومَ عبادة من شرطها النية، فأبطلتها الردة، كالصلاة والحج» [المغني ٣/ ١٣٣].

٢- الأكل والشرب عمداً، وما في معناهما كالإبر المغذية.

أَمَّا مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ، أَوْ شَرِبَ؛ فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» ^(١)، وَ لَكِنْ يَجِبُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ أَنْ يُذَكِّرَهُ وَيُنَبِّهَهُ.

٣- الجماع ^(٢).

فَمَنْ جَامَعَ زَوْجَتَهُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَهُوَ صَائِمٌ فَعَلِيهِ كَفَارَةٌ مَغْلَظَةٌ، وَهِيَ عَتَقُ رَقَبَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَطْعَمَ سِتِينَ مَسْكِينًا، وَعَلَيْهِ قِضَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٣) مَعَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ^(٤).

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِ الْكِفَارَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تَعْتُقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٣٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٥٥)، واللفظ له.

* من أكل أو شرب ناسياً فلا شيء عليه، وهذا الحكم يشمل صيام الفريضة وصيام التطوع (النافلة).

(٢) قال ابن المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ يَخْتَلَفْ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الصَّائِمِ فِي نَهَارِ الصَّوْمِ الرَّفْثَ، وَهُوَ الْجَمَاعُ، وَالْأَكْلُ، وَالشَّرْبُ» [الإشراف على مذاهب العلماء ٣/ ١٢٠].

(٣) دليل وجوب القضاء ما جاء عند أبي داود رقم: (٢٣٩٣) بلفظ «وَصِمَّ يَوْمًا»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: (٢٣٩٣).

(٤) أما زوجته فإن كانت طاوَعته على ذلك الفعل فعليها كفارةٌ مثله، وإن أجبرها على الجماع فتقضي ذلك اليوم فقط.

فائدة: الاحتلام في نهار رمضان، وكذا خروج المذي من الصائم لا يفسدان صومه، والمذي: سائل شفاف لزج يخرج عند مقدمة الجماع أو تذكر الشهوة.

فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟»، قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرقٍ فيها تمر - والعرق المِكتلُ - قال: «أين السائل؟» فقال: أنا، قال: «خذها، فتصدق به» فقال الرجل: أعلَى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك» (١).

٤- خروج دم الحيض والنفاس (٢).

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كان يُصينا ذلك، فنؤمرُ بقضاء الصوم، ولا نُؤمرُ بقضاء الصلاة» (٣).

٥- القيءُ عمدًا.

والدليل قوله ﷺ: «من ذرعه قيءٌ وهو صائمٌ فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض» (٤).

قوله: (من طلوع الفجر إلى غروب الشمس)، الصيام له وقت محدد شرعاً يبدأ بطلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، يعني إلى الليل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٣٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١١١)، واللفظ للبخاري، وفي رواية لمسلم رقم: (١١١٢)، أن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: أتى رجلٌ إلى رسول الله ﷺ في المسجد في رمضان، فقال: يا رسول الله، احترقتُ، احترقتُ.

(٢) يجوز للمرأة أن تأخذ حبوبَ منع الحيض وصيامها صحيح وليس عليها قضاء إلا إذا كان يضربها فلا يجوز أن تأخذها، والأفضل عدم أخذ حبوب منع الحيض لأنها غالباً تضرها. [قاله المؤلف حفظه الله].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٣٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٩٢٣).

قال ابن المنذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأجمعوا على أنه لا شيء على الصائم إذا ذرعه القيء... وأجمعوا على إبطال صوم من استقاء عمدًا». [الإجماع ص: ٤٩].

والإمساك عن المفطرات يكون مع الأذان الثاني ولا اعتبار للإمساك المذكور في التقاويم (١).

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قوله: (مع النية) يجب تبييت النية لصيام الفرض من الليل لقوله **صلى الله عليه وسلم**: «من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له» (٢)، والنية محلها القلب، ولا يُشرع التلفظ بها (٣).

ويجزئ تبييت النية من أول ليلة من رمضان ما لم يقطع الصيام لعذر السفر أو المرض أو الحيض فيلزم استئناف النية.

فائدة مهمة: لا يصح الصيام مع ترك الصلاة؛ لأنَّ تارك الصلاة كافرٌ، والدليل قول النبي **صلى الله عليه وسلم**: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (٤).

قال ابن القيم **رحمه الله**: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمهُ عند الله أعظم من إثم قتل النفس

(١) وهذا الإمساك يكون قبل أذان الفجر بربع ساعة، وهو مخالف للشرع، فالشرع جعل بداية الإمساك الأذان الثاني.

(٢) أخرجه النسائي في سننه رقم: (٢٣٣٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٩١٤). أمَّا صوم النَّفل فيجوز أن ينويه الإنسان من النهار بشرط ألا يأتي بشيء من المفطرات قبل ذلك، ويحصل له الثواب من وقت النية.

(٣) من تسحر ليصوم، أو امتنع عن الأكل أو الشرب أو الجماع خوف طلوع الفجر كان ذلك نية. [انظر مغني المحتاج للشربيني الشافعي ١٤٨/٢].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٢).

وأخذ الأموال، ومن إثم الزنى والسرقة وشرب الخمر، وأنه مُتَعَرِّضٌ لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة» (١).

فائدة: من أفطر يوماً من رمضان متعمداً بلا سبب يبيح له الإفطار فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بزبعتي وساق الحديث، وفيه قال: ثم انطلقا بي فإذا قوم معلقون بعراقيبهم، مشقة أشد اقهم تسيل أشداقهم دمًا، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم» (٢).

فائدة أخرى: هناك أربعة أعمالٍ أطلق الله الثواب فيها ولم يُحدّد لها ثواباً معيناً، وهي:

١- الصبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٢- العفو، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ٤٠].

(١) كتاب الصلاة وأحكام تاركها (ص: ٣١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (٣٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٩٥١)، ثم قال بعده: هذه عقوبة من صام ثم أفطر عمداً قبل حلول وقت الإفطار، فكيف يكون حال من لا يصوم أصلاً؟!

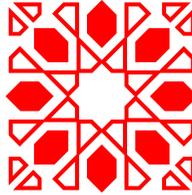
* قال الذهبي رحمه الله: «وعند المؤمنين مقررٌ من يترك صوم رمضان بلا مرض ولا غرض فإنه شرٌّ من الزاني والمكّاس ومدمن الخمر، بل يشكّون في إسلامه ويظنون فيه الزندقة والانهلال». [الكبائر ص: ٣٦].

المكّس: النقص والظلم، وهو ضريبة يأخذها المكّاس ممن يدخل البلد للتجارة.

قوله صلى الله عليه وسلم: (بِضَبْعِي) (العضد كلها أو الإبط). [انظر تاج العروس للزبيدي ٢١ / ٣٨٥].

٣- الصوم، قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...»^(١).

٤- الهجرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٥١)، واللفظ للبخاري.



**السؤال الخمسون: أكمل الحديث: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان ...»**



الجواب: إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(١).



بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلَ صَوْمِ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا.
قوله **صلى الله عليه وسلم**: (إيمانًا)، أي: أن يؤمنَ المسلمُ أن هذا الصَّوْمَ شَرَعَهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**،
وأوجبه وأرسل به رسوله **صلى الله عليه وسلم**.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: (واحتسابًا)، أي: طلبًا للأجر وانتظارًا للثواب من الله **عَزَّوَجَلَّ**،
فالمسلم يصوم رمضان وهو مؤمنٌ بمشروعيته ووجوبه، والثَّوَابِ المترتبِ عليه.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: (غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه)، أي: ما مضى من الذنوب، والمقصود
بالحديث صغائر الذنوب، وأمَّا الكبائر فلا تكفِّرُها إلا التوبة النصوح، والدليل
قوله **صلى الله عليه وسلم**: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ،
مكفّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتنبتِ الكبائرُ»^(٢).

فائدة: من خصائص نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم** أن الله **عَزَّوَجَلَّ** غفر له ما تقدّم من
ذنوبه وما تأخّر.

والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

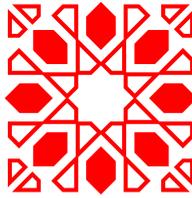
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٣).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في حديث الشفاعة في وصف حال الناس يوم القيامة: «... فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر»^(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثبت في الصحيح^(٢) أن هذه الآية لما نزلت قال الصحابة يا رسول الله هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** [الفتح: ٤]، فدل ذلك على أن الرسول والمؤمنين علموا أن قوله: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** مختص به دون أمته»^(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح: ٤]، «هذا من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٤).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٤٠)، ومسلم رقم: (١٩٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤١٧٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾** [الفتح: ١]، قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئًا مريئًا، فما لنا؟ فأنزل الله: **﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [الفتح: ٥]...».

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٣١٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/٦٦٨).



السؤال الحادي والخمسون: عرّف الحجّ؟



الجواب: هو التعبّد لله تعالى بقصد بيته الحرام،
لأعمالٍ مخصوصةٍ في زمنٍ مخصوصٍ.



الحجّ رُكنٌ من أركان الإسلام، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، ...»^(١).

والحجّ عبادةٌ عظيمةٌ معروفةٌ قبل الإسلام، فقد أمر الله تعالى إبراهيمَ وابنه إسماعيلَ **عليهما السلام** ببناء البيت ورفع قواعد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بَرهْمًا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وأمره أن يؤدّن في الناس بالحجّ، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

ولا يزال الناس يحجّون إلى بيت الله العتيق ويقصدونه بالتعظيم وأنواع القربات من عهد إبراهيم **عليه السلام** إلى أن جاء الإسلام ففرض الله الحجّ في السنة التاسعة من الهجرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦)، واللفظ للبخاري.
(٢) قال ابن كثير **رحمه الله** في تفسيره: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، «هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل: بل هي قوله تعالى: ﴿وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والأول أظهر» [تفسير ابن كثير ٢/ ٨١].

فَحَجَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْهَجْرَةِ حَجَّةَ الْوُدَاعِ، وَقَالَ ﷺ: «لَتَأْخُذُوا مِنَّا سَكَمًا»^(١).

فائدة: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ الْهَجْرَةِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ بَعْدَ فَرَضِ الْحَجِّ حَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ، حَجَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ، وَحِجَّةً بَعْدَمَا هَاجَرَ، وَمَعَهَا عُمْرَةٌ...»^(٢).
وَالْحَجُّ لُغَةً: الْقَصْدُ.

وَشَرْعًا: هُوَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَصْدِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ لِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ فِي زَمَنِ مَخْصُوصٍ.

قوله: (هو التعبد لله تعالى)، فيجب أن يقصد الحاج بحجّه وجه الله تعالى والتقرّب إليه لا الرياء والسّمعة.

قوله: (بقصد بيته الحرام)، من شروط قبول العبادة أن تكون في المكان الذي شرعت فيه^(٣)، فالحجُّ شرع إلى بيت الله الحرام.

وهناك من يحجُّ إلى القبور والمزارات، وهذا ليس بمشروع، فلا يوجد في دين الله حجٌّ مشروعٌ إلا إلى بيت الله الحرام، حتى قبر النبي ﷺ لا يُشرع للمسلم الحجُّ إليه، ولا شدُّ الرِّحالِ إليه، ومن يسافر إلى المدينة النبوية فليكن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٢٩٧)، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى رقم: (٩٥٢٤)، ولفظه: «خُذُوا عَنِّي مَنَّا سَكَمًا».

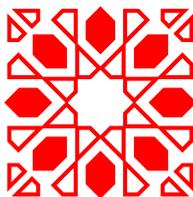
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٨١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٨١٥).

(٣) من شروط قبول العمل موافقته للسنة في الكمّ، والكيف، والزّمان، والمكان، والسبب، والجنس، وقد سبق في كلام المؤلف تفصيل ذلك. (ص: ٤٤).

قصده زيارة مسجد الرسول **صلى الله عليه وسلم** والصلاة فيه (١).

قوله: **(لأعمالٍ مخصوصةٍ)**، كالإحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، فالحاج مأمور بالاتباع لا بالابتداع.

قوله: **(في زمنٍ مخصوص)**، فتؤدَّى مناسكُ الحج في زمنٍ مخصوص وهو أشهرُ الحج، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، قال تعالى: ﴿**أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**﴾ [البقرة: ١٩٧].



(١) قال الشيخ ابن باز **رحمه الله**: «ليست زيارة قبر النبي **عليه الصلاة والسلام** واجبة ولا شرطاً في الحج كما يظنه بعض العامة وأشباههم، بل هي مستحبة في حق من زار مسجد الرسول **عليه الصلاة والسلام** أو كان قريباً منه». [التحقيق والإيضاح ص: ١٠١].

* ومن البدع المنتشرة في بعض كتب مناسك الحج أنهم يقولون: «من آداب زيارة المدينة أن تتقدم إلى قبر الرسول **عليه الصلاة والسلام** ثم تقول: «يا رسول الله سامحني»، وهذا شرك بالله تعالى؛ لأن مغفرة الذنوب والعتو عنها حق لله **بإذنه** يطلب منه وحده لا شريك له، ﴿**وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وكثير من الناس في بعض البلاد الإسلامية يقول: مدد يا رسول الله، والله تعالى يقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]، ولم يقل: ادعوا رسولي، بل أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، فلماذا يدعى غيره؟». [تذكير الأخيار بشرح دعاء سيد الاستغفار للمؤلف ص: ٢٣].

السؤال الثاني والخمسون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ لله فلم يرفُث ولم يفسُق...؟»

الجواب: رجع كيوم ولدته أمه^(١).

الحج عبادة عظيمة جليلة، وله فضائل كثيرة، ومنها ما ثبت في هذا الحديث عن النبي ﷺ.

قوله ﷺ: «من حجَّ لله فلم يرفُث»، الرِّفْثُ: هو الكلامُ الفاحش، ويُطلقُ على الجماع ومقدماته.

قوله ﷺ: «ولم يفسُق»، يعني لم يأتِ بالمعاصي والسيئات، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]^(٢).

قوله ﷺ: «رجع كيوم ولدته أمه»، أي: ليس عليه ذنوبٌ ولا خطايا. ومن فضائل الحج أيضاً:

١- أنه سبب لرفعة الدرجات، وتكفير الذنوبِ والموبقات.

قال النبي ﷺ: «فإنك إذا خرجت من بيتك تؤمُّ البيت الحرام لا تضعُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٥٢١)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٣٥٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ﴾: «أي: من أحرم بالحج أو العمرة، فليجتنب الرِّفْثَ، وهو الجماع، كما قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَاةِ الرَّفْثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك، وكذا التَّكَلُّمُ به بحضرة النساء» [تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٣].

ناقتك خُفًّا، ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنةً، ومحا عنك خطيئةً، وأما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبةٍ من بني إسماعيلَ، وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبةً، وأما وقوفك عشية عرفة فإنَّ الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يَهْبِطُ إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤوني شعثًا من كُلِّ فج عميقٍ يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرملِ، أو كقطر المطرِ، أو كزبد البحر لغفرها، أو لغفرتُها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتُم له، وأما رميك الجمار فلك بكلِّ حصة رميتها كبيرةً من الموبقات، وأما نحرُك فمذخورٌ لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكلِّ شعرة حلقتها حسنةً، ويُمحي عنك بها خطيئةً، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوفُ ولا ذنب لك، يأتي مَلَكٌ حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: **اعْمَلْ فيما تستقبلُ فقد عُفِرَ لك ما مضى**»^(١).

٢- أنه سبب لإزالة الفقر ومغفرة الذنوب.

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «تابعوا بين الحجِّ والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»^(٢).

٣- أن الحاج يلبي معه الشجر والحجر حتى تنقطع الأرض عن يمينه وشماله. والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ما من مسلم يلبي إلا لبي من عن يمينه أو عن شماله،

(١) أخرجه البزار في مسنده رقم: (٦١٧٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١١١٢): حسنٌ لغيره.

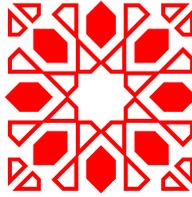
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٢٠٠). قوله **صلى الله عليه وسلم**: (كما ينفي الكير)، الكير: هو ما ينفخ فيه الحداد ليُشعل النار. وقوله: (خبث الحديد)، قال ابن الأثير **رحمه الله**: «هو ما تلقيه النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا». [النهاية في غريب الحديث ٢/ ٥].

من حجرٍ، أو شجرٍ، أو مَدْرٍ حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا»^(١).

٤- أن الله تعالى يباهي بالحجاج في عرفة الملائكة.

قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار

من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»^(٢).



(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٨٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٧٧٠).

قوله ﷺ: «البي من عن يمينه وشماله، من حجرٍ، أو شجرٍ، أو مَدْرٍ»، المدر جمع مدرة، وهي قطعة الطين اليابس، يعني يوافقته في التلبية كل رَطْبٍ ويابسٍ مما حوله. [انظر فيض القدير للمناوي [٥/٤٩٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٣٤٨).



السؤال الثالث والخمسون: ما أركان الإيمان؟



الجواب: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله،
واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله.



أركان الإيمان ستة، ويقال لها: أصول الإيمان، وقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).
قوله: (الإيمان بالله)، هو الأصل الأصيل العظيم؛ ومنه تتفرع بقية أركان الإيمان الخمسة.

والإيمان لغةً: الإقرارُ بالشيء عن تصديق به.

وأما شرعاً: فهو إقرارُ بالجنان، وقولُ باللسان، وعملُ بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم: (٤٧٧٧)، ومسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم: (٨)، واللفظ له.
قال القرطبي رحمه الله: «فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه: إنه أمُّ السُّنةِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ جُمَلِ عِلْمِ السُّنةِ» [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/١٥٢)].
(٢) الإسلام والإيمان من الكلمات التي إذا اجتمعت في الذكر افتترقت في المعنى، وإذا افتترقت في الذكر اجتمعت في المعنى.

مثال اجتماعهما في نصٍّ واحد قوله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة...، الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته...»، فالإسلام يراد به أركان الإسلام وهي أعمال ظاهرة، والإيمان يقصد به أركان الإيمان وهي أعمال باطنة، وأما قوله تعالى: ﴿فَتَحَرُّرٌ رَقَبَةٍ مَوْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فمعناه مسلمة مؤمنة.

والإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ** يقتضي أربعة أمورٍ، لا يمكن أن يتمَّ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمن بها جميعاً:

الأول: الإيمانُ بوجوده.

الثاني: الإيمانُ بربوبيته.

الثالث: الإيمانُ بألوهيته.

الرابع: الإيمانُ بأسمائه وصفاته.

الأول: الإيمان بوجودِ الله، فيجبُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يُؤْمِنَ بوجودِ الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد دَلَّ على وجودِ الله الكتابُ، والسنةُ، والإجماعُ، والعقلُ، والفطرةُ، والحسُّ، وأجمعت عليه الشرائعُ كُلُّها.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: «جميع الشرائع دالة على الخالق، وعلى كمال علمه، وحكمته، ورحمته؛ لأنَّ هذه الشرائع لا بدَّ لها من مُشَرِّع، والمُشَرِّع هو الله **عَزَّوَجَلَّ**» (١).

والدليل الحسِّيُّ على وجودِ الله تعالى هو استجابته لعباده؛ فلو لم يكن موجوداً لما استجاب لهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فما من إنسانٍ إلا ويتذكَّرُ كم استجاب اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** له، إن لم يستجب اللهُ تعالى دعاءه بلسانِ مقاله، فقد استجاب دعاءه بلسانِ حاله.

بل وما من نبِيٍّ إلا وذكر اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه أنه استجاب له، فهذا نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** دعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، فاستجاب اللهُ له، قال اللهُ تعالى: ﴿فَفُتِحْنَا

(١) شرح السفارينية (ص ٤٤).

أَتَوَبَ السَّمَاءُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ ^(١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ^(١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ
الْوَجْهِ وَدُوسٍ ^(١٣) [القمر: ١١].

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم دعا ربه عز وجل فقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من
أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» ^(١)؛ إذ لو هلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة
وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة رضي الله عنهم لانتهى الإسلام وأهله، فدعا ربه دعاءً عظيمًا
ذكره الله تعالى في كتابه فقال: ﴿إِذْ نَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

حتى المشركون عبَاد الأصنام والأوثان إذا ركبوا الفلك وغشيه المومج
دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا
اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا فَجَّحْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

والفِطْرَةَ السَّليمة دَلَّت على وجود الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فلا يُنكر وجود الله في الغالب الأعظم إلا مكابرٌ كما قال الله تعالى: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا
وَأَسْتَقْبَتْنَهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

حتى فرعون لما قال: (أنا ربكم الأعلى) قال ذلك على سبيل المكابرة،
وإبليس يقرُّ بوجود الله تعالى، ويقرُّ بأن الله عز وجل خلقه؛ كما قال عز وجل مخاطبًا
إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

الثاني: الإيمان بالربوبية، ومعنى الإيمان بالربوبية أن نعتقد أن الله عز وجل
متفرد بأفعاله، فلا يتيمُّ إيمان عبد حتى يؤمن بأن الله عز وجل هو وحده الخالق
المالك المُدبِّر.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٧٦٣).

ولا يكفي العبدَ إيمانه بالربوبية فقط، ليكون إيماناً صحيحاً، وتوحيداً كاملاً فالمشركون كانوا يُقَرُّون بأنَّ اللهَ **عَزَّوَجَلَّ** هو الرَّبُّ الخالق، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ومع ذلك قاتلهم النبيُّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ولم يعدَّهم مسلمين موحدين لمجرد إقرارهم بأنَّ اللهَ خالقهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** عن الإيمان بتوحيد الربوبية: «هذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب» (١).
أي: أن الإيمان بتوحيد الربوبية واجب لكن لا يتم به الواجب، إذ الواجب يتم بالإيمان بوجود الله، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

الثالث: الإيمان بالألوهية، أي: أن تعتقد أن الله يستحقُّ العبادة، فهو الإله الحقُّ، وكلُّ ما يُعبد من دونه فهو معبودٌ بالباطل، حتَّى لو كان من الأنبياء المرسلين، أو الملائكة المُقَرَّبِينَ، أو الأولياء الصَّالحين، أو الشَّمسِ أو القمرِ، أو غير ذلك، فليس هناك إله يستحقُّ العبادة إلا الله، وهذا معنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحقِّ إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا كِدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ومع هذا الاعتقاد لا بدُّ من عبادته وحده لا شريك له.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته، فنؤمن بما جاء في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وعلى لسان رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فنُسِّبُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** ما له من الأسماء الحسنَى والصفاتِ العُلا، من غير تعطيلٍ ولا تحريفٍ، ومن غير تمثيلٍ ولا تكيفٍ، لقوله تعالى:

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٨٧).

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قوله: (وملائكته)، وهم خَلْقٌ عَظِيمٌ من خلق الله عَزَّوَجَلَّ، و عَالَمٌ غَيْبِي، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، ومن أنكر وجودهم فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

- ١- الإيمان بوجودهم.
 - ٢- الإيمان بأسماء من ثبت اسمه منهم؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، ومُنكر ونكير.
 - ٣- الإيمان بما ثبت من صفاتهم الخَلْقِيَّة، والخَلْقِيَّة.
 - ٤- الإيمان بما ثبت من أعمالهم.
- والملائكة لهم صفاتُ خَلْقِيَّةٌ وَخُلُقِيَّةٌ، فمن صفاتهم الخَلْقِيَّة:
- ١- أن الله خلقهم من نور، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ...»^(١).

٢- أنهم ذوو أجنحة، والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

ومن صفاتهم الخُلُقِيَّة:

- ١- أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.
- ٢- يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٦).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله...»^(١).

وللملائكة وظائف كثيرة ثابتة في الكتاب والسنة منها: قبض الأرواح، ونفخ الروح في الأجنة، ومنهم خزنة للجنة، وخزنة للنار، ومنهم سيّاحون في الطرقات يلتمسون مجالس الذكر، وينزلون لنصرة المؤمنين، ويقفون على أبواب المساجد يوم الجمعة، ويستغفرون للذين آمنوا، ومنهم من وكّل بالمطر، ومنهم المعقبات يحفظون العبد من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلّوا عنه، ومنهم المؤكّل بحفظ عمل العبد من خير أو شرّ وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بفتنة القبر، ومنهم من وكّل بالوحي إلى رسل الله من البشر.

وأفضلهم جبريل عليه السلام ثم من شهد بدرًا كما جاء في حديث معاذ بن رفاعة ابن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تعدّون أهل بدر فيكم، قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»^(٢).

والملائكة خلق كثير لا يحصيهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ومما يدل على كثرتهم أيضًا ما ورد في حديث الإسراء والمعراج، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «فرّغ لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٤٤٩).

قوله صلى الله عليه وسلم: (أظت السماء)، الأظيط: صوت الرّحل الذي يصدر إذا جلس عليه الركب من الثقل، وأظيط السماء سببه كثرة الملائكة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٩٩٢).

المعمورُ يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خر جوارم يعودوا إليه آخر ما عليهم^(١).

وللايمان بالملائكة ثمرات كثيرة منها:

أولاً: العلم بعظمة خالقهم **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وقوته وسلطانه.

ثانياً: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثاً: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين^(٢).

قوله: (**وكتبه**)، الكتب جمع كتاب، والمقصود بها الكتب المنزلة، وهي كلام الله تعالى الذي أنزله على رسله لهداية الخلق إلى الحق.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجودها حقاً.

٢- الإيمان باسم ما ثبت اسمه منها: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، والقرآن.

٣- الإيمان بمن نزلت عليهم، فالتوراة أنزلت على موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، والإنجيل أنزل على عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والزبور أنزل على داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وصحف إبراهيم وموسى أنزلت على إبراهيم وموسى **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، والقرآن أنزل على نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم رقم: (١٦٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ** [ص: ٣٢].

٤- الإيمان بأنها حق وهدى ليس فيها شيء من الباطل بل هي كلام الله تعالى.
وخير الكتب المنزلة والحاكم عليها القرآن العظيم، وجميع الكتب نزلت مؤقتة وتعرضت للتحريف إلا القرآن؛ لأن الله تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ويكفي في ذلك الإيمان بها إجمالاً، وأما الإيمان بها على وجه التفصيل ففي ذلك زيادة إيمان.

والإيمان بالكتب يثمر للعبد ثمرات جليلة منها:

- ١- العلم بعناية الله بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.
 - ٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].
 - ٣- العناية بالقرآن العظيم، بقراءته وتدبره وفهم معانيه والعمل به^(١).
- قوله: **(ورسليه)** اصطفى الله عز وجل الرسل واختارهم لتبليغ دينه وشرعه للناس، وجعلهم حجة بينه وبين خلقه، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]^(٢).
- والرسل كلهم رجال ليس فيهم امرأة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩].

و الإيمان بالرسول هو الركن الرابع من أركان الإيمان^(٣)، فمن كفر برسول

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين [ص: ٣٨ بتصرف].

(٢) دلت الآية على أنه لا يحتج بالقدر، إذ لو كان حجة لما انقطعت الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

(٣) الرسول: هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وقد تقدم الكلام في بيان الفرق بين الرسول والنبي [ص: ٥١].

وكذّبه فقد كذّب جميع الرسل؛ لأن دعوة الرسل كلهم واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، والدليل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ونوح أول الرسل، ولكن لما كان تكذيب رسول واحد تكذيباً للرسل كلهم قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ومن آمن ببعض الرسل وكذّب بعضهم فهو كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠: ١٥١].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

الثاني: الإيمان بمن ثبت اسمه منهم مثل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، ومن ذكر منهم إجمالاً ولم نعلم اسمه وجب علينا الإيمان به إجمالاً، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: التصديق بما صحّ من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وقد جمّل الله الرسل بالأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة، وعصمهم من الأخلاق السيئة كالكذب والخيانة، وهم معصومون كذلك من الشرك والكفر وكبائر

الذنوب، وتجوز عليهم صغائر الذنوب، ومن ارتكب منهم شيئاً ممّا حرم الله **عَزَّوَجَلَّ** فإنه يبادر ويتوب، ويكون ذلك خيراً له كما أكل آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من الشجرة فتاب الله عليه.

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فإنَّ القول بأنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»^(١).

والرسل هم أشد الناس بلاءً، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثمَّ الصالحون، ثمَّ الأمثل، فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقةٌ خُفِّف عنه، وما يزال البلاءُ بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئةٌ»^(٢).

ومن أمثلة ما جرى للرسول من البلاء ما ابتلى الله به أيوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فقد أصابه مرض جعل الناس يتبعد عنه، فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إنَّ أيوبَ نبيِّ الله كان في بلائه ثمانى عشرة سنةً فرَفَضَهُ القريبُ والبعيدُ، إلا رجلاً من إخوانه كانا من أخصَّ إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه، فقال أحدهما لصاحبه: **أَتَعْلَمُ**، والله لقد أذنبَ أيوبُ ذنباً ما أذنبه أحدٌ، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذُ ثمانى عشرة سنةً لم يرحمه الله فيكشفُ عنه! فلماً راحا إليه لم يصبر الرجلُ حتى ذكرَ ذلك له، فقال أيوبُ: لا أدري ما يقول غير أن الله يعلمُ أنني

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٤٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٩٩٢).

كنتُ أمرُّ على الرَّجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجعُ إلى بيتي فأكفّرُ عنهما كراهيةً
أن يُدكرَ الله إلا في حقٍّ، وكان يخرجُ إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته
بيده حتى يبلعَ، فلَمَّا كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوبَ في مكانه أن:
﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ [ص: ٤٢]، فاستبطأته فلقيته ينتظرُ، وأقبل عليها
قد أذهبَ اللهُ ما به من البلاءِ، وهو على أحسن ما كان، فلَمَّا رأته قالت: أيُّ بارك
اللهُ فيك، هل رأيتَ نبيَّ الله هذا المُبتلى؟ ووالله على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبه به
منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو، وكان له أندرانِ أندرٌ للقمحِ وأندرٌ
للشعيرِ، فبعثَ اللهُ سحابتين، فلَمَّا كانت إحداهما على أندرِ القمحِ فرغَتْ فيه
الذَّهَبَ حتَّى فاض، وأفرغتِ الأخرى في أندرِ الشعيرِ الورقِ حتَّى فاض» (١).

والرسل بشر ليس لهم من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء، وقد أمر اللهُ
عزَّجَلَّ نبيه محمداً **صلى الله عليه وسلم** أن يقول: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ
كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾
[الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ٩٣]،
وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا
مَلَكًا فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان: ٧].

فالرسول يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق ويتزوَّج وقد جعل اللهُ تعالى له
ذريةً، وكان ينسى أحياناً، والحرب مع أعدائه دُولٌ ﴿**إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ
الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّوْا لَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَيَّضَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَهُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقد أصاب من المشركين يوم بدر، ثم

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: (٣٦١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٧).

قوله: (أندر للقمح)، قال ابن الأثير **رحمه الله**: «الأندر: البيدر، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام، والأندر أيضاً صبرة من الطعام». [النهاية لابن الأثير ١/ ٧٤].

أصابوا من المسلمين يوم أحد، وقتلوا منهم سبعين، وشجَّ رأسه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته، وكان يؤذى ويصبر في سبيل الله.

والإيمان بالرسول له ثمرات جليلة منها:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسول ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأن العقل لا يستقل بمعرفة ذلك.

٢- محبة الرسول عليهم السلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته، والنصح لعباده ^(١).

قوله: **(واليوم الآخر)** الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة.

واليوم الآخر: هو اليوم الذي يبعث الله فيه الناس للحساب والجزاء، وكثيراً ما يقرن الله تعالى في كتابه الكريم بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآئِرَّ مَنَءَ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿فَإِن نَّنَزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ لأن الإيمان باليوم الآخر يُوجبُّ للعبد أن يسارع إلى الخير ويتعد عن الشر لعلمه أن الجزاء الكامل سيكون يوم القيامة ^(٢).

ومما يدل على عظم شأن هذا اليوم كثرة أسمائه، التي تدلُّ على كثرة الحوادث في هذا اليوم، ومن هذه الأسماء ^(٣):

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين [ص: ٤٣].

(٢) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين بتصرف [ص: ٣٩٤].

(٣) قال القرطبي رحمته الله: «وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه... فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سمّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة»، [التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص: ٥٤٤].

١- يوم القيامة الذي تقام فيه الموازين ويقوم الناس من قبورهم لرب العالمين.

٢- اليوم الآخر لأن آخر ليلة من ليالي الدنيا تكون صبيحتها اليوم الآخر، ولا يوم بعده من أيام الدنيا.

٣- يوم الحشر: لأن الله يحشر فيه الأولين والآخرين.

٤- يوم البعث: لأن الله يبعث الناس من قبورهم.

٥- يوم الحساب: لأن الله يحاسب الناس جميعاً.

٦- يوم الجزاء: لأن الله يجازيهم على أعمالهم.

وغير ذلك من الأسماء الثابتة في الكتاب والسنة لهذا اليوم العظيم.

و إقامة هذا اليوم تدلُّ على حكمة الله وعدله، ولولا قيام القيامة وبعث الناس للحساب والجزاء لكان خلق الله للإنس والجن عبثاً، والله تعالى منزه عن ذلك قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) **فَتَعَلَى اللَّهِ** **الْمَلِكِ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** [المؤمنون ١١٥: ١١٦].

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير متعلين، عراة غير مستترين، عُراً غير مختونين.

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: فيحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه.

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنها المآل الأبدي للخلق (١).

(١) شرح ثلاثة أصول للشيخ ابن عثيمين [ص: ١٠٠].

والإيمان باليوم الآخر له ثمرات جلييلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعات، والبعد عن المعاصي والموبقات.

الثانية: العلم بفضل الله وعدله.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرحوه من نعيم الآخرة وثوابها.

قوله: **(وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرُّهُ مِنْ اللَّهِ)**، فتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن

من أفعال الله أنه عَلِمَ، فَكُتِبَ، فَشَاءَ، فَخَلَقَ^(١).

والإيمان بالقدر يتضمن أربع مراتب:

الأولى: العلم، فتؤمن بأن الله قد عَلِمَ مقادير كُلِّ شيء، وعلم كل شيء

جملة وتفصيلاً، ما كان وما يكون، حتى الذي لم يقع يعلمه الله، وعلمه تعالى

أحاط بكل شيء، سواء ما يتعلق بأفعاله، أو أفعالِ خَلْقِهِ، وعلمه كامل، لم يُسْبَقْ

بجهل، ولا يَلْحَقُهُ نسيان.

قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

سَقَطَ مِنْ رِزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَدِنِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

[الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِدَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

(١) قال بعض العلماء: إنَّ أركانَ الإيمان خمسة؛ لأنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ داخلٌ في الإيمان

بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وإنما ذكِرَ القدرُ على انفراد لأهميته وكثرة الزلل فيه، فهو من أفعال الله، ولذلك

أعاد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الفعل (تؤمن)، بيانياً لأهمية القدر.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللهُ**: «شهدَ تعالى للمؤمنين بأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم...

فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد الإيمان الخمسة التي لا يكون أحدٌ مؤمناً إلا بها،

وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر» [مجموع الفتاوى (١٤/١٣٤)]. =

الثانية: الكتابة، فنؤمن بأن الله تعالى كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة...»^(١).

وقال **صلى الله عليه وسلم**: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٢).

فالله تعالى علم كل شيء وكتب مقادير كل شيء حتى إنه كتب أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»^(٣).

الثالثة: المشيئة، فنؤمن بأن الله مشيئة نافذة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لحكمه، ولا مبدل لقضائه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ^(٤).

الرابعة: الخلق، فنؤمن بأن الله خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ

= وقال ابن القيم **رحمه الله**: «علم أصول الإيمان الخمسة الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الإيمان» [مفتاح دار السعادة (١/٤٤٢)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٠١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٤٧).

(٤) قال الشيخ ابن عثيمين **رحمه الله**: «أود أن أتبه على كلمة دارجة عند العوام، حيث يقولون: (يا من أمره بين الكاف والنون)، وهذا غلط عظيم، والصواب: (يا من أمره بعد الكاف والنون)؛ لأن ما بين الكاف والنون ليس أمراً، فالأمر لا يتم إلا إذا جاءت الكاف والنون» [شرح الأربعين النووية ص: ٧٦].

كُلِّ شَيْءٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿[الزمر: ٦٢] ، وقال: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فائدة: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كلُّ أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر، ونفس المُحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض، وتناقض القول يدلُّ على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول»^(١).

فائدة أخرى: قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن الدعاء قد يرد القضاء، كما جاء في الحديث: «لا يرد القدر إلا الدعاء»^(٢).

وكم من إنسان افتقر غاية الافتقار حتى كاد يهلك، فإذا دعا أجاب الله دعاءه، وكم من إنسان مرض حتى أيس من الحياة فدعا الله تعالى فاستجاب له، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فذكر حاله يريد أن يكشف الله عنه الضُّرَّ، قال الله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَفَّسْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا المقام يُنكَّرُ على من يقولون: (اللهم إني لا أسألك ردَّ القضاء ولكن أسألك اللطف فيه) فهذا دعاء بدعي باطل؛ لأن معناه أنه مستغن، أي افعل ما شئت ولكن خفف، وهذا غلط، فالإنسان يسأل الله عَزَّوَجَلَّ رفع البلاء نهائياً فيقول مثلاً: اللهم عافني، اللهم ارزقني وما أشبه ذلك»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩).

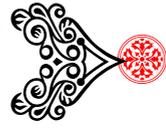
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٤٠٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم: (٤٠٢٢).

(٣) شرح الأربعين النووية [ص: ٨٠].

(٤) شرح الأربعين النووية [ص: ٧٩].



السؤال الرابع والخمسون: اذكر أسماء ثلاثة



من الملائكة.



الجواب: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.



جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أفضل الملائكة، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بالتوسل بربوبية الله العامة والخاصة لهؤلاء الملائكة الكرام، وقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١).

وأفضل هؤلاء الثلاثة هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وله أسماء أخر منها: الروح الأمين، وروح القدس.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٧٧٠).

* قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات، فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة. فجبريل: صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل: صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل: صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحييت نفخته بإذن الله الأموات، وأخرجتهم من قبورهم». [زاد المعاد ١/ ٤٤].

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ ﴿٢١﴾ [التكوير: ١٩: ٢١]، فهذا جبريلُ، فوصَّفه بأنه: رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاعٌ في السماوات، وأنه أمينٌ على الوحي، فمن كرمه على ربِّه أنه أقرب الملائكة إليه.

ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوطٍ على جناحه، ثم قلبها عليهم، فهو قويٌّ على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى.

ووصَّفه بالأمانة يقتضي صدقه ونُصْحَه، وإلقاءه إلى الرسل ما أمر به من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان. فالمكانة، والأمانة، والقوة، والقرب من الله ^(١).

ومن فضائل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيضًا:

١- أن الله تعالى دافع عنه وبين أن من كان عدوًّا لجبريل فهو عدو لله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

٢- أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧].

٣- أنه شهد غزوة بدرٍ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «هذا جبريلُ، آخذُ برأسِ فرسه، عليه أداة الحرب» ^(٢).

٤- أن الله تعالى ذكر اسمه مع اسمه دون بقية الملائكة، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَطَّهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٨٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٩٩٥).

وقد كان لجبريل مع النبي ﷺ شأنٌ عظيمٌ فهو صاحبه في غار حراء في أول يوم من أيام نبوته، وتمثل له رجلاً وكلمه ورآه في صورته التي خلقت عليها مرتين، وكان النبي ﷺ يتشوق للقاء جبريل ويطلب منه عدم التأخر في الزيارة، وكان يدخل بيته ويقري نساءه سلام الله وسلامه، وحضر معه بعض غزواته، وصحبه في الإسراء والمعراج، وصلى به إماماً في الصلاة، ودارسه القرآن، ونزل ليرقيه من السحر، إلى غير ذلك من الأعمال الشريفة التي تدل على عظيم مكانته عند الله (١).

ومن الملائكة الكرام ميكائيل ويقال عنه: ميكال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وميكائيل هو صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات.

ومن الملائكة الكرام إسرافيل ويُذكر في كتب العقيدة أنه هو الذي ينفخ في الصور، وليس في ذلك حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ عن النبي ﷺ (٢).

ومن الملائكة الذين نصَّ الشرع عليهم بالاسم:

١- مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، ثبتت هذه التسمية عن النبي ﷺ في قوله: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَسْوَدَانِ أَسْوَدَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ

(١) انظر معتقد فرق المسلمين في الملائكة المقربين للشيخ: محمد العقيل [ص: ٣٩].

(٢) وقد نقل جماعة من أهل العلم الإجماع على كون إسرافيل هو النافخ في الصور، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأهم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ». [تفسير القرطبي ٢٠/٧]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونقل فيه الحلبي الإجماع». [فتح الباري ١١/ ٣٦٨].

وللآخر النكير»^(١).

٢- مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ تَرَائِكُمْ قَالَ إِنَّا لَهُمْ مَنَّانُونَ﴾

[الزخرف: ٧٧].

٣- هاروت وماروت، وهما ملكان أنزلا إلى الأرض ففتنة للناس واختباراً،

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فائدة: لم يثبت أن اسم خازن الجنة رضوان.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «وأما (رضوان): فموكّل بالجنة واسمه هذا

ليس ثابتاً ثبوتاً واضحاً كثبوت مالك»^(٢).

وكذا لم يثبت أن اسم ملك الموت عزرائيل.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وأما تسميته بـ (عزرائيل) كما هو الشائع بين

الناس فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات»^(٣).

فائدة أخرى: رقيب، وعتيد ليسا اسمين لملكين، وإنما وصف لهما،

فالرقيب: هو المتتبع للأمر الحافظ الشاهد، والعتيد: هو الحاضر الحافظ الذي

لا يغيب، فهما ملكان حاضران حافظان يسجلان كل شيء^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٠٧١)، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:

(١٣٩١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١٦١).

(٣) التعليق على الطحاوية [ص: ٨٤].

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٧/ ١١).

السؤال الخامس والخمسون: اذكر كتب الله عز وجل، وعلى من نزلت؟

الجواب: ١- التوراة على موسى عليه السلام.

٢- الإنجيل على عيسى عليه السلام.

٣- الزبور على داود عليه السلام.

٤- صحف إبراهيم وموسى على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٥- القرآن الكريم على محمد صلي الله عليه وسلم.

هذه الكتب هي كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (١)، وقد أنزل الله مع كل رسول كتاباً، والدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥] (٢)، الكتاب اسم جنس، أي: أنزلنا معهم الكتب،

(١) قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «فاستقر أهل السنة وجماهير الأمة وأهل الجماعة وأعلام الملة في شرقها وغربها على الإيمان الذي جاءت به الرسل عن الله وجاء به خاتم النبيين مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه وهو أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله» [مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٥٥].

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «كلُّ رسول معه كتاب، ولا يلزم أن يكون مع كل نبيِّ كتاب» [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص: ٣٢٨].

* أخبرنا النبي **صلي الله عليه وسلم** عن وقت نزول بعض الكتب السماوية فقال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان» أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٦٩٨٤)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٥٧٥).

فأنزل الله عزَّ وجلَّ مع كل رسول كتاباً علِّمنا منها ما أعلمنا الله عزَّ وجلَّ وقصَّ علينا، وخفي علينا ما لم يذكره الله تبارك وتعالى.

والمسلم مأمورٌ بالإيمان بالكتب كُلِّها، وأن لا يفعل كما فعل أهل الكتاب من قبل، كانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلِكِيَّتِهِ ءَ وَكُنْيَتِهِ ءَ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، ففي الآية وعيدٌ لمن يكفر بالكتاب، والكتب معلومة، وأعظمها وخاتمها والمهيمن عليها هو القرآن.

ومن الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله:

١- التوراة أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل.

وقد ثبت أن الله تعالى كتب التوراة بيده، والدليل قول الرسول ﷺ: «احتج آدمٌ وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، وفي رواية «كتب لك التوراة بيده» (١).

٢- الإنجيل أنزله الله تعالى على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَأَثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي بيان معنى الآية: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾، أي: أتبعنا، ﴿عَلَىٰ ءَأَثَرِهِم﴾، يعني: أنبياء بني إسرائيل ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، أي: مؤمناً

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٥٢).

بها حاكمًا بما فيها، ﴿وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونورًا يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، أي: متبعًا لها، غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَا أُحِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] ؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة» (١).

مسألة: اختلف أهل العلم هل التوراة والإنجيل الموجودتان الآن فيهما شيء من التوراة والإنجيل التي أنزلها الله عزَّ وجلَّ أو أنها بدلت كلها؟

الجواب: ذكر الله عزَّ وجلَّ أن اليهود والنصارى حرَّفوا كتبهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]، والتحريف هو التبديل، وليس بالضرورة أن يكون الكتاب كله محرَّفًا، ولذلك على المسلم أن يتجنب إهانة التوراة والإنجيل؛ لأنه قد يكون فيها شيء من التوراة والإنجيل التي أنزلها الله عزَّ وجلَّ.

٣_ **الزبور**، أنزله الله على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وفي الآية بيان لمكانة داود عليه السلام وتنبية على فضله وشرفه.

٤ - **صحف إبراهيم وموسى على إبراهيم وموسى عليهما السلام.**

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٦).

والذي يظهر أن صحف موسى عَلَيْهِ السَّلَام غير التوراة؛ لأن الله سماها صحفًا كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَامِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿﴾ [النجم: ٣٦: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩].

٥- القرآن الكريم على محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، اللام في كلمة ﴿لَحَافِظُونَ﴾ تفيد التوكيد، والذكر اسم من أسماء القرآن.

وأسماء القرآن أعلام وأوصاف، فكل اسم للقرآن دال على صفة للقرآن (١). ومن لوازم حفظ الله لكتابه أن يحفظ السنة؛ لأن من يريد فهم القرآن والعمل به لا يمكن أن يستغني عن السنة، وذلك لأن أكثر ما في القرآن من أوامر ونواهٍ وأحكام مجملة تحتاج إلى بيان وتفصيل، وبيانها وتفصيلها في السنة.

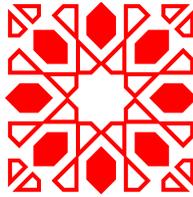
والقرآن ناسخ للكتب السابقة كلها، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والكتاب هو القرآن العظيم، وهو حق في أخباره وأوامره ونواهيته، ومصدق للكتب السابقة؛ لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائع الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقًا لخبرها.

(١) أسماء القرآن، أعلام وأوصاف؛ وذلك لأنه صفة من صفات الله، فالقرآن كلام الله، وكلامه صفته، ومن أمثلة أسماء القرآن (الفرقان، والكتاب، والنور) وغير ذلك. [منحة المولى شرح القواعد المثلى للمؤلف ص: ٣٨ بتصرف].

واشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في العقائد والأخلاق، فهو الكتاب الذي تتبَّعَ كُلَّ حق جاءت به الكتب فأمر به، وحثَّ عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلَّا فلو كان من عند الله، لم يخالفه^(١).



(١) انظر تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي [ص: ٢٣٤].



السؤال السادس والخمسون: مَنْ أُولُو الْعِزْمِ



من الرُّسُل؟



الجواب: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، محمد ﷺ.



أولو العزم من الرُّسُل، أي: أصحاب العزيمة الكاملة والصبر في الدعوة إلى الله تعالى^(١)، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقتدي بهم وأن يصبر كما صبروا، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأولو العزم خمسة ذكرهم الله تعالى في موضعين من كتابه:

الأول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

الثاني في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

(١) الرُّسُل المذكورون في القرآن خمسة وعشرون رسولاً، والعرب منهم أربعة: شعيب، وهود، وصالح، ومحمد ﷺ.

* اختلف العلماء في أولي العزم من الرسل، والأظهر والأرجح أن أولي العزم من الرسل خمسة وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، ويدلُّ لهذا القول ويُقوِّيه أن هؤلاء الخمسة هم الذين يستغيث الناس بهم يوم القيامة في طلب تعجيل المحاسبة والقضاء بين الخلق، انظر [تفسير ابن كثير (٧/٣٠٥)] و[شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ ١/٥٢١].

قوله: (نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هو أول رسول أرسله الله (١)، و الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، هذه الآية صريحة في أن أوَّل الرسل هو نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومما يدلُّ على ذلك أيضًا حديث الشفاعة المشهور أن الناس يأتونه يوم القيامة فيقولون: «يا نوحُ، إنَّك أنتَ أوَّل الرُّسلِ إلى أهلِ الأرضِ، وقد سمَّاك اللهُ عبدًا شكورًا...» (٢).

وكان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو قومه ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا، قال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩]، وقد لبث نوح في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، وهذا التعبير - ألف سنة إلا خمسين عامًا - يدل على أن هذا العدد مراد وليس على سبيل المبالغة، وفيه عبرة عظيمة وهي

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وبهذا نعرف أن من قال من المؤرخين: إن إدريس كان جدَّ نوح، أن هذا القول قول باطل؛ لأنه يستلزم أن يكون هناك رسول قبل نوح وهو مخالف للقرآن، فمن زعم أن إدريس قبل نوح فقد أخطأ خطأً عظيمًا». [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص: ٣٤٦].

* قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن أبانا الأول آدم والأب الثاني نوح، وأهل الأرض كلهم من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَالِقِينَ﴾ [الصفات: ٧٧]، وبهذا يتبين كذب المفترين من العجم الذين يزعمون أنهم لا يعرفون نوحًا ولا ولده ولا ينتسبون إليه، وينسبون ملوكهم من آدم إليهم، ولا يذكرون نوحًا في أنسابهم وقد أكدهم الله عَزَّجَلَّ في ذلك». [جلاء الأفهام ص: ٢٦٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٤)، واللفظ للبخاري.

الصبر في الدعوة إلى الله فلذلك قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فائدة: الأمم السابقة إذا عصت وعتت عن أمر الله، ولم تطع نبيها، أخذها الله بالعقوبة المستأصلة، كما حصل لقوم نوح وعاد وشمود ثم شرع الله بعد ذلك الجهاد بدلاً من الهلاك العام، فكان من سنة الأنبياء بعد القرون الأولى إلى أن جاء نبينا **صلى الله عليه وسلم** فمضى على هذه الشريعة، وهي الجهاد في سبيل الله (١).

قوله: (إبراهيم عليه السلام)، وهو أبو الأنبياء وإمام الحنفاء، وخليل الرحمن. أثنى الله تعالى عليه بأربع صفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٠) **شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ أَحْبَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿[النحل: ١٢٠].

الصفة الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، والأمة هو القدوة الذي يؤتم به، وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم النافع والعمل الصالح. والثانية في قوله تعالى: ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾، والقنوت يُفسَّرُ بأشياء كلها ترجع إلى دوام الطاعة.

والثالثة في قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾، والحنيف: هو المقبل على التوحيد، المائل عن الشرك.

والرابعة في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، والشكر مبني على ثلاثة أركان هي:

١- الإقرار بالنعمة وإضافتها إلى المُنعم بها.

(١) [انظر مجموعة رسائل دعوية ومنهجية للشيخ صالح الفوزان ص ١٠٦].

٢- التحدث بنعمة الله.

٣- صرفها في مرضاتِ الله والعملُ بها في طاعته، وصرفها عن معصية الله. فلا يكون العبد شاكرًا إلا بهذه الأشياء الثلاثة، والمقصود أن الله مدح خليله **صلى الله عليه وسلم** بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم والعمل بموجبه وتعليمه ونشره (١).

ومن فضائل إبراهيم **عليه السلام** :

١- أنه أول من يُكسى من الخلق يوم القيامة.

عن ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: «قام فينا النبي **صلى الله عليه وسلم** خطيبًا بموعظةٍ، فقال: يا أيها الناس، إنكم تُحشرون إلى الله حُفَاءَ عُرَاءِ غُرْلًا، **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكسى يومَ القيامةِ إبراهيمَ **عليه السلام**...» (٢).

٢- أن الله أمرنا باتخاذ مقامه مصلًى، قال تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ رَبِّهِمْ مُصَلًى﴾** [البقرة: ١٢٥].

(١) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم [١/ ٤٩٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٤٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٦٠)، واللفظ له. قوله **صلى الله عليه وسلم**: (غرلاً)، قال النووي **رحمه الله**: «الغُرْل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين». [شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٩٣].

* قال القرطبي **رحمه الله**: «وقد تكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم **عليه السلام** بالكسوة... ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله، وكان ما أصابه من ذلك في ذات الله **عز وجل** فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار في الدنيا والآخرة، وجزاه بذلك العري أن جعله أول من يدفع عنه العري يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وهذا أحسنها». [التذكرة ص: ٥٣٤].

وكثير من مناسك الحج يتبع المسلمون فيها سنة أبيهم إبراهيم **عليه السلام**، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم»^(١). ومناقب هذا الإمام الأعظم والنبي الأكرم أجل من أن يحيط بها كتاب، وهذه بعض فضائل إمام الحنفاء، فقد كان قلبه للرحمن، وولده للقربان، وبدنه للنيران، وماله للضيفان^(٢).

قوله: (موسى **عليه السلام**)، وهو كليم الرحمن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقد أنزل الله التوراة على موسى **عليه السلام**، وأيده بآيات تدل على صدقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى قِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

قال ابن كثير **رحمته الله**: «يُخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بيّنات، وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهي: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات، قاله ابن عباس **رضي الله عنهما**»^(٣).

ومن فضائل موسى **عليه السلام** أنه من أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة، فعن ابن عباس **رضي الله عنهما**، قال: خرج علينا النبي **صلى الله عليه وسلم**، يوماً قال: «عرضت عليّ الأمم، ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق، فقيل: هذا موسى في قومه»^(٤).

فائدة: ذكر الله تعالى قصة موسى في مواطن عدة من كتابه الكريم.

قال شيخ الإسلام **رحمته الله**: «فصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٨٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٥٨٦).

(٢) انظر جلاء الأفهام لابن القيم [ص: ٢٧٤، ٢٧٦].

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤١٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٢٠)، واللفظ للبخاري.

وأعظمها اعتبارًا لأهل الإيمان ولأهل الكفر؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقص على أمته عامة ليله عن بني إسرائيل، وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة^(١).

قوله: (عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهو من أنبياء بني إسرائيل اصطفاه الله تعالى، وأنزل عليه الإنجيل.

وله فضائل عدَّةٌ ومناقبُ جمَّةٌ منها:

١- حماية الله له من مسِّ الشيطان.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يُولد، فيستهل صارخًا من مسِّ الشيطان، غير مريمَ وإينها» ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]^(٢).

٢- أنه تكلم في المهد.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢١) قَالَ إِنِّي

عَبْدُ اللَّهِ أَتَنَبَّى الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابنُ مريمَ، وصاحبُ جريج، وكان جريجُ رجلاً عابداً، فَاتَّخَذَ صَوْمِعَةً، فكان فيها، فَاتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يَصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جَرِيحُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَانصرفتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يَصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جَرِيحُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَانصرفتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يَصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جَرِيحُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ

(١) مجموع الفتاوى (٩/١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٣١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٦٦)، واللفظ للبخاري.

صلاته، فقالت: اللَّهُمَّ لَا تُمِتَّهُ حَتَّى يَنْظَرَ إِلَى وَجْهِ الْمُؤْمَسَاتِ، فَتَدَاكِرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جَرِيحًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتِمُّنَّ بِحَسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شَتُّمَ لِأُفْتِنْتَهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جَرِيحٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدْتَ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فَلَانُ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جَرِيحٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسِّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا، وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارَهَتْ، وَشَارَةً حَسَنَةً، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا، قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهَمَّ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهَنَّاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلَقَيْ، مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَهَمَّ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزِنِي، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٥٠)، واللفظ له.

٣- إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، والتنبؤ بما هو مأكول ومدخر في البيوت.

قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنحَى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنذِرُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقد زعمت النصارى أن المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد قُتِلَ و صُلب فبين الله كذبهم وبطلان قولهم، وأخبر أنه رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السماء قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الْآلِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَعَنِ سَبِّكَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧: ١٥٨].

ولذلك من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله رفع عيسى إلى السماء، فهو حيٌّ الآن، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عِيسَى سَيَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»^(١).

قوله: (محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو خاتم النبيين ختم الله به الرسل والرسالات، وهو أفضل الرسل^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٢٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٥٥).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ويضع الجزية)، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بَدَّلَ منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل». [شرح صحيح مسلم ٢/ ١٩٠].

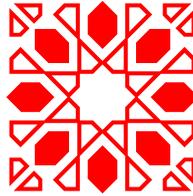
(٢) وأما ما ورد في مسلم رقم: (٢٣٦٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى رسول الله =

و الدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة...» (١).

وللنبي **صلى الله عليه وسلم** مناقب وفضائل اختصه الله بها عن الأنبياء والمرسلين، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «فضلتُ على الأنبياء بستّ: أعطيتُ جوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب، وأحلتُ لي الغنائم، وجعلتُ لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلتُ إلى الخلق كافة، وحُتِمَ بي النبيون» (٢).

ومما اختصه الله به عن غيره من الأنبياء الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي وعده الله إياه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْبَسَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال ابن عمر **رضي الله عنهما**: «إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جُثًّا (٣)، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي **صلى الله عليه وسلم**، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» (٤)، ومناقبه وفضائله **صلى الله عليه وسلم** لا يحيط بها إلا الله.



= **صلى الله عليه وسلم** فقال: يا خير البرية فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «ذاك إبراهيم **عليه السلام**»، فقد قال النووي **رحمته الله**: «قال العلماء: إنما قال **صلى الله عليه وسلم** هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم **صلى الله عليه وسلم** لخُلَّتْه وأبوتته وإلا فنبينا **صلى الله عليه وسلم** أفضل كما قال **صلى الله عليه وسلم**: «أنا سيد ولد آدم» [شرح صحيح مسلم ١٥/١٢١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٢٣).

(٣) قوله: (جُثًّا)، قال ابن الأثير **رحمته الله**: «أي جماعة». [النهاية لابن الأثير ١/٢٣٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧١٨).

السؤال السابع والخمسون: ما خواتيم سورة البقرة التي يستحب أن يقرأها المسلم كل ليلة؟

الجواب: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

هاتان الآيتان من خواتيم سورة البقرة فيهما فضلٌ عظيمٌ، فعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(١)، لم يُعيّن النبي صلى الله عليه وسلم معنى كفتاه، وهذا ممّا يدلُّ على أنهما تكفيان من أشياء كثيرة كالفرع من النوم، والشياطين^(٢).

ومما ثبت في فضل هاتين الآيتين ما جاء عن ابن عباس قال: بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً^(٣) من فوقه فرفع رأسه، فقال: «هذا بابٌ من السماء فُتِحَ اليومَ لم يُفتح قطُّ إلا اليومَ، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملكٌ نزل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠٠٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٠٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: «الصحيح أن معناه كفتاه من شرٍّ ما يؤذيه، وقيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء». [الوابل الصيب ص: ٢٤٩].

(٣) النقيض: صوت الباب عند فتحه. [المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (٢/٤٣٤)].

إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(١).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ بَيْتِ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»^(٢).

فينبغي للمسلم ألا يفرط في قراءة هاتين الآيتين وقد ثبت فيهما هذا الفضل العظيم.

قوله تعالى: ﴿أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي: صدق تصديقاً جازماً لا شك فيه ولا تردُّد.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: آمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما آمن به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٠٦).

قوله: (بنورين)؛ أي: بأمرين عظيمين، نيرين، تبيّن لقارئهما وتنوره،... وُحِصَّتْ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقْرَةِ بِذَلِكَ: لما تضمنته من الثناء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أصحابه بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهاهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم؛ ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها، فحُفَّتْ عَنْهُمْ، وُغْفِرَ لَهُمْ، وُنُصِرُوا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبُّعه. [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٢/ ٤٣٤].

قوله: (إلا أعطيته)، أي: إلا أعطيتَ بمعنى ذلك الحرف أي بمقتضى تلك الكلمة وأُجِبَتْ بِهِ. [الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٠/ ١٥٩].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢١٣٤٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٤٨٢).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كنتُ أرى أحداً يعقلُ ينام حتى يقرأ الثلاث آيات من آخر سورة البقرة، إنَّه لمن كنزٍ تحت العرش». أخرجه ابن الصِّريس في فضائل القرآن، رقم: [١٧٦]، وصحح إسناده النووي في الأذكار [ص ٩٤].

ثم ذكر الله تعالى أربعة من أركان الإيمان في قوله: ﴿كُلُّ أَمَانٍ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، وفي ختام الآية قال: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أي: المرجع، ويوم المصير اسم من أسماء اليوم الآخر، والإيمان به هو الركن الخامس من أركان الإيمان. قوله عز وجل: ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ يعني من حيث الإيمان فلا تؤمن ببعض ونكفر ببعض، وإنما تؤمن بجميع الرسل.

والواجب على المسلم أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل إليه ويؤمن بالرسل الذين أرسلوا من قبله، وبهذا يتميز المسلمون عن اليهود والنصارى فإنهم وإن آمنوا بأنبيائهم إلا أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ونحن آمننا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء الذين من قبله.

فائدة: اليهودي أو النصراني إذا آمن بنبيّه ثم دخل الإسلام فله أجران، فعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيّه، وأدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم فأمن به واتّبعه وصدّقه، فله أجران...» (١).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، أي: ما أمرتنا به امتثلناه، وما نهيتنا عنه اجتنبناه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، هذا من رحمة الله تعالى أنه لا تكليف إلا بالمستطاع، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٠١١)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٥٤)، واللفظ لمسلم، وتمام الحديث «وعبدٌ مملوكٌ أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيده، فله أجران، ورجلٌ كانت له أمةٌ فعذاها، فأحسنَ غذاءها، ثمَّ أدبها فأحسنَ أدبها، ثمَّ اعتقها وتزوَّجها فله أجران».

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، أي في الأجر والثواب.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، يعني وما تحملته من السيئات.

فائدة: ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

اللَّهُ فَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلفنا من الأعمال ما نطبق،

الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا

وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير، قالوا: سمعنا

وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم،

فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَأْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا

تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: نعم «(١)».

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، النسيان: هو ذهول القلب

عن شيء معين، والناسي لا يؤاخذ على أفعاله.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٢٥).

ومن أمثلة النسيان: من نسي الصلاة فلا إثم عليه، ولكن يجب أن يصلّيها إذا ذكرها، وكذلك من أكل أو شرب ناسياً في نهار رمضان وهو صائم، فإنه يُتِمُّ صومه ولا شيء عليه.

مسألة مهمة: وهي التفريق بين ترك المأمورات والوقوع في المحظورات حال النسيان، فمن نسي مأموراً وجب عليه الإتيان به إذا تذكره، بخلاف من ارتكب محظوراً ناسياً، فيلزمه الكفُّ عنه إذا تذكر ولا يستمرُّ فيه.

مثال ذلك: رجل صلّى بلا وضوء ناسياً فيلزمه إعادة الصلاة؛ لأن الوضوء من باب المأمورات، بخلاف من صلّى ناسياً النجاسة في بدنه أو ثوبه فلا شيء عليه، وصلاته صحيحة.

قال ابن رجب **رَحِمَهُ اللهُ**: «والأظهر - والله أعلم - أن الناسي والمخطئ إنما عَفِيَ عنهما بمعنى رُفِعَ الإثم عنهما؛ لأن الإثم مرتَّبٌ على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما» (١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ الخطأ: هو عدم قصد الفعل، كمن ينظر إلى محرّم فجأة دون قصد، وكذا من يقتل مؤمناً خطأ.

والدليل على أن المخطئ معفو عنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (٢).

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، أي: تكاليف شاقة كما كانت على الذين من قبلنا فكانت عليهم أحكام شاقة مثل:

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٢٠٤٣)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٨٢).

تحريم اللحم إذا كان فيه شحم، وأوجب على من أصابت ثوبه نجاسة أن يقرضها قرصاً، والمرأة إذا حاضت لا تجالس وغير ذلك مما كان فيه مشقة، ولكن هذه الأمة قد عفيت من هذه الأمور الشاقة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَافَةِ لَنَا بِهٖ﴾، فلم يكلفنا الله ما لا نطيع، فمن لم يستطع الصلاة قائماً صلى قاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب، قال الله تعالى: ﴿فَأَنقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ عند اجتماع كلمات العفو والمغفرة والرحمة، فالعفو يكون عن التقصير في أداء الواجبات، والمغفرة عن فعل المحظورات، والرحمة لزيادة الحسنات ورفع الدرجات^(١).

وفي الآية إثبات ثلاث صفات لله: صفة العفو، وصفة المغفرة، وصفة الرحمة. قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾، أي تتولى أمورنا، فالله يتولى أمور عباده الكونية والشرعية فهو الذي يشرع لهم، وهو الذي يوالي عباده، ويوالي عباده فينصرهم، ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].



(١) العفو والمغفرة والرحمة من الكلمات التي إذا اجتمعت في الذكر افتقرت في المعنى، وإذا افتقرت في الذكر اجتمعت في المعنى.

قال ابن القيم رحمته الله: «البر والتقوى هما جماع الدين كله، وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل فيه مسمى الآخر... ونظير هذا لفظ الإسلام والإيمان، والإيمان والعمل الصالح، والفقير والمسكين، والفسوق والعصيان، والمنكر والفاحشة، ونظائره كثيرة، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زال عنه إشكالات كثيرة». [الرسالة التبوكية ص: ٥].



السؤال الثامن والخمسون: متى تقوم الساعة؟ وما الدليل؟



الجواب: علمها عند الله، لا يعلمها إلا هو، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].



يوم القيامة يوم عظيم كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤].

عظيم [المطففين: ٤].

والله عز وجل أمرنا أن نتقي اليوم الآخر لما فيه من الهول العظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٢٨١].

كما أمرنا أن نتقيه هو عز وجل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، والله أعظم من يتقى ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [المدثر: ٥٦].

وأمرنا أن نتقي النار، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وهذه الأمور كلها متلازمة، فمن اتقى الله اتقى اليوم الآخر الذي فيه الحساب، ومن حاسبه الله عذبه في النار.

فالواجب علينا أن نتقي الله ونتقي اليوم الآخر ونتقي النار.

ووقت قيام الساعة من الغيب الذي اختص الله بعلمه فلا يعلمه إلا هو، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، فلم يقل: (علم الساعة عند الله) بل قدّم الظرف (عند) ليفيد الحصر، أي: علم الساعة عند الله وحده لا يعلمه غيره.

ومن الأدلة على اختصاص الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

[الأحزاب: ٦٣].

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل...»^(١)، أي: علمي وعلمك سواء، فكلُّ منا لا يعلم وقت قيام الساعة.

والساعة قريبة جدًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَهُمْ يَقَرِّبُونَ﴾ [المعارج: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَقَرَّيْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ [القمر: ١]، فلم يبقَ من عُمر الدنيا إلا القليل، والدليل حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين» قال: وضَّمت السبابة والوسطى^(٢).

فإن قال قائل: منذ مئات السنين نزل القرآن وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الساعة قريبة وإلى الآن لم تقم الساعة؟

الجواب أن يقال: إن الحساب عند الله غير الحساب عند البشر، فيوم القيامة وحده مقداره خمسون ألف سنة، وكذلك القربُ المذكورُ في القرآن والسنة هو قرب نسبي، أي بالنسبة لما مضى من عمر الدنيا فيوم القيامة قريب جدًا، فعلى المسلم أن يعمل الصالحات، وأن يستعدَّ لقيام الساعة فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة؟»، قال: حبُّ الله ورسوله، قال: «فإنك مع من أحببت»، قال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم: (٤٧٧٧)، ومسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم: (٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٩٥١)، واللفظ له.

أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنك مع من أحببت» قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأنا أحبُّ الله ورسوله، وأبا بكرٍ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم ^(١).

فعندما سأل الرجل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وقت قيام الساعة صرفه إلى ما هو أهم من ذلك، وقال له: ما أعددت لها؟ وهذا السؤال من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا جميعاً وليس لذلك الرجل فحسب بل يُقال لكل مسلم: ما أعددت للساعة؟

فائدة مهمة: كان العربُ في جاهليتهم ينكرون أن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعثهم خلقاً جديداً ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم إما بجنَّةٍ وإما بنارٍ، وقد ذكر الله تعالى إنكارهم للبعث في مواضع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ مِمَّنْ لَبِئْتُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وذكر أنهم قالوا: ﴿أَيُّ ذَا كُنَّا عِظْمًا تَخْرُجُ ۗ﴾ (١١) ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١١، ١٢]، وقالوا: ﴿أَيُّ ذَا مِنَّا وَكُنَّا رَبَّابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]، ولما كان الأمر كذلك ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في مواضع كثيرة من كتابه أدلةً متنوعةً كلها تدل على أن القيامة حق ، وإليك بعض هذه الأدلة:

١- الإخبار أن القيامة آتية لا ريب فيها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

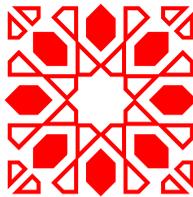
٢- أنه أقسم على قيام الساعة، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وأمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقسم على ذلك قال تعالى: ﴿وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ مِمَّنْ لَبِئْتُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٨٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٣٩)، واللفظ له.

٣- بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ فَالَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعِيدَهُ خَلْقًا جَدِيدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْلَقِرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) أَقْلٌ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿[يس: ٧٧: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْلَقِرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] .

٤- ذَكَرَ اللهُ عَزَّجَلَّ أَنَّهُ خَلَقَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] .





السؤال التاسع والخمسون: ما دار الكرامة؟



وكم عدد أبوابها؟



الجواب: دار الكرامة هي الجنة، وعدد أبوابها ثمانية.



الجنة لغة: هي البُستان.

وشرعاً: هي دار الكرامة التي أعدها الله لعباده الصالحين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد خلق الله الجنة ليكرم بها عباده المؤمنين، وسماها **عَزَّجَلَّ** رحمة؛ لأنها من آثار رحمته، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْصَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وقال الله **عَزَّجَلَّ** في الحديث القدسي للجنة: « أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي» (١).

وقد ذكر الله **عَزَّجَلَّ** الجنة وذكر أهلها وبين أنواع النعيم الذي فيها، وذكرها النبي **صلى الله عليه وسلم** ترغيباً فيها، فعلى المسلم أن يجتهد لينال رضا الله **عَزَّجَلَّ** ويدخل الجنة، فدخل الجنة هو الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِّجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

ولن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله وفضله، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «لن يدخل أحدًا عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٨٥٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٦).

الله بفضلٍ ورحمةٍ» (١).

والخلاصة أن الله سيجمع الناس جميعاً يوم القيامة، وهما فريقان: فريق يدخل الجنة، وفريق يدخل السعير، وما هذه الدنيا إلا مؤقتة، ومتاعها قليل ثم المصير إلى الله تعالى، قال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿[الانشقاق ٦: ١٢].

قوله: (وعدد أبوابها ثمانية)، أي: أن أبواب الجنة ثمانية كما ثبت في السنة، فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ، لا يدخلُهُ إلا الصَّائِمُونَ» (٢).

وأبواب الجنة واسعة، والدليل قولُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، إنَّ ما بين المِصرَعيْن من مصاريح الجنة لكما بين مكةَ وهَجْر، أو كما بين مكةَ وبُصرى» (٣).

وقد جاءت تسمية بعض أبواب الجنة في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٥٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٥٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٤)، واللفظ له.

قوله: «من مصاريح الجنة لكما بين مكةَ وهَجْر، أو كما بين مكةَ وبُصرى»، المِصرَعا ن بكسر الميم جانبا الباب، وهَجْر بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين، وهجر هذه غير هَجْر المذكورة في حديث: «إذا بلغ الماء قلتين» بقلال هجر، تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها، وأما بُصرى فبضم الباء وهي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهي مدينة حوران وبينها وبين مكة شهر. [شرح النووي لمسلم ٣/ ٦٩].

فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دُعي من باب الريان» قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، وأرجو أن تكونَ منهم»^(١).

فائدة: تفتح أبواب الجنة في الدنيا في أوقات منها:

١- يوم الاثنين والخميس، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٢).

٢- عند دخول شهر رمضان، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتِ^(٣) الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٤).

٣- بعد الوضوء، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من توضأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا أفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٨٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠٢٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٦٥).

(٣) قوله: (صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)، قال ابن الأثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي: شُدت وأوثقت بالأغلال» [النهاية في غريب الحديث ٣/٣٥].

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٦٨٢)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة رقم: (١٩٦٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٤).



السؤال الستون: ما أعظم نعيم في الجنة؟



الجواب: رؤية الله عزَّ وجلَّ.



من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة في الجنة بأبصارهم^(١).

ورؤية الله تعالى هي أعظم نعيم يُعطيه الله لأهل الجنة، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في صلاته فيقول: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ...»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «وهي الغاية التي شمرَّ إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدَّ عليهم من عذاب الجحيم، اتَّفَقَ عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون»^(٣).

(١) قال ابن أبي العز رحمته الله: «قد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها». [شرح الطحاوية ١/٢١٧].

وقال رحمته الله: «وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث...، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمرَّ إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرَمَها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون». [شرح الطحاوية ١/٢٠٧].

(٢) أخرجه النسائي في سننه رقم: (١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٣٠١).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح [ص: ٢٨٥].

وقد دلَّ القرآنُ والسُّنةُ على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

الدليلُ الأوَّلُ: قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿نَّاصِرَةٌ﴾ من النَّصارة والسعادة والبهاء والسرور والفرح، وقد ظهر ذلك على وجوههم؛ لأنَّهم نظروا إلى الله تعالى فانعكس على بشرتهم فأنارت وجوههم وأضاءت، ونظير هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «نَصَّرَ اللهُ امرأً سمع منَّا شيئاً فبلَّغه كما سمع، فَرُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ» (١).

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تنظر إلى وجه الله تعالى، ولذلك أُضيف النظر إلى الوجه؛ لأنَّ العينين في الوجه، ولا يقال: (نظر إلى الشيء) إلا إذا أُريد بالنظر الرؤية بالأبصار.

وفعل (نظر) ورد في القرآن وله معان عدَّة، ومنها (٢):

أ- أن يكون بمعنى (الانتظار)، وذلك إذا تعدَّى بنفسه ولم يأت معه حرف الجر.

مثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

ب- أن يكون بمعنى (التفكُّر والاعتبار)، وذلك إذا تعدَّى بحرف الجر (في).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٦٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٧٦٤).
 (٢) قال ابن أبي العز رحمته الله: «فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عدِّي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدِّي بـ (في) فمعناه: التفكُّر والاعتبار، كقوله: ﴿أولَمَّا يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن عدِّي بـ (إلى) فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أُضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟». [شرح الطحاوية ١/ ٢٠٩].

مثاله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ومنه قوله: نظرتُ في المسألة أي: تأملتُ فيها وتفكرتُ.

ج- أن يكون بمعنى (الرؤية البصرية)، وذلك إذا تعدى بحرف الجر (إلى).

مثاله قوله تعالى: ﴿رُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسّر الحسنَى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم كما جاء في حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيضّ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » (١).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، فكل الآيات التي فيها لقاء الله تدلُّ على رؤيته؛ لأنَّ اللقاء لا بُدَّ فيه من الرؤية (٢).

الدليل الرابع: حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٨١).

(٢) قال العلامة اللغوي ثعلب رضي الله عنه: «أجمع أهل اللغة أن معنى قوله: ﴿يَحْتَسِبُ يَوْمَ يَقُونَهُ﴾

سَلَّمَ [الأحزاب: ٤٤]، أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معانية، ونظراً بالأبصار» [الإبانة الكبرى

الشمس، وقبل غروبها»، يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] (١).

الدليل الخامس: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك...» (٢).

وفي الحديثين شبه النبي صلى الله عليه وسلم وضوح الرؤية بوضوح الرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فالله تعالى ليس كمثل شيء، فهو ليس كالشمس ولا كالقمر.

وإذا كانت النفس تشاق لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم فكيف برؤية الله عز وجل؟؟

وأهل البدع الذين ينكرون رؤية الله عز وجل محرومون من هذا الشوق العظيم الذي ينتظره المسلمون، فالله تعالى يُحِبُّ لذاته، وهو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧) **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴿ [الانفطار: ٧-٨] ، فهو أحقُّ من يحب المسلم ويشاق لرؤيته وتتوق نفسه إلى ذلك.

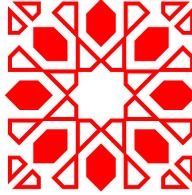
فائدة: عقيدة أهل السنة والجماعة أن رؤية الله تعالى تكون في الآخرة فقط، أمَّا في الدنيا فلا يمكن أن يرى الله أحدًا (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٣٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٠٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) ولذلك لما طلب موسى الكليم عليه السلام رؤية وجه ربه الكريم ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقال الله له: ﴿لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ لِي الْجَبَلَ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الجبل العظيم خرَّ إلى الأرض وتصدع عندما تجلَّى الله فكيف بالمخلوق الضعيف؟

والدليل قول رسول الله ﷺ: «تعلّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربّه عزَّ وجلَّ حتّى يموت»^(١).



= * و(لن) في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ليست للتأييد.
قال ابن مالك في الكافية:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقله اردد وخلافه اعضدا

قال في الشرح: ثم أشرتُ إلى ضعف قول من رأى تأييد النفي بلن، وهو الزمخشري في أنموذجه، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقادٌ باطلٌ بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ أعني ثبوت الرؤية، جعلنا الله من أهلها، وأعاذنا من عدم الإيمان بها.

[شرح الكافية الشافية ٣/ ١٥٣١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٦٩).



السؤال الواحد والستون: ما أكثر ما يدخل الجنة؟



الجواب: تقوى الله، وحسن الخلق.



تقوى الله **عَزَّوَجَلَّ** هي وصية الله لعباده من الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وهي من وصايا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

وتقوى الله **عَزَّوَجَلَّ** معناها: الاستقامة على طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بامتثال أوامره رجاء ثواب الله تعالى، واجتناب نواهيه خوفًا من عذاب الله تعالى.

وقد أخبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: سئل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج»^(٢).

ومن جوامع كلمه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومن وصاياه العظيمة ما جاء عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٠٠٤)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة

قال: قال لي رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

قوله: «اتق الله حيثما كنت»، يعني في كل زمانٍ ومكانٍ في السرِّ وفي العلنِ وفي الحضرِ وفي السفرِ.

ولمَّا كان التقصيرُ والدُّنْبُ أمرًا لا بُدَّ أن يقعَ مِنَ الإنسانِ ولو أخذ على نفسه عهدًا بلزوم التقوى جاءت مناسبة ذكر الوصية الثانية بفعل الحسناتِ الماحية للسيئات فقال **صلى الله عليه وسلم**: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»، أي: فعليك بالحسنات التي تُذهبُ السيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]^(٢).

ثم ذكر ما يجب في معاملة الناس، فقال **صلى الله عليه وسلم**: «وخالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ»^(٣)، وحُسنُ الخُلُقِ من تقوى الله **عزَّ وجلَّ** لكن أفردته النبي **صلى الله عليه وسلم** بالذكر لأهميته ولذلك جاء إفراده أيضًا في حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فزَوِّجُوهُ، إِلَّا نَفَعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٩٧).

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، هنا معنى لطيف في الأمر بالاستغفار بعد الأمر بالاستقامة، وذلك أن العبد مهما اجتهد في الاستقامة لا بد من وقوعه في النقص والتقصير، فناسب أن يستغفر الله تعالى سدًّا لذلك النقص وجبرًا لذلك القصور [تذكير الأخيار بشرح دعاء سيد الاستغفار للمؤلف ص: ٧].

(٣) ومن الأحاديث التي ذُكر فيها حدُّ جامع للخلق الحسن قولُ رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «فمن أحبَّ أن يُزحزح عن النَّارِ، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحِبُّ أن يؤتى إليه...». أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٨٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٠٨٤)، وحسنه الألباني في الإرواء رقم: (١٨٦٨).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «إِذَا خَاطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلِقَهُ فَرُؤُوجُهُ»، لأن الزواج يحتاج إلى خلق، فكم من إنسان زوجه الناس لتدينه فوجدوا منه سوء خلق في تعامله مع زوجته (١).

ومن مظاهر سوء الخلق التي انتشرت في هذا الزمان نسيان الإحسان والمعروف فبعض الناس إذا اختلف مع صاحبه نسي ما كان بينهما من صحبة وصداقة وتكلم على صاحبه بكل سوء، فلا يذكر فيه خيراً، ولا يعرف له معروفاً، وهذا الأمر شاع عند الرجال والنساء، وهذا الخلق السيء من أسباب دخول النار، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «بِكُفْرِهِنَّ» قيل: يكفرن بالله؟ قال: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ

(١) قال الشيخ الألباني **رحمته الله**: «مفتاح عودة مجد الإسلام: تطبيق العلم النافع والقيام بالعمل

الصالح وهو أمرٌ جليلٌ لا يمكن للمسلمين أن يصلوا إليه إلا بإعمال منهج التصفية والتربية وهما واجبان مهمان عظيمان وأردت بالأول منهما أموراً:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك وجحد الصفات الإلهية وتأويلها ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة وتحرير العقول من آصار التقليد وظلمات التعصب.

الثالث: تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والمنكرات.

وأما الواجب الآخر: فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفّى من كل ما ذكرنا تربيةً إسلاميةً صحيحةً منذ نعومة أظفاره دون أي تأثرٍ بالتربية الغربية الكافرة، ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهوداً جبارة مخلصمة بين المسلمين كافة: جماعات وأفراداً من الذين يهمهم حقاً إقامة المجتمع الإسلامي المنشود كلٌّ في مجاله واختصاصه» [فقه الواقع ص: ١٩].

شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ» (١).

ومما يدل على مكانة حسن الخلق، قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» (٢).

وحسن الخلق سبب لنيل الدرجات العلا كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا...» (٣).

ولذلك فالمسلم بحاجة إلى تربية نفسه على الحلم والعتو والسماحة وحفظ اللسان.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** أسوة حسنة لنا في ذلك حتى شهد الله **بِرَسُولِهِ** له في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وما مدح الله تعالى نبيه محمداً **صلى الله عليه وسلم** كما مدحه في هذه الآية.

فإن قال قائل: أليس التوحيد أعظم من حسن الخلق؟

فالجواب: إن توحيد الله تعالى وأداء حقه من حسن الخلق، فمن حسن خلق الإنسان أن يعبد الله وحده لا شريك له، الذي خلقك لتعبده لا لتعبد غيره، ورزقك لتشكره لا لتشكر غيره، فالتوحيد دليل على حسن الخلق، والشرك أكبر سوء خلق.

وقد ذكر الله حسن الخلق في بعض العبادات، فقال في الحج: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، فوجب على الإنسان عندما يكون مُحْرَمًا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥١٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: (٢٠٤).

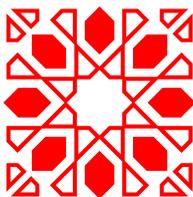
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٠١٨)، وحسنه الألباني في صحيح السلسلة الصحيحة رقم:

أن يتجنب الجدال بالباطل و الفسوق.

وكذلك في الصوم يجب على المسلم أن يحفظ جوارحه عن المعاصي، ويتعامل مع الناس بالأخلاق الحسنة وألا يرد الإساءة بمثلها، كما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ^(١)، إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ^(٢)، وَلَا يَصْحَبْ^(٣)، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنْ أَمْرٌ صَائِمٌ»^(٤) ^(٥).

والخلاصة أن تقوى الله فيها سعادة الدنيا والآخرة

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقى هو السعيد



(١) قوله: (الصَّيَامُ جُنَّةٌ)، قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هو بضم الجيم، ومعناه سترٌ ومانعٌ من الرِّفْثِ والآثامِ، ومانعٌ أيضًا من النَّارِ» [شرح مسلم ٣٠ / ٨].

(٢) قوله: (فَلَا يَرْفُثْ)، الرَّفْثُ: الكلامُ الفاحش، ويُطْلَقُ عَلَى الْجَمَاعِ وَمَقْدَمَاتِهِ وَعَلَى ذِكْرِهِ مَعَ النِّسَاءِ [انظر فتح الباري ١٠٤ / ٤].

(٣) قوله: (وَلَا يَصْحَبْ) قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّحْبُ: الخِصَامُ وَالصَّيْحَانُ» [فتح الباري ١١٨ / ٤].

(٤) الثابت في السُّنَّةِ أَنَّ يَقُولُ الصَّائِمُ لِمَنْ شَتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ: «إِنْ أَمْرٌ صَائِمٌ» كما جاء في الحديث، ولا يقل كما درج عند العامة: «اللهم إني صائم».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٥١)، واللفظ للبخاري.

السؤال الثاني والستون: ما دار العذاب والمهانة؟ وكم عدد أبوابها؟

الجواب: هي النار، وعدد أبوابها سبعة.

النار: هي دار العذاب والمهانة التي أعدّها الله للكافرين، ولها أسماء كثيرة ومتعدّدة؛ لكثرة ما فيها من أنواع العذاب، وهذه الأسماء كلها تدل على صفات النار، ومن أسماء النار: جهنّم، وسقّر، والجحيم، والهاوية، وغير ذلك من الأسماء التي ثبتت لها في الكتاب والسنة.

وأبواب النار سبعة كما قال تعالى: ﴿وَأَبْوَابُ النَّارِ سَبْعَةٌ مِّنْهَا يَخْرُجُونَ﴾ [الحجر: ٤٣: ٤٤].

قال ابن كثير رحمته الله: «قد كُتِبَ لكل بابٍ منها جزءٌ من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه - أجازنا الله منها - وكلُّ يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله»^(١).

والنار هي عذاب الله تعالى، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي»^(٢).

ولا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن أن الله قد خلق النار، وأنها موجودة الآن، وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى: ﴿فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٦)، وهذه الأبواب تُغلق على الكفار فلا يخرجون أبداً من النار كما أخبر بذلك العزيز الجبار فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [١١] عليهم نارٌ مؤصدة رحمته الله [البلد: ١٩: ٢٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٨٥٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٦).

ومن صفات النار أنها واسعة وقعرها بعيدٌ، ومما يدل على سعة النار وبعُدِ قعرها ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ سمع وجبةً، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها» ^(١).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ، مع كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونها» ^(٢).

ويدخل أهل النار النار على صورة ضخمة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسرِع» ^(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» ^(٤)، وهذا التعظيم لجسد الكافر ليزداد عذابًا وألمًا.

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٤٤)، قوله: (سمع وجبة) أي: هدّة، وهي صوت وقع الشيء الثقيل. [المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (٧/١٨٧)].

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٤٢).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لها سبعون ألف زمام) قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الزمام: ما يزم به الشيء؛ أي: يُشدُّ ويُربط، وهذه الأزمة التي تساق جهنم بها أيضًا تمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه». [المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (٧/١٨٦)].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٥١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٥٢)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٨٥١).

والنار تُسعر كلَّ يوم وتزداد حرارتها وشدة عذابها، قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «اشتكتِ النَّارُ إلى ربها فقالت: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذَنْ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ»^(١).

وقد حُفَّتِ النَّارُ بالشهوات التي هي من أعظم أسباب دخولها، والدليل حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبْرِيْلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَوَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(٢).

= وأخرج الترمذي في جامعه رقم: (٢٥٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢١١٤) قوله **صلى الله عليه وسلم**: «إِنْ غَلِظَ جِلْدُ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنْ ضَرَسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنْ مَجَلَسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦١٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٥٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٣٦٦٩)، وأصل الحديث عند البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رقم: (٦٤٨٧)، ومسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رقم: (٢٨٢٢) واللفظ له «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

ومما جاء في عذاب أهل النار أنهم يستغيثون أي يطلبون ماءً فيُغاثون بماءٍ كالمُهَلِّ شديد الحرارة شديد الغليان يشوي الوجوه، قال تعالى: ﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وإن يَسْتَعِثُّوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهَلِّ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقد جاء أن النار تتكلم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فتقول: قطَّ قطَّ، وعزَّتْك، ويُزوي بعضها إلى بعض»^(١).
وإذا استعاذ المسلم بالله من النار فإن النار تدعوه له تقول: اللهم أجره من النار، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: «اتقوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرَّة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»^(٣)، أي: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية ولو أن تتصدَّقوا بنصف تمرَّة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٦٦١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٨).

قال النووي رحمته الله: «معنى يُزوي يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على من فيها، ومعنى قط حسي أي يكفيني هذا، وفيه ثلاث لغات قط يأسكان الطاء فيهما، وبكسرهما منونة، وغير منونة» [شرح مسلم ١٧/١٨٢].

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٢٥٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٦٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠١٦).

فمن استطاع أن يقلل من السيئات ويكثر من الحسنات فلا يُقصر في حق نفسه، فإهانة نفسك أن تجعلها في معصية الله **عَزَّوَجَلَّ**، ورفعة نفسك أن تجعلها في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧: ١٠] ﴿دَسَّاهَا﴾، أي: دسَّها في معصية الله تعالى (١).

الخلاصة أننا خلقنا من أجل الاختبار والابتلاء ثم نكدح في هذه الدنيا إلى ما شاء الله ثم نلاقي الله **عَزَّوَجَلَّ** والمصير؛ إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، عن بعض أصحاب النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لرجل: «كيف تقول في الصلاة؟»، قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذٍ فقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «حولها ندندن» (٢).

وقد ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** النار في كتابه وذكر أهلها وطعامهم وشرابهم وأحوالهم وندمهم وصرائحهم واتهام بعضهم بعضًا كل ذلك لتحيا القلوب وتنقي هذه النار.

(١) قال الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللهُ** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ «أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعيها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب، والافتراق للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويُدسِّسها». [تفسير السعدي ص: ٩٢٦].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٧٩٢)، وصحَّ إسناده الألباني في صحيح أبي داود الأم رقم: (٧٥٧).

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «حولها ندندن»، قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللهُ**: «الدندنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تُسمع نغمته ولا يُفهم،... والضمير في حولها للجنة والنار: أي حولهما ندندن وفي طلبهما. [النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٣٧].



السؤال الثالث والستون: ما الإحسان؟



الجواب: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.



الإحسان لغة: الإتيان أحسن الشيء أي: أتقنه.

وهو رتبة عظيمة في الدين بأن يتقن الإنسان دينه.

وشرعاً: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وللإحسان مقامان:

١- مقام المشاهدة، وهو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(١).

٢- مقام المراقبة، وهو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السُّجُودِ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

قال ابن القيم رحمته الله: «فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧٧٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٩).

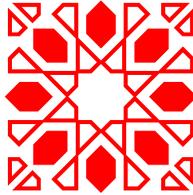
قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «وهذه المشاهدة المقصود بها مشاهدة الصفات لا مشاهدة الذات؛ لأن الصوفية والضالّ هم الذين جعلوا ذلك مدخلاً لمشاهدة الذات كما يزعمون، وهذا من أعظم الباطل والبهتان، وإنما يمكن مشاهدة الصفات، ويعنى بها مشاهدة آثار صفات الله في خلقه». [شرح الأربعين النووية ص: ٦٣].

قيامها به، ولقد جمَعَ النبي ﷺ أصولَ أعمالِ القلبِ وفروعها كُلِّها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» (١).

والمراقبة تُورثُ الحياءَ من الله؛ لأنَّ الإنسانَ قد يتجرأ على المعاصي في السرِّ ولا يتجرأ عليها في العلن لكن من فقدَ الحياءَ من الله ومراقبته فربما يجاهرُ بالمعصية.

والحياءُ من الله رتبةٌ عظيمةٌ فعن سعيد بن زيد، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحيي الله كما تستحيي رجلاً صالحاً من قومك» (٢). فالإنسانُ إذا كان عنده ناس صالحون فإنه يستحي أن يفعل المعصية أمامهم، والله سبحانه وتعالى أحقُّ أن يُستحيا منه.

والعبدُ يرتقي في مقام الإحسان، وترتفعُ درجتهُ فيه بإتقان أعمال الإسلام الظاهرة وإتقان أعمال الإيمان القلبية.



(١) إعلام الموقعين (٦/١١٢).

ومِمَّا يُعِينُ على الوصول إلى مرتبة الإحسان كثرةُ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ، قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ في كلامه عن فوائدِ ذِكْرِ اللهِ تعالى: «أنَّهُ يُورِثُهُ المراقبةَ حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت». [الوابل الصيب ص: ٤٢].

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم: (٧٣٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٥٤١).

السؤال الرابع والستون: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ؟

الجواب: الوالدان: الأمُّ والأبُّ.

الإحسانُ يكونُ في عبادة الله ويكونُ أيضًا مع عبادة الله؛ بأداء ما لهم من الحقوق، وحفظ ما لهم من الواجبات، فتكفُّ عنهم الأذى، وتبذلُ لهم الخير ما استطعت.

وأحقُّ الناس بهذا البرِّ والإحسانِ الوالدان، فقد عطفَ اللهُ حقَّهما على أعظم حقِّ له، وهو عبادته وحده لا شريك له في مواضع من كتابه:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سَيِّئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

فذكر اللهُ تعالى حقَّه وهو عبادته وحده لا شريك له في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حقَّ الوالدين فقال: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولِيِّ والفعليِّ؛ لأنهما سببُ وجودِ العبدِ، ولَهُمَا من المحبة للولدِ والإحسانِ إليه والقُرْبِ ما يقتضي وجوبَ البرِّ.

ثم قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي: إذا وصلا

إلى هذا السنن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَيْ﴾ وهذا أدنى مراتب الأذى نَبَّه به على ما سواه، والمعنى: لا تؤذهما أدنى أذية.

﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ أي: تزجرهما وتتكلم معهما كلامًا غليظًا.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يطيّب قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما رحمةً بهما واحتساباً للأجر والثواب، لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء للمال، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَأَرْبَابِي صَغِيرًا﴾ أي: ادعُ لهما بالرحمة أحياءً وأمواتاً، جزاءً على تربيتهما إياك صغيراً.

﴿كَأَرْبَابِي صَغِيرًا﴾ و(كما) هنا للتعليل وليست للتشبيه، أي: لأنَّهما ربياني صغيراً، وفيه اعتراف بالفضل لهما بعد فضل الله.

ويستفاد من الآية أنه كلما ازدادت التربيةُ ازداد الحقُّ، وكذلك من تولَّى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربيةً سالحةً غير الأبوين فإن له على من ربَّاه حقَّ التربية^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمَّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أُمَّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟

(١) انظر تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أُمَّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَبُوك»^(١).

فدَلَّ الحديثُ على أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ هُمُ الْوَالِدَانِ، وَأَنَّ حَقَّ الْوَالِدَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْأَبِ^(٢)؛ وَذَلِكَ لِمَا قَاسَتْهُ الْأُمُّ مَعَ أَبْنَائِهَا، فَقَدْ حَمَلَتْهُمْ فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَعَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي وَضْعِهِمْ أَشَدَّ الْمَعَانَاةِ، ثُمَّ التَزَمَتْ رِعَايَتَهُمْ مَدَّةَ الرِّضَاعِ وَالْفِطَامِ وَالْعِنَايَةَ الْكَامِلَةَ بِهِمْ، فَاسْتَحَقَّتْ بِذَلِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَتْهُ فِي عَمَإَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

وهذا التقديم لحق الأم على الأب لا يعني تضييع حق الأب، فبعض الناس إذا طُلِّقَت والدته ضيَّع حق والده من البرِّ، فالأبُّ له حقٌّ عظيم، فهو سببٌ وُجُودِ الولد بعد الله تعالى، ومهما بذل الابن فلن يستطيع أن يُرَدَّ جميل والده عليه.

قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «لا يجزي ولدٌ والدًا، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»^(٣).

ومن كبائر الذنوب والمحرمات التي نهى الله **عزَّ وجلَّ** عنها ورسوله **صلى الله عليه وسلم** عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٧١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٤٨).

(٢) قال ابنُ عباسٍ **رضي الله عنهما**: «إني لا أعلمُ عملاً أقربَ إلى الله **عزَّ وجلَّ** من برِّ الوالدة» أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: (٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٥١٠).

قوله: (لا يجزي) أي: لا يُؤدِّي إليه حقه (فيعتقه) أي: فيصير سببًا لعتقه بشرائه، وليس المرادُ به أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى إِعْتَاقِي آخَرَ سِوَى أَنَّهُ اشْتَرَاهُ، وَفِيهِ أَنَّ الْعَبْدَ كَالْهَالِكِ، فَكَأَنَّهُ بِالْإِعْتَاقِ أَخْرَجَهُ مِنَ الْهَلَاكِ إِلَى الْحَيَاةِ فَصَارَ فَعْلُهُ ذَلِكَ مِمَّا يَعْدِلُ فَعَلَ الْأَبُ حَيْثُ كَانَ سَبَبًا لِلْوُجُودِ وَإِخْرَاجِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَيْهِ. [حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢/٣٨٨].

تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿ [لقمان: ١٥]، فأمر تعالى الأبناء بمصاحبة الوالدين بالمعروف، والإحسان إليهما حتى لو كانا يدعوانهم إلى الشرك بالله تعالى. وعن المغيرة بن شعبة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عقوق الأمهات ...» (١).

وُحِصَّتِ الأمهات في هذا الحديث بالذكر؛ لأنها في العادة تُستضعفُ عند أولادها، بخلاف الأب؛ فقد يهابه أولاده لاسيما إذا كان في نشاطه وقوته. ولأنَّ الأم فيها من الرحمة والعاطفة ما يجعلها تتغاضى عن تقصير أولادها في حقها؛ فلذلك كانت الوصية بها أكد.

ولو تأملنا حال كثير من الناس نجدهم يقدمون صحبة أصدقائهم ورفاقهم على برِّ والديهم، لاسيما في هذا الزمان الذي ضَعُفَ فيه الدين. بل نرى بعض الأبناء يرفع صوته على أمه، ويتكلم معها بغلظةٍ وشدَّةٍ، بينما تراه يعامل أصحابه بغاية الأدب واللُّطف والأخلاق الطيبة (٢).

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: العاقُّ

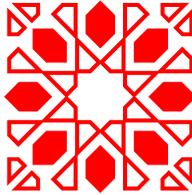
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٤٠٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٩٣)، وتمام الحديث: «ووأد البنات، ومَنَعَ وهات، وكره لكم؛ قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

(٢) قال الشوكاني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أعلى الناس رتبةً في الخير، وأحفظهم بالاتصاف به هو مَنْ كان خيراً الناس لأهله، فإنَّ الأهل هم الأحقَاءُ بالبِشْرِ وحُسْنِ الخُلُقِ والإحسانِ وجلبِ النِّفَعِ ودَفْعِ الضَّرِّ، فإذا كان الرَّجُلُ كذلك فهو خيراً النَّاسِ، وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشَّرِّ، وكثيراً ما يقع النَّاسُ في هذه الورطة، فترى الرَّجُلَ إذا لَقِيَ أهله كان أسوأ النَّاسِ أخلاقاً، وأشجعُهُمْ نفساً، وأقلَّهُمْ خيراً، وإذا لَقِيَ غيرَ الأهلِ مِنَ الأَجَانِبِ لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وحادت نفسه وكثُرَ خيره، ولا شكَّ أنَّ مَنْ كان كذلك فهو محرومٌ التوفيقِ زائغٌ عن سواءِ الطريقِ». [نبيل الأوطار ٦/ ٢٤٥].

لوالديه، والمرأة المترجّلة، والدّيوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمدمنُ على الخمر، والمنانُ بما أعطى»^(١).

وإنَّ من أعظم العقوق و أكبر الكبائر لعنَ الرجلَ والديه، فعن عبد الله بن عمر و **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ من أكبر الكبائر أن يلعنَ الرَّجُلُ والديه» قيل: يا رسولَ الله، وكيف يلعنُ الرَّجُلُ والديه؟ قال: «يسبُّ الرَّجُلُ أبَا الرَّجُلِ، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّهُ»^(٢).

تنبيه: كثيرٌ من الناس لا يفرِّق بين برِّ الوالدين وعقوقهما، فيظنُّ أنَّ عدمَ العقوق هو المطلوب، وهذا فهمٌ قاصر، فعقوق الوالدين من باب المنهيات و المحظورات، وبرُّ الوالدين من باب المأمورات، فهو أمرٌ آخرٌ يقتضي من الأبناء بذلَ الإحسان والمعروف للوالدين، وطلبَ رضاهما، والسَّعي في قضاء حوائجهما، فقد يكون الابنُ غير عاقٍ لوالديه، ومع ذلك هو غير بارٍّ بهما، ولا مُحسِنٌ إليهما، فعلى المسلم أن يبرَّ والديه امتثالاً للمأمور، وأن يجتنب العقوق اجتناباً للمحظور.



(١) أخرجه النسائي في سننه رقم: (٢٥٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٠٧١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٩٠)، واللفظ للبخاري.

قوله: (وكيف يلعنُ الرَّجُلُ والديه؟) قال ابن حجر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «هو استبعاد من السائل لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك فيبين في الجواب أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيراً». [فتح الباري ١٠/٤٠٣].

قال ابنُ بطال **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «هذا الحديث أصلٌ في قطع الذرائع، وأن من آل فعله إلى مُحَرَّم وإن لم يقصده فهو كمن قصده وتعمَّده في الإثم». [شرح صحيح البخاري ٩/١٩٢].

السؤال الخامس والستون: ماذا تقول إذا أردت أن تدعو لوالديك؟

الجواب: ربّ اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيراً.

الدعاء للوالدين سببٌ من أسباب رفعة الدرجات وزيادة الحسنات، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ يَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

وإنّه ممّا ينفَعُ الإنسانَ بعد موته دعاءُ ولده له، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٢).

فصلاحُ الأبناء والبنات ينفَعُ الآباءَ والأمهاتِ في الحياة وبعد الممات. وهذا الدعاء الذي ذكره المصنّف مقتبسٌ من قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

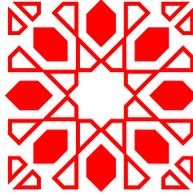
ويُشرَعُ أن يدعو المسلم لوالديه بكلّ دعاءٍ طيّبٍ يرجع عليهما بالخير في الدنيا والآخرة، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكْفَتْهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَافَتْهُمْ» (٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٠٦١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٦٣١).

(٣) أخرجه أبو داود رقم: (١٦٧٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٦١٧).

وَأَيُّ مَعْرُوفٍ أَعْظَمَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي بَذَلَهُ الْوَالِدَانِ لِأَبْنَائِهِمَا فَلِشَاكِّ
أَنْهُمَا أَحَقُّ النَّاسِ بِالدَّعَاءِ وَالْمَعْرُوفِ وَسَائِرِ وُجُوهِ الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ.





السؤال السادس والستون: ما أحب الأعمال إلى الله تعالى؟



الجواب: الصلاة على وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.



عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال:
«ثم بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله»^(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: «أي الأعمال أحب إلى الله»: فيه إثبات صفة المحبة لله
عز وجل؛ فالله سبحانه وتعالى يحب ويحب، قال عز وجل: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَّطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٥)، واللفظ لمسلم.
قال ابن حجر رحمه الله: «ومُحْصَلُ ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت
فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال، أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل
قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف
الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء
الإسلام أفضل الأعمال؛ لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكّن من أدائها، وقد تضافرت
النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون
الصدقة أفضل أو أن أفضل ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق أو المراد من أفضل
الأعمال فحذفت (من) وهي مرادة فتح الباري (٩/٢).

وعن سهل بن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ» الحديث (١).

ومن فوائد الحديث أيضًا: بيان أن الأعمال التي يحبها الله تعالى متفاوتة، وأعظمها التوحيد ثم الصلاة.

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الصلاة على وقتها»: الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ومن فضائلها: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأداؤها كما أمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** سبب لإصلاح البلاد والعباد، وكثير من الناس يشتكي من الفساد المالي والأخلاقي الذي يقع في بلاد المسلمين ويذكر لذلك أسبابًا، ولكنه لا يذكر السبب الأعظم لانتشار الفساد وهو ترك الصلاة وإهمالها والتهاون فيها، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّمْوتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩]، فكان اتباعهم للشهوات بعد إضاعتهم للصلوات، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ﴾ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** [العنكبوت: ٤٥]، فمن لم يصل فسيقع حتمًا في الفحشاء والمنكر.

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الصلاة على وقتها»: معناه في أول وقتها، فإن الصلاة في أول وقتها أحب الأعمال إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** لما في ذلك من المبادرة إلى الخير.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٢١٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٠٦)، واللفظ للبخاري.

وعن أم فروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا» (١).

* ويستثنى من ذلك وقتان:

الأول: الإبراد بالظهر وهو تأخير صلاة الظهر عند شدة الحر حتى يبرد الجو، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» (٢).

الثاني: تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل إذا لم يشق ذلك على الناس؛ والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهِمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نَصْفِهِ» (٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَةٌ اللَّيْلِ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوْ قَتَّهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي» (٤).

ومما يتساهل فيه كثير من المسلمين تأخير الصلاة عن وقتها، وبعض الناس يُنْشِئُ وَقْتًا لِلصَّلَاةِ عَلَى هَوَاهُ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ فَيَتَعَمَّدُ أَنْ يَجْعَلَ صَلَاةَ الْفَجْرِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَهَذَا عَلَى قَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لَا صَلَاةَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ شَأْنُهُ شَأْنٌ مَنْ يَصَلِّي الصَّلَاةَ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ تَتَعَمَّدَ وَتَصَلِّيَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٠٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٣٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦١٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٣١٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٦٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٣٨)، واللفظ له.

وقتها، فمن صَلَّى الصلاة في غير وقتها متعمداً فهو كمن صام ليلاً، فلا يصح صيامه؛ لأنه ابتدع وقتاً ما أنزل الله به من سلطان.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «بِرِّ الوالدين» بِرُّ الوالدين نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله؛ فعن عبد الله بن عمرو **رضي الله عنهما** يقول: جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم**، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(١).

وبر الوالدين سببٌ لنيل رضا الله تعالى، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالدِ»^(٢).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «الجهادُ في سبيل الله»: ومعنى الجهاد في هذا الحديث: هو القتال لإعلاء كلمة الله، وفضائل الجهاد كثيرة جداً؛ فهو ذروة سنام الإسلام، ومن أعظم القربات إلى الله تعالى وأجلها^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٠٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٤٩)، واللفظ للبخاري.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: (ففيهما فجاهد) قال ابن حجر **رحمته الله**: «أي إن كان لك أبوان فابلغْ جَهْدَكَ في بَرِّهما والإحسانِ إليهما فإنَّ ذلك يقومُ لك مقامُ قتالِ العدو» [فتح الباري ١٠/٤٠٣].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٨٩٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٥١٦).

(٣) وقد جمع المؤلف حفظه الله أنواع الجهاد في سبيل الله سوى القتال وهي:

- ١- الجهاد بالمال.
- ٢- جهاد النَّفْسِ.
- ٣- جهاد الشيطان.
- ٤- جهاد المنافقين.
- ٥- جهاد أهل البدع والأهواء.
- ٦- كلمة الحق عند الحاكم الظالم.
- ٧- جهاد المرتدين.
- ٨- الجهاد ببر الوالدين.
- ٩- الحج جهاد المرأة والضعيف.
- ١٠- السعي على الأرملة والمسكين.
- ١١- جهاد المشركين الذين يعبدون الأولياء والصالحين الذين ينتسبون للإسلام.
- ١٢- جهاد المفسدين في الأرض الذين يقطعون الطرق ويروعون الأمنين ويسفكون دماءهم ويأكلون أموالهم.

ولا يكون جهاداً شرعياً إلا إذا كان المراد منه إعلاء كلمة الله؛ فليس الجهادُ للسمعة والرياء ولا للرئاسة والمال ولا حميةً كحمية الجاهلية لأن النبي ﷺ سئل عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حميةً، ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وليس من الجهاد الشرعي رفع الشعارات الزائفة؛ كالحرية، أو الديمقراطية، أو المطالبة بالمشاركة في الحكم، أو القضاء على البطالة، أو غير ذلك من الشعارات. ثم إن كثيراً ممن ينادون بالحرية يجعلون ذلك مقدماً على تطبيق الشريعة؛ وهذا لأنهم عن طريق الحرية والديمقراطية سوف يصلون إلى الحكم، والحكم عندهم غاية، ولذلك تجدهم يقولون: الخلافة، وقد شابهوا الرافضة الذين يقولون: الإمامة، والحق أن الغاية هي عبادة الله وحده لا شريك له ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإن الحكمة والغاية من فريضة الجهاد هي تحقيق عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَنتَهُوَ آيَاتٍ أَلَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وهذا الأمر الجليل العظيم يغيب عن كثير من المسلمين فتجدهم يقعون في عبادة الأولياء والاستهزاء بالدين وسب الله ورسوله وانتهاك حرمة الله تعالى ثم يدعون الناس إلى الجهاد!!

= * الذي يقتضيه النظرُ تقديمُ الجهادِ على جميع أعمالِ البدن؛ لأنَّ فيه بذلُ النَّفْسِ إِلَّا أَنْ الصَّبْرَ على المحافظةِ على الصَّلواتِ وأدائها في أوقاتها والمحافظةِ على برِّ الوالدينِ أمرٌ لازمٌ مُتَكَرِّرٌ دائمٌ لا يَصْبِرُ على مراقبةِ أمرِ الله فيه إلا الصَّديقون، والله أعلم. [فتح الباري ٢/ ١٠].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٠٤)، واللفظ له.

فالواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يُصَحِّحُوا عقائدَهم ومناهجَهم ويدعوا عامة المسلمين إلى عبادة الله وحده والتمسك بسُنَّةِ رسوله **صلى الله عليه وسلم**، قبل توريطهم في حروب خاسرة، ومآسٍ أليمة.

والجهادُ في سبيل الله له شروطٌ وأركانٌ لا بدَّ من الإتيان بها ^(١) ليكون الجهادُ شرعيًّا، ومن أهم الشروط: استئذان الوالدين قبل الخروج إليه؛ فعن عبد الله ابنِ عمر **رضي الله عنهما** يقول: جاء رجلٌ إلى النبي **صلى الله عليه وسلم**، فاستأذنه في الجهادِ، فقال: « **أحْيٌ وَالِدَاكَ؟** »، قال: نعم، قال: « **ففيهما فجاهد** » ^(٢).

فرغم أنَّ الجهاد مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هو أعظم جهاد على الإطلاق؛ لاستكمالهِ الشروط والأركان، ولأنه لا شكَّ فيه ولا شبهة، إلا أنَّ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أمره أن يترك الجهادَ معه ليذهب إلى والديه، فلو لم يكن استئذان الوالدين واجبًا قبل الذهاب للجهاد لما كان النبي **صلى الله عليه وسلم** ليفوت هذا الخير العظيم على أحدٍ من أصحابه.

كذلك أمر النبي **صلى الله عليه وسلم** من خرج للجهاد بغير إذن والديه أن يرجع إليهما

(١) الجهاد المشروع لا بُدَّ أن تتوفر فيه شروط وهي :

الشرط الأول: الإخلاص لله تعالى، وهذا شرط في العبادات كلّها، والجهاد عبادة من العبادات.

الشرط الثاني: وجود القوَّة والقُدرة عند المسلمين على الجهاد؛ لأنَّ جميع الواجبات يشترط فيها القدرة، لقوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الشرط الثالث: ألا يترتَّب على الجهاد مفسدة أعظم من تركه.

الشرط الرابع: أن يكون بإذن وليِّ الأمر.

الشرط الخامس: أن يكون تحت راية شرعية. [الجهاد في الإسلام للشيخ: عبد السلام السحيمي (ص: ٧٢)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٠٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٤٩)، واللفظ للبخاري.

كما في حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رجلاً هاجر إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من اليمن فقال: «هل لك أحد باليمن؟» قال: أبوأي، قال: «أذن لك؟» قال: «لا»، قال: «ارجع إليهما فاستأذنيهما، فإن أذن لك فجاهد وإلا فبرهما»^(١).

فهذا الرجل جاء من اليمن مهاجرًا إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** للجهاد في سبيل الله تعالى فأمره بالرجوع إلى والديه.

وأيضًا الخروج للجهاد من غير إذن الوالدين فيه عقوق لهما؛ والعقوق من أكبر الكبائر، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثلاثًا، قالوا: بلى يارسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان مُتَكَنًّا - فقال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» قال: فما زال يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»^(٢).

فالواجب على الدعاة إلى الله أن يحثوا الشباب على البرِّ واجتناب العقوق، لا أن يقولوا لهم: (لو ذهبتم فقد عصيتم، ولعل الله يغفر لكم عقوقكم بفضل جهادكم)!!

قال ابن عبد البر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لا خلاف علمته أن الرجل لا يجوز له الغزو ووالداه كارهان أو أحدهما؛ لأنَّ الخلافَ لهما في غير أداء الفرائض عقوق، وهو من الكبائر»^(٣).

ويقال أيضًا لهذا الشاب الذي خرج إلى الجهاد بغير إذن والديه: ما الذي

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٥٣٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٦٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٧)، واللفظ للبخاري.

قال النووي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «وأما قولهم: «لَيْتَهُ سَكَتَ»، فإنما قالوه وتمنوه شفقةً على رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكراهةً لما يزعجه ويغضبه». [شرح مسلم ٨٨ / ٢].

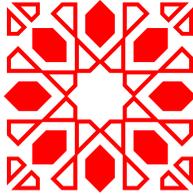
(٣) «الاستذكار» (٥ / ٤٠).

يضمنُ لك بأن الله سيقبل منك جهادك وسيغفر لك؟ فالعبد لا يعلم ما الذي يقبله الله من أعماله، سواء أكان جهاداً، أم صلاة، أم صياماً، أم غير ذلك.

وخلاصة القول: أنَّ الجهاد بغير إذن الوالدين عقوقٌ ومفسدةٌ محققةٌ، وقبول الله تعالى للجهاد مصلحةٌ مرَّجوةٌ؛ فلا يُقدَّم ما كان مظنوناً على ما هو مُحَقَّقٌ^(١).

سُئِلَ فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان: عن حكم الذهاب إلى الجهاد دون إذن ولي الأمر، مع أنه يُغفر للمجاهد من أول قطرة من دمه؟ وهل يكون شهيداً؟

أجاب بقوله: «لا يكون مجاهداً إذا عصى وليَّ الأمر، وعصى والديه وذهب، فإنه لا يكون مجاهداً بل يكون عاصياً»^(٢).



(١) ومن الكتب النافعة كتاب (الجهاد أنواعه وأحكامه والحد الفاصل بينه وبين الفوضى) للشيخ: حمد العثمان، فقد عقد باباً جميلاً نافعا بعنوان (شبهةٌ للتحايل على إسقاطِ إذن الوالدين) (ص: ١٣٥) وردَّ على هذه الشبهة من تسعة أوجه.

(٢) الإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة (ص: ٧٣).



السؤال السابع والستون: مَنْ أكرمُ النَّاسِ عند الله تعالى؟



الجواب: أتقاهم، وأتقى النَّاسِ رسولُ الله ﷺ.



أجمعُ ما قيل في تعريف التقوى ما قاله طلقُ بنُ حبيب **رحمَهُ اللهُ**: «التقوى عملُ بطاعةِ الله على نور من الله؛ رجاءَ رحمةِ الله، والتقوى تركُ معصيةِ الله على نور من الله، خيفةَ عقابِ الله»^(١).

والتقوى هي وصيةُ الله تعالى لعباده من الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وأكرمُ الناسِ عند الله أتقاهم، قال الله **عزَّ وجلَّ**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي الآية حثُّ للمسلم على الاتصاف بالتقوى.

فالعبرة في تفاضل الناس عند الله تكون بصلاح القلب وصلاح الأعمال، لا بالمال والجمال، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٢).

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد رقم: (١٣٤٣).

قال الذهبي **رحمَهُ اللهُ**: «أَبَدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلَا تَقْوَى إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِتَرَوٍّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِتْبَاعِ، وَلَا يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، لَا يُقَالُ: فَلَانٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُورِ الْفَقْهِ، إِذِ الْمَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابَهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّرْكَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، لَا لِيَمْدَحِ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَ». [سير أعلام النبلاء ٤/٦٠١].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٦٤).

ولكي يُحَصِّلَ العبدُ أعلى مراتب التقوى لا بُدَّ أن يتعلَّم العلمَ الشرعي؛ لأنَّ تحصيلَ التقوى يكون بامثال المأمور، واجتناب المحذور، فمن لم يكن عنده علمٌ شرعيٌّ فيفوته كثيرٌ من الخير وقد يقع في المحذور ويتقربُ إلى الله بالشُّرك والبدع والضلالات.

وجميع الناس بحاجة إلى التذكير بتقوى الله، وبعضُ النَّاس لجهله عندما يُقال له: (اتق الله) أو (أكثر من الاستغفار)، فيقول: (ماذا فعلتُ حتى تأمرني بالتقوى؟ هل رأيت عليَّ شيئاً؟) فيقال له: كلُّنا مذنبون مقصِّرون، وبحاجة إلى رحمة الله، فهذا النبيُّ **صلى الله عليه وسلم** الذي هو أتقى الناس كما صحَّ عنه أنه قال: «أما والله إني لأخشاكم لله، وأنقاكم له»^(١).

وكذلك هو أكثر الناس استغفاراً لله تعالى، قال **عليه الصلاة والسلام**: «وإني لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة»^(٢).

وقال أبو هريرة **رضي الله عنه**: «ما رأيتُ أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله **صلى الله عليه وسلم**»^(٣).

ومع ذلك فقد أمره الله تعالى بالتقوى فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]^(٤).

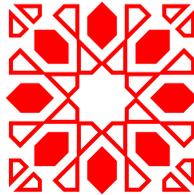
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٤٠١)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (١٠٢١٥)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٩٢٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان رقم: (٩٢٤).

(٤) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي **رحمته الله**: «﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أمره بالتقوى يراد به الدوام على ذلك، أو أمر أمته بأمره لأنه قدوة لهم». مذكرة في أصول الفقه (ص: ٤٣).

فلَمَّا اقْتَرَبَ أَجْلُهُ أَنْزَلَ اللَّهُ **هَزْجًا** سُورَةً يَنْعِيهِ بِهَا ^(١)، أَي يَقُولُ لَهُ: إِنَّ أَجَلَكَ قَدْ اقْتَرَبَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ^(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۖ﴾، وَكَانَ حَالُهُ **بِعَنِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ** كَمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «كَانَ النَّبِيُّ **بِعَنِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ** يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ^(٢) يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، أَي: يَتَأَوَّلُ قَوْلَ اللَّهِ **هَزْجًا**: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۖ﴾.



(١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ ۗ﴾، وَذَلِكَ عِلْمُهُ أَجَلَكَ... فَقَالَ عُمَرُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ». أَخْرَجَهُ

الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٤٩٧٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٨١٧)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٤٨٤).

السؤال الثامن والستون: ما كتابك العظيم؟ وكم عدد أجزائه؟

الجواب: القرآن الكريم، وعدد أجزائه ثلاثون جزءاً.

أنزل الله عز وجل على عبده ورسوله محمد ﷺ كتاباً عظيماً اشتمل على صفات عديدة منها:

١- الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

٢- أنزل هداية للناس لخير الدنيا والآخرة ورحمة بهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣].

٣- أنه شفاء من جميع الأمراض الحسية والمعنوية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] (٢).

(١) وقد جمع الشيخ عبدالعزيز السلطان رحمه الله هدايات القرآن من هذه الآية، في كتابه: الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ووقف على ألفين وثمانمائة هداية، فهدايات القرآن كثيرة، وكل هداية في القرآن فهي هداية للتي هي أقوم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى ممتناً على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: محصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به =

وقد أمرنا الله بالاعتصام بهذا الكتاب العظيم فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبلُ الله هو القرآنُ.

و أمر الله نبيه **صلى الله عليه وسلم** أن يجاهد الكفار بالقرآن، وبالْحُجَّةِ والبيان، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

و أمره أن يُذَكَّرَ بالقرآن، فقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].
قوله: **(كتابك العظيم)** يُقال عن القرآن كتاب الله؛ لأنَّه كلامه؛ وهو الذي أنزله.
ويصحُّ أن يضاف إلينا ويقال: كتابنا باعتبار أننا آمنّا به.

والكتاب اسم من أسماء القرآن، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].^(١)

وقد رَغِبَ النبيُّ **صلى الله عليه وسلم** في تعلُّم القرآن وتعليمه، فقال **صلى الله عليه وسلم**: «خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلمه»^(٢).

= والمصدِّقين الموقنين بما فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. تفسير ابن كثير (٤ / ٢٧٤).

(١) أسماء القرآن أعلامٌ وأوصافٌ؛ وذلك لأنَّه صفة من صفات الله تعالى، والقرآن كلام الله، وكلامه صفته، ومن أمثلة أسماء القرآن (الفرقان، والكتاب، والنور) وغير ذلك من الأسماء الثابتة في الكتاب والسُّنة. [منحة المولى شرح القواعد المثلى للمؤلف ص: ٣٨].
قال الفيروز آبادي **رَحِمَهُ اللهُ**: «كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته، وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم نسوقها على نسقٍ واحد ويأتي تفسيرها في مواضعها». [بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٨٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠٢٧).

معنى قوله **صلى الله عليه وسلم**: «تعلّم القرآن» تعلّم القرآن لا يقتصر على قراءته مجوداً وتعليم الناس التجويد، بل تعلم القرآن وتعليمه يشمل تعلّم العقيدة الصحيحة من القرآن، والدعوة إليها، وتدبر القرآن وفهم معانيه.

قال ابن القيم **رحمة الله**: «وتعلّم القرآن وتعليمه يتناول تعلّم حروفه وتعليمها وتعلّم معانيه وتعليمها، وهو أشرف قسمي علمه وتعليمه، فإنّ المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فتعلّم المعنى وتعليمه تعلّم الغاية وتعليمها، وتعلّم اللفظ المجرد وتعليمه تعلّم الوسائل وتعليمها وبينهما كما بين الغايات والوسائل»^(١).

وقال **رحمة الله** في موضع آخر: «أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم»^(٢).

وتلاوة القرآن هي أفضل العبادات القولية وأجرها عظيم عند الله تعالى، قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿آل﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٣).

فعلى المسلم أن يحرص على أن يكون له ورْدٌ يوميٌّ من القرآن؛ لينال هذا الفضل العظيم، ولا يمنعه خوف الخطأ في القراءة من تلاوة القرآن.

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «الماهرُ بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتّع فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»^(٤).

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٤).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٢٧).

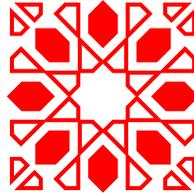
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٤٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٣٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

قوله: (وعددُ أجزاءه ثلاثون جزءاً) وهذا معلومٌ.

وأما عدد سور القرآن فهو أربع عشرة ومائة سورة، وما من سورة في القرآن مهما قصرت إلا وفيها مفردات انفردت بها عن بقية السُّور.

مثال ذلك: سورة الكوثر، ذكر فيها كلمة الكوثر، ولا تجد هذه الكلمة إلا في هذه السورة، وكذا كلمة الأبر لا تجدها إلا في هذه السورة، وهكذا في القرآن كله.



السؤال التاسع والستون: ماذا تفعل قبل أن تقرأ من المصحف؟

الجواب: أتوضأ ثم أستعيد بالله من الشيطان الرجيم.

الواجب على من أراد أن يمَسَّ المصحف أن يكون متوضئاً، والدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فإذا كان اللوح المحفوظ لا يمسه إلا الملائكة المطهرون، فالواجب على المسلم أن يحرص على أن لا يمَسَّ القرآن إلا وهو طاهر.

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الكتاب الذي كتبه لعمر بن حزم: «أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرًا»^(١).

وأما من أراد أن يقرأ القرآن غيباً من حفظه أو يقرأ من الهاتف ونحوه من الأجهزة فلا يلزمه الوضوء^(٢).

(١) أخرجه مالك في الموطأ رقم: (٥٣٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٢٢).
 (٢) واختار المؤلف حفظه الله أن الجُنْبَ يجوز له قراءة القرآن من غير مس للمصحف، وقد قال بهذا القول جماعة من أهل العلم، منهم الإمام البخاري والطبري، قال ابن حجر **رَحِمَهُ اللهُ**: «ولهذا تمسك البخاري ومن قال بالجواز غيره كالطبري وابن المنذر وداود بعموم حديث كان يذكر الله على كل أحيانه؛ لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره» فتح الباري (١/٤٠٨).
 وقال المنذري **رَحِمَهُ اللهُ**: «ورخصت طائفة للجُنْبِ في القرآن، رويانا عن ابن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: أنه كان يقرأ ورده وهو جُنْبٌ، وكان عكرمة لا يرى بأساً للجُنْبِ أن يقرأ القرآن، وقيل لسعيد ابن المسيب: أيقراً الجنب القرآن؟ قال: نعم أليس في جوفه؟» [الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف ٩٧/٢].

وكذا قال به الشوكاني في نيل الأوطار (١/٢٨٤) والألباني كما في إرواء الغليل (٢/٢٤٥).

ومن الأمور المستحبة قبل قراءة القرآن أن يستعيد المسلم بالله من الشيطان الرجيم، فالاستعاذة تتضمن الاعتصام بالله والالتجاء إليه من شر الشيطان أن يضلّه في أمر دينه ودنياه.

وصيغ الاستعاذة الثابتة في الكتاب والسنة صيغتان:

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، ودليلها حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل كَبَّرَ، ثم يقول: «أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه» ^(١).

وفي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فوائد عظيمة منها:

- ١- امتثال أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢- اتباع لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٣- أن الشيطان ربّما يلبس القراءة على القارئ، وربما يجعله يفهم فهماً غير صحيح ويحرمه التدبّر، ففي الاستعاذة بالله منه الأمن من ذلك. فالشيطان عدوٌّ مبينٌ إذا حضر أفسد صلاة الإنسان وقراءته وتدبره وانتفاعه بالقرآن فناسب أن يستعيد المسلم بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٧٧٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٢٢).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من همزه، ونفخه، ونفثه»، الهمز: الموتة وما يحصل للناس من الصرع بسبب الشيطان، والنّفخ: الكبر، فما يقع في الناس من الكبر فهو من الشيطان، والنّفث: الشعر المذموم الذي فيه دعوة إلى المحرمات والمنكرات.

السؤال السبعون: ما المَعُوذَتَانِ؟ وَاقْرَأْهُمَا.

الجواب: سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ

﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ .

سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ

النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ .

سورة الفلق سورة مكيّة^(١) وهي وسورة الناس تُسمَّيان بالمعوذتين أو بالمعوذات، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعُوذَاتِ، وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسُحُ عَنْهُ بِيَدِهِ، رَجَاءً بِرِكَتِهَا»^(٢).

ولها تين السُّورَتَيْنِ فَضْلٌ عَظِيمٌ فَعَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: «يَا عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورًا مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفِرْقَانِ مِثْلَهُنَّ، لَا يَأْتِينُ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٣).

(١) المكيّة: ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّة: ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام

حجة الوداع أم يسفر من الأسفار [الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٣٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢١٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٧٤٥٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

رقم: (٨٩١).

وعن عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألم تر آياتٍ أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قطُّ»، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١).

وممَّا جاء في فضل سورة الفلق قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عقبه بن عامر، إنك لم تقرأ سورةً أحبَّ إلى الله، ولا أبلغَ عنده من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾» (٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذُ بأذكار مشروعة فلَمَّا أنزل الله المعوذتين أخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما وترك ما سواهما، والدليل حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذُ من الجانِّ وعينِ الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلَمَّا نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما» (٣).

وَمَنْ تدبَّر هاتين السورتين وجد العَجَبَ العُجَابَ، كيف أنهما قد اشتملتا على الاستعاذة بالله من جميع الشرور، ما علمنا منها وما لم نعلم، ما ظهر منها وما بطن. قال العلامة ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشرِّ الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كُلِّها، وهو الشرُّ الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فسورة الفلق: تضمَّنت الاستعاذة من الشرِّ الذي هو ظلمُ الغير له بالسَّحْرِ والحَسَدِ، وهو شرٌّ من خارج.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨١٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٧٤١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٤٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٠٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٢٠٥٨).

* قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وهذا لا يدلُّ على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل يدلُّ على الأولوية ولا سيَّما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كلِّ مكروه جملةً وتفصيلاً». [فتح الباري ١٠ / ١٩٥].

وسورة الناس: تَضَمَّنَتِ الاستعاذة من الشرِّ الذي هو سَبَبُ ظلم العبدِ نفسه، وهو شرٌّ من داخل.

فالشرُّ الأول: [في سورة الفلق] لا يدخلُ تحت التَّكْلِيفِ، ولا يُطَلَّبُ منه الكَفُّ عنه؛ لأنه ليسَ مِنْ كَسْبِهِ.

والشرُّ الثاني: في سورة الناس يدخلُ تحت التَّكْلِيفِ، ويتعلَّقُ به النَّهْيُ، فهذا شرٌّ المعائب، والأوَّلُ شرٌّ المصائب، والشرُّ كُلُّهُ يرجعُ إلى العُيُوبِ والمصائبِ، ولا ثالثَ لهما.

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شرِّ المُصِيبَاتِ، وسورة النَّاسِ تتضمَّنُ الاستعاذة من شرِّ العُيُوبِ التي أصلُها كُلُّهَا الوَسْوَسةُ»^(١).

وقال **رَضِيَ اللهُ** أَيضاً: «تَضَمَّنَتِ هَاتَانِ السُّورَتَانِ الاستعاذة من هذه الشرورِ كُلِّهَا، بأَوْجَزِ لَفْظٍ، وَأَجْمَعِهِ، وَأَدْلَهُ عَلَى المُرَادِ، وَأَعَمَّهُ استعاذةً، بحيثُ لم يبقَ شرٌّ من الشرورِ إِلا دخلَ تحتَ الشرِّ المُستَعَاذِ مِنْهُ فِيهِمَا»^(٢).

قلتُ: فإذا عرفتَ هذا، فكيف تُفَرِّطُ في قراءتهما والمحافظة عليهما؟!

والاستعاذة: هي طلب العوذ وهو الاعتصام بالله **عَزَّوَجَلَّ** ليعيذك من شر ما استعدت به منه.

وأركانها ثلاثة:

١- مُستَعَاذُ بِهِ وهو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

٢- مُستَعِيدٌ وهو المُكَلَّفُ.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٤).

٣- مُسْتَعَاذٌ مِنْهُ وَهُوَ كُلُّ الشَّرِّ وَالْآفَاتِ وَشَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

والمسلم بحاجة ماسّة لأن يستعيذ بالله **جَلَّ وَعَلَا** حتى يقيه من كل شرّ.

ومن أعظم وسائل الوقاية من الشرور ^(١) المحافظة على قراءة هاتين المعوذتين في الصباح وفي المساء؛ فعن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ:

(١) هناك أسباب أخرى للوقاية من الشرور منها:

السبب الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان.

السبب الثاني: قراءة المعوذتين فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله تعالى من شره ودفعه والتحصن منه.

السبب الثالث: قراءة آية الكرسي.

السبب الرابع: قراءة سورة البقرة.

السبب الخامس: قراءة خواتيم سورة البقرة.

السبب السادس: قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

السبب السابع: كثرة ذكر الله، وهو من أنفع الحروز من الشيطان.

السبب الثامن: الوضوء والصلاة، وهذا من أعظم ما يتحرز به منه ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم.

السبب التاسع: ترك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والاشتغال به والفكرة في الظفر به فمبدأ الفتنة من فضول النظر، فالحوادث العظام كلها من فضول النظر، فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة، فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانغمر ظاهره وباطنه، ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد القومُ التقيُّ، وعند الصباح يحمد القومُ السُّرى، والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه. [انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٦٧].

خرجنا في ليلة مطر، وظلمة شديدة، نطلبُ رسولَ الله **صلى الله عليه وسلم** ليصلِّي لنا، فأدركناه، فقال: أصليتم؟ فلم أقل شيئاً، فقال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فقلت: يا رسولَ الله ما أقول؟ قال: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعُودَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

وتشرع قراءة المعوذتين في مواطن منها:

الأول: بعد كل صلاة مكتوبة فعن عقبه بن عامر **رضي الله عنه** قال: «أمرني رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم** أن أقرأ بالمعوذاتِ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٢).

الثاني: في أذكار النوم، عن عائشة **رضي الله عنها**: «أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»^(٣).

الثالث: في أذكار الصباح والمساء، فعن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه **رضي الله عنه** أنه قال: خرجنا في ليلة مطر، وظلمة شديدة، نطلبُ رسولَ الله **صلى الله عليه وسلم** ليصلِّي لنا، فأدركناه، فقال: أصليتم؟ فلم أقل شيئاً، فقال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فقلت: يا رسولَ الله ما أقول؟ قال: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعُودَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٤٠٦).

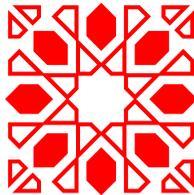
(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٥٢٣)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رقم: (٩٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠١٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٤٠٦).

الرابع: في الوتر، عن عبد العزيز بن جريج، قال: سألتنا عائشة، بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت: كان يقرأ في الأولى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «المقصود الكلام على هاتين السورتين وبيان عظيم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأنَّ لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأنَّ حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَّفْسِ والطعام والشراب واللباس»^(٢).



(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٤٦٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٠١).

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ﴾ أي يا رسول الله ، وكل من يتوجه إليه الخطاب.

والفلق: كل ما انفلق عن شيء من مخلوقات الله، والله تعالى ﴿فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، و﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

والفلق هو الصبح، والصبح مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقات الله **جَلَّ وَعَلَا**، فلو اجتمع الإنسُ والجنُّ على أن يخلقوا صباحًا ما استطاعوا ذلك.

والرَّبُّ: هو ذو الرُّبُوبِيَّةِ على خلقه أجمعين خَلْقًا، ومُلْكًا، وتصرفًا، وتدييرًا. وفي الآية إثبات توحيد الربوبية لله **جَلَّ وَعَلَا**.

وممَّا يدل على عظمة اسم الربِّ وعظمة معناه أنه ورد في كتاب الله في مقامات عديدة وسياقات متنوعة تزيد على خمسمائة مرة؛ مثل قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [يونس: ٣].

والله تعالى هو الذي يُكَوِّرُ اللَّيْلَ على النهار، ويُكَوِّرُ النَّهَارَ على الليل، وهو الذي يُسَخِّرُ الشَّمْسَ فتشرق وتغرب ويكون الليل والنهار، فهذه آيةٌ عظيمةٌ من آيات الله **عَزَّ وَجَلَّ** لكن لتكررها كل يوم لا نشعر بها، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُذَكِّرُ عباده وينبئهم ويبيِّن قدرته على أن يعيدَ من استعاذ به فهو الذي يخلق الصبح الذي يعجز عنه جميع الخلق ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ

إِلَهُ عَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
الْنَّهَارَ سَكْرَمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ عَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلَ لَكُمْ لَيْلٌ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[القصص: ٧١-٧٣].

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ربُّ جميع هذه المخلوقات ومدبرها ومنها الصبح، وهو
القادر على أن يقيك جميع الشرور؛ لأنه ربُّها وخالقها ومالكها ومدبرها بيده
ملكوت السماوات والأرض يجير ولا يُجار عليه لا يعجزه شيء في الأرض ولا
في السماء.

قوله: ﴿ **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾: قال ابن القيم **رحمته الله**: «وقد دخل في قوله تعالى: ﴿ **مِنْ
شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ الاستعاذة من كل شرٍّ في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسيًّا
كان أو جنِّيًّا أو هامةً أو دابةً أو ريحًا أو صاعقةً أي نوع كان من أنواع البلاء» (١).

والله تعالى ﴿ **خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الزمر: ٦٢]، ومخلوقات الله فيها خيرٌ وفيها شرٌّ،
وهنا جاء الأمر بالاستعاذة من شرِّ جميع المخلوقات.

والشرُّ لا يُنسبُ إلى الله فأسماء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كلها حسنى، وصفاته كاملة
علا، وأفعاله كلها فضل وعدل، فالشرُّ لا يضاف إليه، ولا يُنسبُ له، ولا يصدرُ
منه، قال النبي **صلى الله عليه وسلم** في دعاء الاستفتاح في قيام الليل: «والخير كله في يديك،
والشرُّ ليس إليك» (٢).

وفرقٌ بين أفعال الله ومفعولاته، فأفعاله صفاته وهي كلها حميدة، ومفعولاته
مخلوقاته وفيها خيرٌ وشرٌّ.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٧١).

قال ابن القيم رحمته: «والشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه فإنه لا شر فيه بوجه ما فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله كما لا يلحق ذاته **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فإن ذاته لها الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شرَّ فيها أصلاً» (١).

وقال ابن القيم رحمته: «فالشر لا يضاف إلى من الخير بيديه، وإنما يُنسب إلى المخلوق، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»، فأمره أن يستعيذ به من الشرِّ الذي في المخلوق، فهو الذي يعيذ منه وينجي منه» (٢).

قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أقبل بما فيه من الشرور، ففي السواد و الظلام، تظهر الدوابُّ والهوام، ويظهر أهل الشر والفساد من شياطين الجن والإنس، فناسب أن يستعيذ بالله ممَّا يحدث في هذا الوقت بالخصوص.

قوله: ﴿غَاسِقٍ﴾ **غَاسِقٍ** جاء بصيغة التنكير ليفيد العموم، وليدل على أن الذي يغسق أشياء كثيرة (٣).

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢١٠).

(٢) مختصر الصواعق المرسله (ص: ٢٥٩).

(٣) ونكَّرَ غَاسِقٍ وحاسد وعَرَّفَ النفاثات، لأنَّ كلَّ نفاثة شريرة، وكلَّ غَاسِقٍ لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر، ورُبَّ حَسَدٍ محمود، وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ» أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٢٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨١٥)، واللفظ للبخاري. [انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١٠/ ٥٧٧].

وقد جاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدي، ثم أشار إلى القمر، فقال: «يا عائشة استعيني بالله من شرِّ هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب» ^(١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع فإن الفلق الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور وهو الذي يطرد جيش الظلام وعسكر المفسدين في الليل فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سربٍ أو كَنٍّ أو غارٍ وتأوي الهوام إلى أجحرتها والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكتتها ومحالها فأمر الله تعالى عباده أن يستعيدوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيشها» ^(٢).

قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، يحتمل معنيين:

الأول: السَّاحِرَاتُ اللَّاتِي يَنْفَثْنَ فِي الْعُقَدِ لِعَمَلِ السَّحْرِ، ويدخل الرِّجَالُ السَّحْرَةَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا، وَخَصَّتِ النِّسَاءَ بِالذِّكْرِ لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ مِنْهُنَّ.

الثاني: الأَنْفُسُ وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ، الَّتِي يَنْفُثُ بِهَا السَّحْرَةَ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَيَكُونُ التَّأْنِيثُ فِي الْكَلِمَةِ رَاجِعًا لِلنَّفُوسِ النَّافِثَةِ.

والسَّحْرُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَهُوَ مَتَشَرِّ انْتِشَارًا وَاسِعًا جَدًّا بَيْنَ النَّاسِ لِأَغْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ كَالْتَفْرِقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفَسَادِهِ عَظِيمٌ جَدًّا، فَكَمْ مِنْ بِيوتٍ هُدِّمَتْ، وَكَمْ مِنْ عِلَاقَاتٍ زَوْجِيَّةٍ انْتَهَتْ، وَكَمْ مِنْ عَقُولٍ زَالَتْ، وَقُلُوبٍ زَاغَتْ، وَكَمْ مِنْ أَرْوَاحٍ زُهِقَتْ، وَكَمْ مِنْ أَمْوَالٍ سُلِبَتْ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ السَّحْرِ.

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٦٠٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٧٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢١٩).

ولا يحميننا من السحر إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** فعلى المسلم أن يلازم قراءة المعوذتين في الصباح والمساء وبعد كل صلاة حتى يقيه الله **عَزَّوَجَلَّ** شر السحر.

فائدة: ثبت في الصحيحين أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سُحِرَ، وهذا السحر لم يؤثر على تبليغه الوحي.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «قد أنكر هذا طائفة من الناس وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنوه نقصاً وعبثاً، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأسقام والأوجاع، وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**، أنها قالت: «سُحِرَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى إن كان ليُخِيلُ إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن وذلك أشد ما يكون من السحر» (١)(٢).

وقال القاضي عياض **رَحِمَهُ اللهُ**: «السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدر في نبوته، أما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدر في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يُخِيلَ إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان» (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٧٦٥)، ومسلم رقم: (٢١٨٩)، واللفظ للبخاري عن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** قالت: «كان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سُحِرَ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر».

(٢) زاد المعاد [٤/ ١٧٩].

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى [٢/ ١٨١].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد: كراهية نعمة الله على الخلق، ولو لم يتمنَّ زوالها.

قال ابن القيم رحمته الله: «وقول: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: يعمُّ الحاسد من الجنِّ والإنس فإن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من فضله كما حسد إبليسُ أبانا آدمَ وهو عدو لذريته كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ولكن الوسواس أخصُّ بشياطين الجن، والحسد أخصُّ بشياطين الإنس، والوسواس يعمهما كما سيأتي بيانهما والحسد يعمهما أيضًا فكلا الشيطانين حاسدٌ موسوس، فالاستعاذة من شر الحاسد تتناولهما جميعًا فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم»^(١).

والحسد قلما يسلم منه أحدٌ فناسب أن يُستعاذ بالله من الحسد عند ظهوره^(٢).
ومن أنواع الحسد العينُ فقد يصيب الإنسان نفسه أو ماله بالعين^(٣)، وقد يصيب غيره.

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٩).

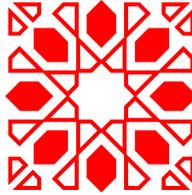
(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الحسد مرضٌ من أمراض النَّفْسِ وهو مرضٌ غالبٌ فلا يخلص منه إلا قليلٌ من الناس ولهذا يقال: (ما خلا جسدٌ من حسدٍ لكنَّ اللئيمَ يديه، والكريمَ يخفيه)، وقد قيل للحسن البصري: أيحسدُ المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبأ لك، ولكن عمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعدُّ به يداً ولساناً، فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعملَ معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه». [مجموع الفتاوى ١٠/ ١٢٤].

(٣) قال ابن القيم رحمته الله: «فكل عائنٍ حاسدٌ، وليس كل حاسدٍ عائنًا، فلما كان الحاسدُ أعمَمَ من العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة، وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية =

وقد بين النبي **صلى الله عليه وسلم** أثر العين فقال: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»^(١).

وقد أرشد الرسول **صلى الله عليه وسلم** من رأى ما يعجبه في ماله أو مال غيره أن يدعو بالبركة، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه، فليبركه فإن العين حق»^(٢).

وبعض الناس اليوم يصورون الأولاد والأموال والأطعمة ويصابون بالعين ولكن قل من يتعظ.



= عليه، أثرت فيه، ولا بُدَّ، وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهم لم تؤثر فيه، وربما ردت السهم على صاحبها،... وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سُمِّيَّتْهَا بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه». [زاد المعاد ٤ / ٢٣٨].

(١) أخرجه الشهاب في مسنده رقم: (١٠٥٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٢٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٥٧٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٥٧٢).

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي ألتجئ وأعتصم برَبِّ العالمين.

وقد ذكر الله تعالى في الآية توحيد الربوبية ليستدلَّ به على توحيد الألوهية
الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾ .

قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: الذي يملك السماوات والأرض ولا
يخرج عن ملكه شيء.

قوله تعالى: ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾ المعبود بحق، خضوعاً وذللاً وحباً وخوفاً
ورجاءً، وفي الآية إثبات توحيد الألوهية.

قال ابن كثير رحمته الله: «هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل؛ الربوبية،
والملك، والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له،
مملوكة عبيد له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس
الخنَّاس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين
يزين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصم الله»^(١).

وقال ابن القيم رحمته الله: «فمن كان ربهم وملئهم وإلههم فهم جديرون أن لا
يستعينوا بغيره ولا يستنصروا بسواه ولا يلجئوا إلى غير حماه فهو كافئهم
وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم جميعاً بربوبيته وملكه وإلهيته لهم

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٩).

فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكة وإلهه فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة وأشدهم ضرراً وأبلغهم كيذاً^(١).

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ الوسوسة: هي الإلقاء بخفية، والوسواس هو الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم^(٢)، ولا يقيك من شره إلا الله الذي خلقك وخلقته فتستعيذ بالله منه، وهو ﴿الْخَنَّاسِ﴾ ووصف الله الشيطان بالخناس؛ لأنه يخنس أي: يترجع عند ذكر الله تعالى وعند الاستعاذة بالله منه، ولا يقيك من شره إلا الله عز وجل فالزم ذكر الله، واعتصم به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فالذي يوسوس في صدور الناس نفوسهم، وشياطين الجن وشياطين الإنس، والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة وسوسة الإنس وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن»^(٣).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ الشيطان الذي يوسوس في صدور الجن والإنس .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة فلهذا وصَّفه

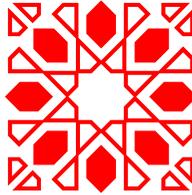
(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٨٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الوسواس أصل كل كفر فسوق وعصيان فهو أصل الشر كله فمتى وقِيَ الإنسان شره وقِيَ عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال، فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس، ووقِيَ عذاب الله في الدنيا والآخرة». [مجموع الفتاوى ١٧/ ٥١٨].

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٥١٠).

بها لتكون الاستعاذة من شرّها أهم من كل مستعاذ منه وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً» (١).

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ الجِنَّة جمع جنّ، والشيطان قد يكون إنسياً وقد يكون جنياً، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، فعلى المسلم أن يستعيذ بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من شرّ شياطين الإنس والجن، وذلك بقراءة هاتين السورتين العظيمتين والمحافظة عليهما (٢).



(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٨).

(٢) فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:
الأول: أن القرآن من أعظم النعم، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني: أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال فيهما: «أنزلت عليّ آيات لم يُر مثلهنَّ». [أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٧٣٧٨)، و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٨٩١)]، كما قال في فاتحة الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهما». [أخرجه الترمذي في سننه رقم (٢٨٧٥)، و صححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٤٥٣)]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلهما واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع بين حسن الافتتاح والاختتام.

الوجه الثالث: أن القارئ أمر أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، وختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة ليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره. [انظر تفسير ابن جزي ٢/ ٥٣٠].



السؤال الواحد والسبعون: ما أعظم آية في القرآن؟

واقراها.



الجواب: آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].



الدليل على أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله حديث أبي بن كعب

رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المُنذر، أتدري أي آية من كتاب الله

معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المُنذر أتدري أي آية من

كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في

صدري، وقال: «والله ليَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المُنذر» (١).

و السبب في عظمة آية الكرسي؛ تعلقها بأسماء الله عز وجل وصفاته (٢)، وقد

تضمنت آية الكرسي خمسة من الأسماء الحسنی وهي: الله، والحي، والقيوم،

والعلي، والعظيم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨١٠).

قوله صلى الله عليه وسلم: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ»، أي: هيناً لك بالعلم.

(٢) ونظير هذا سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن؛ لأن فيها ذكر توحيد الربوبية

والألوهية والأسماء والصفات، وكذا سورة الكافرون لتعلقها بتوحيد الألوهية فهي تعدل

ربع القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تتعلق بالله وبأسمائه وصفاته.

وتضمنت ستة وعشرين صفةً ولوازم بعض الصفات ومنها: الألوهية وانفراذه بها، والحياة، والقيومية، والعلو، والعظمة، وانتفاء السنة، وانتفاء النوم، وإثبات العندية، وإثبات الإذن، وعموم العلم، والمشية، وكمال العظمة، وكمال الملك، والقدرة، والرحمة، والحفظ^(١).

قال ابن القيم **رحمته الله**: «ومعلوم أن كلامه الذي يُشني به على نفسه، ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه، ويذكر أوصافهم، ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت، وكانت تعدل ثلث القرآن دونها، وكانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن»^(٢).

ومما ثبت في فضل آية الكرسي حديث أبي أمامة **رضي الله عنه**، عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال: «إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه»^(٣).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ابتداء الله **عز وجل** هذه الآية العظيمة باسمه العظيم (الله)، وهذا الاسم يدل على وحدانيته **سبحانه وتعالى**، ومعناه: الإله المعبود بحق جباً وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً^(٤).

(١) انظر الفوائد السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد الله القصير (ص: ١٣١).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٣٥٢/٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٩٧٩).

قال القاسم بن عبد الرحمن -راوي الحديث عن أبي أمامة **رضي الله عنه**:- «فالتمستها فوجدت في سورة

البقرة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

(٤) قال ابن القيم **رحمته الله**: «اسم الله **تبارك وتعالى** هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنی

والصفات العلاء». [بدائع الفوائد (٢/٧٨٢)].

التفسير الثاني: القائم على غيره، كما قال **عز وجل**: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهذا اسمٌ متعدّدٌ، فاسمه القيوم، وهو ذو قيومية، وقائم على كل نفسٍ.

ثم أكّد الله كمال حياته فقال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

السنة: هي النعاس، وهي مقدمة للنوم، والنوم معروفٌ.

وقد نفى الله **جلّ وعلا** عن نفسه السنة والنوم لكمال حياته وقيوميته ^(١).

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُ﴾ في الآية يفيد الحصر، فكل ما في السماوات وما في الأرض ملكٌ لله وحده، وكل ما في السماوات والأرض له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقًا وَمُلْكًا** وتدبيرًا، لا لأحدٍ سواه، وهذا دليل على توحيد الربوبية.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ^(٢)، الاستفهام في الآية بمعنى النفي فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه الكوني والشرعي ^(٣)، حتى الرسول **صلى الله عليه وسلم**.

(١) نفي النقص عن الله **جلّ وعلا** ليس نفيًا محضًا بل هو نفي يستلزم إثبات كمال ضده، وقد نفى الله عن نفسه العجز لكمال علمه وقدرته، ونفى الظلم لكمال عدله ورحمته، ونفى المثيل والكفاء لكمال المطلقي في جميع صفاته. [منحة المولى في شرح القواعد المثلى ص: ١٧٥].

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «وفي الآية إثبات العندية وهي من الألفاظ التي تدل على علو الله؛ لأنها عندية ذات، وعندية علو». [شرح العقيدة الواسطية ١/ ٢٤١].

(٣) الإذن الكوني: يقع فيه ما شاء الله أن يقع، فهو بمعنى المشيئة.

والإذن الشرعي: ما يحبه الله ويرضاه، ولو لم يقع.

وقد ذكر ابن القيم **رحمته الله** الأمور التي جاء في الشرع انقسامها إلى كوني وشرعي، وهي: «القضاء والقدر، والإرادة، والكتابة، والحكم، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحریم، والعطاء والمنع إلى كوني يتعلّق بخلقه، وديني يتعلّق بأمره» [شفاء العليل (١/ ١٧)].

على جلاله قدره لا يشفع إلا بإذن الله، والملائكة كذلك لا يشفعون لأحد إلا بإذن الله وذلك لكمال سلطانه وهيمته وسيطرته.

والشفاعة: هي التوسط للغير لجلب نفع أو دفع ضرر.

والشفاعة لها شرطان:

١- الإذن. ٢- الرضا.

فلا تتم الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه عن الشافع أن يشفع، وعن المشفوع لكي يشفع له، فمثلاً الأصنام لا يأذن الله لها ولا يرضى أن تشفع، والملائكة حتى لو أذن الله لهم أن يشفَعوا فلا يشفَعون إلا لمن ارتضاه الله.

وقد جمع الله هذين الشرطين (الإذن والرضا) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرِضَى﴾ [النجم: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: يعلم الحاضر والمستقبل.
﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم ما كان في الماضي.

وقد أثبت الله سبحانه وتعالى لنفسه صفة العلم؛ لأنها صفة كمال وجلال وعظمة أنشئ الله بها على نفسه فهو العليم، وعلاّم الغيوب، واللطيف، والخبير، وعالم الغيب والشهادة، وعليم بذات الصدور، وهو بكل شيء عليم، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم السر والنجوى، ويعلم السر والجهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، لما ذكر الله سبحانه وتعالى بأنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بين بعد ذلك أن الخلق لا يحيطون بشيء من

علمه إلا بما شاء^(١)، ولها معنيان كلاهما حق:

المعنى الأول: أي لا يحيطون بشيء مما يعلمه الله، ولأنَّ علمه وسع كلَّ شيء، فالذي علمناه بالنسبة لعلم الله قليلٌ ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

المعنى الثاني: أن الناس لا يعلمون عن الله **جَلَّ وَعَلَا** إلا ما شاء أن يُعلِّمهم عن نفسه من أسمائه وصفاته ومن أفعاله وحكمته ومن شرعه ومن أمره ونهيه.

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، الكرسيُّ هو موضعُ قَدَمَيْ الرَّبِّ **عَزَّجَلَّ** كما ثبت عن ابن عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «الكرسيُّ موضعُ القدمين، والعرش لا يُقدِّرُ أحدٌ قدره»^(٢).

والكرسيُّ مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقاتِ الله حتى إنَّه من عظمته وسع السماوات والأرض^(٣).

وقد ثبت في حديثِ أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّما أنزلَ عليك

(١) ومن أسماء الله الحُسنى المُحيط، والدليلُ قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، أي: الذي أحاط بكل شيء علمًا من خلقه، والخلق لا يُحيطون به علمًا.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنة رقم: (٥٨٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو رقم: (٤٥). وفي هذا الأثر إثباتٌ لصفة القدمين لله **عَزَّجَلَّ** وهي صفةٌ ثابتةٌ في السُّنة قال رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا نزالُ جهنَّمَ تقولُ: هل من مزيدٍ؟ حتى يضع ربُّ العزَّة فيها قدمه، فتقولُ: قطِّ قطِّ، وعزَّتكَ، ويُزوي بعضها إلى بعضٍ». أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٦٦١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٤٨).

قال النووي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «معنى يُزوي يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على من فيها، ومعنى قط حسي أي يكفيني هذا، وفيه ثلاث لغات قط قط بإسكان الطاء فيهما، وبكسرهما منونة، وغير منونة» [شرح مسلم ١٧/١٨٢].

(٣) والله **عَزَّجَلَّ** أعظم وأجلُّ من خلقه، ومن أسمائه الواسع، والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، الواسع في كلِّ شيء؛ في عطائه، وعلمه، ورحمته.

أعظم؟ قال **صلى الله عليه وسلم**: «آية الكرسي»، ثم قال: «يا أبا ذر، ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» (١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَهُمْ حَفْظُهُمَا﴾، أي: أن حفظ السموات والأرض لا يكلف الله تعالى شيئاً ولا يثقله لكمال علمه وقدرته وقوته.

قال ابن كثير **رحمته الله**: «وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَهُمْ حَفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله ولا يكرهه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم، لا إله غيره، ولا رب سواه» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾، ومعناه: الذي له العلو التام المطلق من جميع الوجوه؛ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

فعلو الذات: أن الله **جَلَّ وَعَلَا** فوق مخلوقاته، مستو على عرشه، بائن من خلقه.

وعلو القدر: أي جميع صفاته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عالية القدر.

وعلو القهر: معناه أن الله **جَلَّ وَعَلَا** قهر جميع المخلوقات؛ فلا يخرج أحد منهم عن سلطانه وقهره.

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات رقم: (٨٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

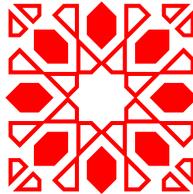
بمجموع طرقه رقم: (١٠٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٨٢).

ومن أهل البدع مَنْ يثبتُ لله **عَزَّجَلَّ** علوَّ القدرِ وعلوَّ القهرِ فقط، وَيَنفِي عن الله **عَزَّجَلَّ** علوَّ الذاتِ ويحرِّفونه، رُغِمَ أَنَّ صفةَ العلوِّ لله **عَزَّجَلَّ** هي من أكثر الصفات التي كرَّرها الله **عَزَّجَلَّ** في كتابه، وأثبتها لنفسه، ونوع أدلتها وصيغها؛ حتى قال بعض أهل العلم: «إِنَّ أدلَّةَ العلوِّ من كتابِ الله وسنةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تجاوزت ألفَ دليلٍ»^(١).

قوله تعالى: ﴿**الْعَظِيمُ**﴾، أي: ذو العظمة، فالله عظيمٌ في سمعه وبصره وقوته وحكمته وقدرته وخلقته وفي جميع صفاته.

فجميعُ أسماءِ الله و صفاته ترجع إلى اسمه العظيم، فابتدأ اللهُ هذه الآية باسمين ترجع إليهما جميعُ أسماءِ الله و صفاته وهما: ﴿**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، وختم الآية باسمين جليلين ترجع إليهما جميعُ أسماءِ الله و صفاته وهما: ﴿**الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾.



(١) قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في نونيته:

يا قومنا والله إن لقولنا
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الأ
كلُّ يدلُّ بأنه سبحانه
ألفاً تدلُّ عليه بل ألفان
ولي وذوق حلاوة القرآن
فوق السماء مابين الأكوان

السؤال الثاني والسبعون: أكمل الحديث:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ آية

الكرسي في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ مكتوبة...»

الجواب: لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت^(١).

قوله ﷺ: «مَنْ قرأ آية الكرسي»، آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى لما اشتملت عليه من أسماء الله الحسنی وصفاته العُلا.

قوله ﷺ: «في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ مكتوبة» أي: بعد كُلِّ صلاة من الصلوات الخمس المفروضة.

قوله ﷺ: «لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» أي العائق والمانع بينه وبين الجنة الموت.

وقد رغب النبي ﷺ بقراءة آية الكرسي في مواطن عدّة:

١- أدبارُ الصلواتِ المكتوبات.

تُشرعُ قراءةُ آية الكرسي بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، وقد بين النبي ﷺ أن جزءاً من حافظ على قراءتها دخول الجنة^(٢)، كما في الحديث المتقدم.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (٩٨٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٩٥).

(٢) يستحبُّ للمسلم قراءة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، بعد الصلاة، بعد التسييح والتهليل، ويرجى له بذلك دخول الجنة إذا استقام على دينه، وحافظ عليه، =

لفظ (دبر الصلاة) إذا ورد في الأحاديث فله حالان:

الحال الأولي: أن يكون القول الذي قيّد بدبر الصلاة دعاءً فيكون موضع الدعاء بعد الفراغ من التشهد الأخير وقبل السلام من الصلاة.

مثال ذلك: حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: «يامعاذُ، والله إنني لأحبُّك، والله إنني لأحبُّك»، فقال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرِك، وشكرِك، وحسنِ عبادتِك»^(١).

فإذا كانت لك حاجة وأنت بين يدي ملك من ملوك الدنيا فتطلبها وأنت عنده وليس بعد خروجك، فكذلك الدعاء يكون في الصلاة وأنت بين يدي ملك الملوك.

الحال الثانية: إن كان القول الذي قيّد بدبر الصلاة ذكرًا فيكون موضع الذكر بعد السلام من الصلاة.

مثال ذلك: قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرأ آية الكرسي في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(٢).

٢- قبل النوم.

= لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر» أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٣)، فإذا حافظ المسلم على ما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، وقرأ آية الكرسي، كل هذا من أسباب دخول الجنة، إذا قرأها بعد كل صلاة. [انظر فتاوى نور على الدرب لابن باز ٤ / ٢٩٩].

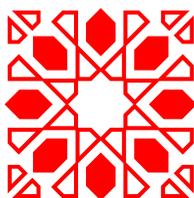
(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: (١٥٢٢).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (٩٨٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٩٥).

قراءتها قبل التَّوَم سببٌ لحفظ الله تعالى لعبده؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكَلَنِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطَّعَام فأخذته، فقلتُ لأرفعنكُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر الحديث، فقال: إذا أويتُ إلى فراشك فاقْرَأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتى تُصبحَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صدقك وهو كذوبٌ ذاك شيطانٌ»^(١).

٣- في أذكار الصباح والمساء.

فعن محمد بن أبي بن كعب، قال: كان لجدي جُرْنٌ من تمرٍ، فجعل يجده ينقصُ فحرسه ذات ليلةٍ، فإذا هو بداية شَبُه الغلام المُحتَلِم، فسَلَّم عليه فردَّ عليه السلام، فقال: مَنْ أنت، أجنُّ أم إنسٌ؟ قال: لا بل جنُّ، قال: أعطني يدك، فإذا يدُ كلبٍ وشَعْرُ كَلْبٍ، قال: هكذا خَلَقُ الجنُّ، قال: قد علمتِ الجنُّ، ما فيهم رجلٌ أشدُّ مني، قال: ما شأنك؟ قال: أنبتُ أنك رجلٌ تحبُّ الصدقةَ فأحببنا أن نصيبَ من طعامك، قال: ما يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة البقرة ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إذا قلتها حين تصبحُ أُجرتَ منَّا إلى أن تَمسيَ، وإذا قلتها حين تَمسيَ أُجرتَ منَّا إلى أن تصبحَ، فغدا أُبَيُّ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره خبره قال: «صَدَقَ الخبيثُ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٧٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (١٠٧٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم:

السؤال الثالث والسبعون: ما أعظم سورة في القرآن؟ واقراها.

الجواب: سورة الفاتحة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴿[الفاتحة: ١: ٧].

سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن، والدليل حديث أبي سعيد بن
المعلّى رضي الله عنه، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في
القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له:
«ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» (١).

ووجه كون سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن أنه اجتمع فيها من المعاني
والفضائل ما لم يجتمع في غيرها من سور القرآن، ومن هذه الفضائل:

١- أنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها.

٢- أنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٤٧٤).

والدليل على ما تقدم حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: فَقَرَأُ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ»^(١).

٣- أَنَّهَا نُوْرٌ لَمْ يُوْتِ نَبِيٌّ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ.

والدليل ما ثبت عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا^(٢) مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فَتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَانزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلِّمْ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُوْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(٣).

قوله: (بنورين)؛ أي: بأمرين عظيمين، نيرين، تبين لقارئهما وتنوره.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٨٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٤٥٢).

(٢) النَّقِيضُ: صوتُ البابِ عند فتحه. [المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (٢/٤٣٤)].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٠٦).

* قال القرطبي: «... وَخَصَّتْ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقْرَةِ بِذَلِكَ: لِمَا تَضَمَّتْهُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ بِجَمِيلِ انْقِيَادِهِمْ لِمَقْتَضَاهَا، وَتَسْلِيمِهِمْ لِمَعْنَاهَا، وَابْتِهَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَرُجُوعِهِمْ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ؛ وَلَمَّا حَصَلَ فِيهَا مِنْ إِجَابَةِ دَعَوَاتِهِمْ، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوْهَا، فَخَفَّفَ عَنْهُمْ، وَغَفَّرَ لَهُمْ، وَنُصِرُوا، وَفِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَبَعُّهُ». [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٣٤].

وقوله: (إِلَّا أُعْطِيَتْهَ)، أي: إِلَّا أُعْطِيَتْ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْحَرْفِ أَي بِمَقْتَضَى تِلْكَ الْكَلِمَةِ وَأُجِبَتْ بِهِ (١).

٤- أَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ.

والدليل حديثُ أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انطلقوا في سفرةٍ سافروها، حتى نزلوا بحيٍّ من أحياءِ العربِ، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغَ سيدُ ذلك الحيِّ، فسعوا له بكلِّ شيءٍ لا ينفعه شيءٌ، فقال بعضهم: لو أتيتُم هؤلاءِ الرَّهطِ الذين قد نزلوا بكم، لعله أن يكونَ عند بعضهم شيءٌ، فأتوهم فقالوا: يا أيُّها الرَّهْطُ، إنَّ سيدنا لدغَ، فسعينا له بكلِّ شيءٍ لا ينفعه شيءٌ، فهل عند أحدٍ منكم شيءٌ؟ فقال بعضهم: نعم، واللهِ إني لراقٍ، ولكنَّ واللهِ لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطعِ مِنَ الغنمِ، فانطلق فجعل يتفلُّ ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، حتى لكانما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ (٢)، فانطلقَ يمشي ما به قَلْبَةٌ (٣)، قال: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالِحُوهُمْ عَلَيْهِ، فقال بعضهم: اقسِموا، فقال الذي رَقِيَ: لا تفعلوا حتى نأتي رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقيةٌ؟ أصبتم، اقسِموا واضربوا لي معكم بسهمٍ» (٤).

(١) [الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٠/١٥٩].

(٢) قوله: «عِقَالٍ» العِقَالُ: الحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ ذِرَاعُ الْبَهِيمَةِ.

(٣) قوله: «ما به قَلْبَةٌ»، أي علة: وقيل للعللة قَلْبَةٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي تَصِيْبُهُ يُقَلَّبُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ

ليعلم موضع الداء. [انظر فتح الباري ٤/٤٥٦].

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٥٧٤٩)، ومسلم رقم: (٢٢٠١)، واللفظ للبخاري.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يدريك أنها رقيةٌ؟» هي كلمة تُقَالُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ مِنَ الشَّيْءِ أَوْ تَعْظِيمِهِ. =

٥- لا تصح الصلاة إلا بها.

والدليل حديثُ عبادة بنِ الصَّامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(١).

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ كَثْرَةُ أَسْمَائِهَا، فَمِنْ أَسْمَاءِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي ثَبَّتَتْ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الأول: فاتحة الكتاب.

والدليل حديثُ عبادة بنِ الصَّامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٢).

وَسُمِّيَتْ بِالْفَاتِحَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ افْتَتَحَ بِهَا كِتَابَهُ، وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ تُفْتَتَحُ بِهَا.

الثاني: السبع المثاني؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وفي الآية عطفٌ للعالم على الخاص، فالفاتحة من القرآن لكنه أفردها بالذكر بياناً لأهميتها وعظيم منزلتها.

وَسُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي؛ لِأَنَّ قِرَاءَتَهَا تُتَنَّى وَتُكْرَرُ فِي الصَّلَاةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَرِيضَةً كَانَتْ أُمَّ نَافِلَةً.

الثالث: أم الكتاب، فعن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= والقرآن فيه ما يَخُصُّ الرقي وفيه ما لا يَخُصُّها، وإن كان القرآن كله مرجو البركة من أجل أنه كلام الله، لكن إذا كان في الآية تعوذ بالله أو دعاء كان أخص بالرقية مما ليس فيه ذلك. [انظر شرح

البخاري لابن بطال ٦/٤٠٧]، و[التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ٤/١٦١٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٩٤).

كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأَمِّ الكتاب...»^(١).

الرابع: أَمُّ الْقُرْآنِ، والدليل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السُّعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»^(٢).

و سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلَّهَا تَعُودُ إِلَى هَذِهِ السُّورَةِ^(٣).

الخامس: الصَّلَاةُ: والدليل قولُ رسولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿**أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي ...»^(٤).

وإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ صَلَاةً؛ لِأَنَّهَا أَهَمُّ مَا فِي الصَّلَاةِ فَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِقِرَاءَتِهَا.

وَلَا شَتْمَالِهَا عَلَى دَعَاءٍ عَظِيمٍ، وَالصَّلَاةُ لُغَةً: الدُّعَاءُ.

السادس: الْحَمْدُ، والدليل قولُ رسولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمُّ الْقُرْآنِ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٥١)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧٠٤).

(٣) قال ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وإِنَّمَا قِيلَ لَهَا لِكُونِهَا كَذَلِكَ أَمُّ الْقُرْآنِ لِتَسْمِيَةِ الْعَرَبِ كُلِّ جَامِعٍ أَمْرًا أَوْ مَقْدَمًا لِأَمْرٍ، إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعٌ تَتَّبِعُهُ، هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ أُمَّةً، فَتَقُولُ لِلْجُلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ: أُمَّ الرَّأْسِ، وَتُسَمَّى لُؤَاءَ الْجَيْشِ وَرَايَتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا لِلْجَيْشِ أُمَّةً». [تفسير الطبري ١/ ١٠٥].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٣٩٥).

* قال ابن عبد البر **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «فإن قيل: كيف تكون «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ» عبارة عن السورة وهو يقول: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ، ولم يقل: قَسَمْتُ السُّورَةَ، قيل: معلومٌ أَنَّ السُّورَةَ الْقِرَاءَةُ، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنِ الصَّلَاةِ بِالْقِرَاءَةِ كَمَا قَالَ: ﴿**وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: قراءة صلاة الفجر». [التمهيد ٢٠/ ٢٠١].

وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي»^(١).

السابع: الرقية، والدليل حديثُ أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم وفيه قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفاتحة: «وما يدريك أنها رقية؟»^(٢).

الثامن: القرآن العظيم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»^(٣) [الفاتحة: ٢]، «هي السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٤).

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

افتتح اللهُ هذه السُّورَةَ بِالبِسْمَلَةِ^(٥)، وهي ليست بآية من سورة الفاتحة كما قال جمهور العلماء^(٦)، بل هي آيةٌ مستقلةٌ أنزلها اللهُ تعالى لتكونَ في افتتاحِ كُلِّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ عِدَا سُورَةِ التَّوْبَةِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبِسْمَلَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ:

١- قولُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال اللهُ تعالى: قسمتُ الصلاةَ بيني وبينِ عبدِي نصفين، ولعبدِي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾»^(٧) [الفاتحة: ٢]، قال اللهُ تعالى: حمدني عبدِي ...»^(٨).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣١٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٣١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٥٧٤٩)، ومسلم رقم: (٢٢٠١)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧٠٣).

(٤) فائدة: البسملة: هي قولُ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، أمَّا التسميةُ فهي قولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وتكونُ قبلَ الطَّعَامِ، والوضوءِ، وعندِ الذَّبِيحَةِ، وغيرِها.

(٥) انظر: تبين الحقائق شرح كتر الدقائق للزليعي (١١٢/١)، ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل للخطَّاب (١٠/١)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٤٨/٢).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٣٩٥).

وَجَهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَلَمْ يَذْكُرِ الْبِسْمَلَةَ.

٢- حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعِثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، لَا يَذْكُرُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا» (١).

٣- أَنَّ الْفَاتِحَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: ثَلَاثُ آيَاتٍ لِلَّهِ، وَآيَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَعَزْرَجَلَّ وَبَيْنَ الْعَبْدِ، وَثَلَاثُ آيَاتٍ لِلْعَبْدِ، وَعَدُّ الْبِسْمَلَةِ مِنَ الْفَاتِحَةِ يُنَافِي هَذَا التَّقْسِيمَ، وَيُنَافِي تَنَاسُبَ الْآيَاتِ طَوَّلًا وَقِصْرًا.

٤- وَقَوْعُ الْخِلَافِ فِي الْبِسْمَلَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْبِسْمَلَةَ لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ إِذْ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ مُخْتَلَفٌ فِيهِ بَلْ كُلُّهُ مَحْفُوظٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، الْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ، يَعْنِي أَسْتَعِينُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كُلِّهَا، وَ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: مَفْرُودٌ مُضَافٌ فَيَعْمُ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلِّهَا.

اللَّهُ: هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ وَحُبًّا وَتَعْظِيمًا.

﴿الرَّحْمَنِ﴾، أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ؛ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهِيَ صِفَةٌ لِلذَّاتِ.

﴿الرَّحِيمِ﴾، أَي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ، وَهِيَ صِفَةٌ لِلْفِعْلِ.

وَإِذَا اقْتَرَنَ اسْمُ الرَّحْمَنِ بِالرَّحِيمِ فَيَكُونُ لِكُلِّ اسْمٍ مَعْنَاهُ، وَإِذَا انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ دَلَّ عَلَى مَعْنَاهُ وَعَلَى مَعْنَى الْاسْمِ الْآخَرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٧٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٣٩٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الحمد: وصف المحمود بالكمال المطلق مع المحبة والتعظيم.

وحمدُ الله عبادةٌ عظيمةٌ ولذلك بدأ اللهُ بها كتابه في أعظمِ سورةٍ في القرآن. والألف واللام في ﴿الْحَمْدُ﴾ للاستغراق (١).

واللام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق، أي: أن كلَّ حمدٍ مُستحقٌّ لله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْمَلَكُوتِ﴾، الرَّبُّ: هو الخالقُ المالكُ المُدبِّرُ.

العالمون: هم كلُّ مَنْ سوى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، اسمان جليان عظيمان من أسماء الله الحسنی، وفيهما وصفُ الله بالرحمة، وصفهُ الرَّحمةُ ثابتةٌ لله بالدليلِ النَّقلي والعقلي، وهي مذكورةٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، بأكثر من صيغةٍ، فقد سمَّى اللهُ نفسه الرَّحمنَ الرَّحيمَ، ووصف نفسه بأنه ذو رحمة، وأرحم الراحمين، وغير ذلك.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «والأسماءُ المذكورةُ في هذه السُّورة هي أصولُ الأسماءِ الحُسنى وهي: اسمُ الله، والرَّبِّ، والرَّحمنِ، فاسمُ الله مُتضمِّنٌ لصفاتِ الألوهية، واسمُ الرَّبِّ مُتضمِّنٌ لصفاتِ الرُّبوبيَّةِ، واسمُ الرَّحمنِ مُتضمِّنٌ لصفاتِ الإحسانِ والجودِ والبرِّ، ومعاني أسمائه تدورُ على هذا» (٢).

قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، هذه الآيةُ فيها قراءتان، القراءةُ الأولى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والقراءةُ الثانيةُ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣).

(١) ضابطُ (أل) الاستغراقية صحَّةُ إبدالها بلفظ (كل) مع استقامة المعنى.

(٢) الفوائد (ص: ٢٦).

(٣) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وباقي القراء العشرة قرؤوا: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ). [انظر تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري ص: ١٨٦].

وقد سَمَّى اللهُ نفسه مالِكًا كما في قوله **جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾** [آل

عمران: ٢٦].

وقول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا مَلِكَ إِلاَّ اللهُ عَزَّجَلَّ»** (١).

وسمَّى نفسه مَلِكًا كما قال **جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَنَعَلَى اللهُ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾** [طه: ١١٤].

فالمالك: هو مَنْ يملك الأشياء فلا يخرج عن ملكه شيء، وأمَّا المَلِكُ: فهو الذي يَحْكُمُ ويتصرف.

وأما المَلَّاك والملوك من المخلوقين فملكهم صُورِي مؤقَّت محدود، فليس تامًّا ولا مطلقًا.

قوله تعالى: **﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾** يومُ الدِّين هو اسمٌ من أسماء يوم القيامة، ومعناه: يوم يدانُ الناسُ بأعمالهم، وقد خصَّه اللهُ بالملك في هذا الموضع مع أنه يملك الدنيا والآخرة؛ لأنَّ ملوك الدنيا لا أحد منهم يدعي ملكًا في ذلك اليوم العظيم، قال اللهُ تعالى: **﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لا يُخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** [غافر: ١٦].

وقال رسولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يطوي اللهُ عَزَّجَلَّ السماوات يومَ القيامة، ثمَّ يأخذُهنَّ بيده اليمنى، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟، ثمَّ يطوي الأرضين بشماله، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»** (٢).

قوله تعالى: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**، ثبت في الحديث القدسي أن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «قال اللهُ تعالى: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٢٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٤٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٤١٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٨٨)، واللفظ له.

ولعبي ما سأل... فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل» (١).

فهذه الآية بين العبد وربه **جَلَّ وَعَلَا**؛ لأنَّ العبادة مِنَ العبدِ لله، والعون مِنَ الله للعبد. قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولم يقل: (نعبدك)، فقدَّم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ وأخَّر الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ ليفيد القصر، أي: نخصك بالعبادة وحدك لا شريك لك. والعبادة لغة: الخضوع والتذلل، يُقال: طرِيقُ معبَّدٍ، وبعيرٌ معبَّدٌ، أي: مذلَّل. والعبادة شرعاً: هي التذللُّ والخضوعُ لله تعالى مع كمالِ المحبةِ والخوفِ والرَّجاءِ.

والعبادة لها ثلاثة أركانٍ لا تقوم إلا بها، وهي:

١- المحبة، هي أعظمُ دافعٍ للإنسانٍ لفعل ما يحبُّ، فإذا أحبَّ الله **جَلَّ وَعَلَا** حمَّله هذا الحبُّ على عبادته، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢- الخوفُ، فلا بد أن يعبدَ الإنسانُ ربَّه وهو خائفٌ من عذابه، وخائفٌ ألاَّ يتقبَّلَ منه عمله، وقد جاء تقرير معنى الخوفِ من عدم القبولِ في حديثِ عائشةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قالت: قلتُ: يا رسولَ الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهو الذي يزني، ويسرقُ، ويشربُ الخمرَ؟ قال: «لا، يا بنتَ أبي بكرٍ أو يا بنتَ الصِّديقِ ولكنَّه الرَّجُلُ يصومُ، ويتصدَّقُ، ويصلِّي، وهو يخافُ أن لا يُتقبَّلَ منه» (٢).

فالخوف من الله من أعظم البواعث على فعل الطاعات وترك المنكرات، فالله **جَلَّ وَعَلَا** أحقُّ من يُخافُ، فعذابه شديدٌ وغضبه عظيم، وهو العظيم الجبار.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٣٩٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٤١٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم: (٤١٩٨).

٣- الرجاء، لا بُدَّ للإنسان أن تكون له رغبة وطمعٌ ورجاءٌ في فضل الله ورحمته وجنته، قال تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَدِيقًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقدّم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ليفيد القصر، أي نطلبُ منك العونَ وحدك.

والسينُ والتاءُ تأتيان غالبًا للطلب مثل قولنا: استسقى، أي: طلبَ السُّقيا، وقولك: استرحم إذا طلبَ الرَّحمة.

و ناسبَ أن يذكّر الله تعالى الاستعانة بعد العبادة مع أنها فردٌ من أفرادِ العبادة؛ لأنَّ العبدَ لا يمكنُ أن يعبدَ الله إلا بعونٍ من الله، فالعبدُ مفتقرٌ إلى عونِ الله افتقارًا تامًّا، فشرع الله للمسلم أن يقرأ الفاتحة في صلاته ليستعين بالله فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تأملتُ أنفع الدعاء فإذا هو سؤالُ العون على مرضاته، ثم رأيتُه في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»^(١).

وقد ثبتَ في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده، وقال: «يامعاذُ، والله إنِّي لأحبُّك، والله إنِّي لأحبُّك»، فقال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسنِ عبادتك»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيهما سرُّ الخلق والأمر والدنيا والآخرة وهي متضمنة لأجلِّ الغايات وأفضلِّ الوسائل، فأجلُّ

(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: (١٥٢٢).

الغايات عبوديته، وأفضل الوسائل إعانتته، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات، وإعانتته أجل الوسائل»^(١).

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهذه الآية أول الآيات التي للعبد، والصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

ومعنى الآية: أرشدنا إلى طريق الإسلام والسنة ووفقنا لسلوكه، ويشرع لمن اهتدى للإسلام أن يسأل الله الهداية بأن يعلمه الله العلم النافع ويهديه إلى العمل الصالح، وأن يعينه على العمل بالعلم، ويثبتته على طريق القرآن والسنة حتى يلقي الله.

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وقد بينهم الله في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، المغضوب عليهم: هم الذين علموا الحق ولم يعملوا به.

والضالون: هم الذين عملوا بلا علم.

قال رسول الله ﷺ: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين

النصارى»^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن

(١) كتاب الصلاة (ص: ٣٥١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٩٣٨١) وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة

رقم: (٣٢٦٣).

أَخْصَّ أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]،
وأَخْصَّ أوصاف النصارى الضلال كما قال: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار^(١).

وفي الآية تحذيرٌ للمسلم من ترك العمل بالعلم لئلا يشابه اليهود، ومن
العمل على جهل وبدون علم، ففيه مشابهة للنصارى.

وفيها: إثباتُ صفة الغضب لله تعالى، وقد وصف الله نفسه بصفة الغضب في
كتابه فقال: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩]، وقال:
﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الفتح: ٦].

وغضب الله عزَّجَلَّ يَلِيْقُ به، لا يُمَاتِلُ غضبَ المخلوقين.

ويستحبُّ لِمَنْ قرأ سورة الفاتحة في الصَّلَاةِ أو خارجَ الصَّلَاةِ أن يقولَ بعد
قراءتها: آمين.

وآمين معناها: اللهم استجب، وهي ليست بآية من الفاتحة، وقد جاءت بعد
سؤال الله الهداية لطريق الحق، والبعد عن طريق المغضوب عليهم، وطريق
الضالين.

فقد ثبت في حديث وائل بن حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا
قرأ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: «آمين»، ورفع بها صوته»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ، فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ
مِنْ وَاقِفِ تَأْمِينِهِ تَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).

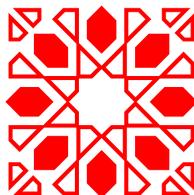
(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٩٣٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٩٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٨٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤١٠).

وثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»^(١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»، فيه بيان فضل السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ، ولعل الحسد في السَّلَامِ؛ لأنه يجلب المودة والمحبة بين المسلمين ودعاء بعضهم لبعض، فيمن عرف المسلم وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ، وَأَمَا الحسد في التَّأْمِينِ لما فيه من تحقيق العبودية لربِّ البرية والتضرُّع والتذلُّلِ له، ولما فيه من اجتماع الصف ووحده وانقياده للإمام^(٢).



(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٨٥٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم: (٨٥٦).

(٢) انظر شرح الأدب المفرد للشيخ: حسين العوايشة (٣/١٣٣).



السؤال الرابع والسبعون: ما أطول سورة في القرآن الكريم؟



الجواب: سورة البقرة.



سورة البقرة سورةٌ مدنيّةٌ، وهي أطولُ سُورِ القرآنِ الكريمِ، وقد كان الصحابةُ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** يعظّمون قارئِ سُورتي البقرة وآل عمران، فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «كان الرجلُ إذا قرأ: البقرة، وآل عمران، جدَّ فينا -يعني عَظَمَ-»^(١)، وفي رواية: «يُعدُّ فينا عظيمًا»^(٢).

وقد ولى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عثمان بن أبي العاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** على الطائفِ؛ بسبب حفظه سورةَ البقرة، فقد ثبت عن عثمان بن أبي العاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «استعملني رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأنا أصغرُ السِّتةِ الذين وفدوا عليه من ثقيفٍ، وذلك أني كنتُ قرأتُ سورةَ البقرة، فقلتُ: يا رسولَ الله! إنَّ القرآنَ ينفلتُ مِنِّي، فوضع يده عليّ صدري، وقال: يا شيطانُ اخرجْ مِنْ صدرِ عثمان، فما نسيْتُ شيئاً بعده أُريدُ حفظَه»^(٣).

وسورة البقرة لها فضائلٌ متعددة، منها:

١- أن الشيطانَ يَنْفِرُ من البيتِ الذي تُقرأ فيه سورةُ البقرة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢٢١٦).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٠٨/٥)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ^(١).

ومن المؤسف أن بعض الناس لا يعرف سورة البقرة إلا في حال البلاء، وهذا تقصيرٌ، واعلم أنه لا يكفي سماعها من التسجيل، بل لابد من قراءتها ^(٢).

٢- قراءتها سببٌ لجلب البركة، ووقايةٌ من شرِّ السِّحْرِ والسَّحَرَةِ.

فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ» ^(٣).

٣- تعتبر من أعالي وأفضلِ سُورِ الْقُرْآنِ وَأَهْمُهَا: كما صحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامًا، وَإِنَّ سِنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٨٠).

(٢) تشغيلُ جهازِ التسجيلِ بالقراءة والأدعية لا يغني عن الرقية؛ لأنَّ الرقيةَ عملٌ يحتاجُ إلى اعتقاد ونية حال أدائها، ومباشرة للنفث على المريض، والجهاز لا يتأتى منه ذلك. [فتاوى اللجنة الدائمة ٩٣/١ المجموعة الثانية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٠٤).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»، أي: السَّحَرَةُ، عَبَّرَ عَنِ السَّحَرَةِ بِالْبَطْلَةِ؛ لِأَنَّ مَا يَأْتُونَهُ بَاطِلٌ، فَسَمَّاهُمْ بِاسْمِ فَعْلِهِمُ الْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حِفْظِهَا وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا قِرَاءَتَهَا وَلَمْ يَوْفُقُوا لِذَلِكَ، لِزَيْغِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِمْ لِلْوَسْوَسِ، وَانْهَمَاكِهِمْ فِي الْبَاطِلِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِهَا أَوْ عَلَى صَاحِبِهَا السَّحَرَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَمَا هُمْ بِصَّاعِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقيل المراد بـ«الْبَطْلَةُ»: أصحاب البطالة، أي لا يستطيع أصحاب البطالة والكسل قراءة ألفاظها، وتدبر معانيها، والعمل بأوامرها ونواهيها. [انظر شرح مشكاة المصابيح للطيب ١٦٤٢/٥]، و [انظر مرقاة المفاتيح للقاري ١٤٦١/٤].

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٨٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٥٨٨).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِنَامَ الْقُرْآنِ»، أي: ذروته وأعلاه.

٤- أنها وسورة آل عمران تُحاجَّان عن أصحابهما يوم القيامة.

والدليل قول النبي **صلى الله عليه وسلم**: « اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنَّهما تأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان، أو كأنَّهما غيابتان، أو كأنَّهما فرقان من طير صواف، تحاجَّان عن أصحابهما»^(١).

٥- أن آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله هي إحدى آيات سورة البقرة.

والدليل حديث أبي بن كعب **رضي الله عنه**، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: « يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ » قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ » قال: قلت: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: « والله ليَهِنَكَ العِلْمُ أبا المنذر»^(٢).

٦- نزول الملائكة عند قراءة سورة البقرة.

والدليل حديث أسيد بن حضير **رضي الله عنه** أنه قال: يا رسول الله، بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعتُ وجبة^(٣) من خلفي، فظننتُ أن فرسي انطلق، فقال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٠٤).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « اقرؤوا الزهراوين » سُمِّيَتَا الزهراوين لنورهما وهدايتيهما وعظيم أجرهما. قوله **صلى الله عليه وسلم**: « فإنَّهما تأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان، أو كأنَّهما غيابتان، أو كأنَّهما فرقان من طير صواف » قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كلُّ شيءٍ أظَلَّ الإنسان فوق رأسه من سحابةٍ وغبرةٍ وغيرهما، والمرادُ أنَّ ثوابهما يأتي كغمامتين.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « فرقان من طير صواف »، أي: قطيعان وجماعتان. [انظر شرح مسلم للنووي ٦/٨٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨١٠).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « لِيَهِنَكَ العِلْمُ »، أي: هنيئًا لك بالعلم.

(٣) قوله: (سمع وجبة) هي بفتح الواو وإسكان الجيم وهي السَّقْطَةُ. [شرح مسلم للنووي ١٧/١٧٩].

رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «اقرأ يا أبا عتيك»، فالتفت فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض، ورسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقول: «اقرأ يا أبا عتيك»، فقال: يا رسول الله، فما استطعت أن أمضي، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب» (١).

ولمّا كان لسورة البقرة هذه المكانة الكبيرة والمنزلة الرفيعة ناسب أن نذكر أبرز الموضوعات الإجمالية التي اشتملت عليها هذه السورة العظيمة:

* فقد صَدَّرَهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْكَلامِ عَنْ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ بَأَنَّهُ لَا رَيْبَ فِيهِ.

* ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوَّلَ صِفَةٍ ذَكَرَهَا لَهُمُ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ.

* ثُمَّ ذَكَرَ الْكَافِرِينَ.

* ثُمَّ ذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَطَالَ فِي وَصْفِهِمْ وَبَيَانَ حَالِهِمْ؛ تَحْذِيرًا مِنْ شَرِّهِمْ.

* ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ بَدْءَ الْخَلْقِ بِآدَمَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وَسُجُودَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَامْتِنَاعَ إِبْلِيسَ وَكُفْرَهُ، وَذَكَرَ هَبُوطَ آدَمَ وَحَوَاءَ **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** إِلَى الْأَرْضِ بِسَبَبِ أَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَتُوبَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

* ثُمَّ شَرَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَبِينُ حَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا حَدَثَ لَهُمْ، وَتَعَنَّتْهُمْ، وَيَبِّنُ إِنْعَامَهُ **جَلَّ وَعَلَا** عَلَيْهِمْ وَتَفْضِيلَهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

* ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ التَّوْرَةَ كَلَامُهُ **جَلَّ وَعَلَا**.

* ثُمَّ بَيَّنَّ بَعْضَ صِفَاتِ الْيَهُودِ وَكَثْرَةَ نَقْضِهِمْ لِلْعَهْدِ وَالْمَوَاقِيقِ.

* ثُمَّ انْتَقَلَتْ مَوْضُوعَاتِ السُّورَةِ لِيَبَيِّنَ بَعْضَ أَحْكَامِ صِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ، وَأَحْكَامِ الزَّوْاجِ، وَالطَّلَاقِ، وَالْعِدَّةِ، ثُمَّ فَصَّلَ فِي أَحْكَامِ الْجِهَادِ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠١٨)، وابن حبان في صحيحه رقم: (٧٧٩)، واللفظ له.

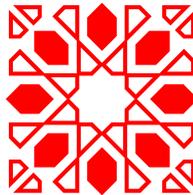
* ثُمَّ ذَكَرَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَذَكَرَ ثَلَاثَ قِصَصٍ مِنْهَا قِصَّتَانِ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَالثَّلَاثَةُ: قِصَّةُ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا.

* ثُمَّ بَيَّنَّ بَعْضَ أَحْكَامِ الْمَعَامَلَاتِ كَالرِّبَا، وَالذَّيْنِ، وَالتَّجَارَةِ، وَالرَّهْنِ.

* ثُمَّ خَتَمَ هَذِهِ السُّورَةَ الْعَظِيمَةَ بِآيَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ مِنْ
شَرِّ مَا يُؤْذِيهِ (١).

فَسُورَةُ الْبَقَرَةِ سُورَةٌ عَظِيمَةٌ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْعِنَايَةُ بِهَا، تِلَاوَةً وَحِفْظًا وَتَدْبِيرًا
وَفَهْمًا.

وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَقْرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ كَامِلَةً كُلَّ يَوْمٍ أَوْ لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،
فَهَذَا مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ فِيمَا أَعْلَمُ، وَإِنَّمَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ بِلَا دَلِيلٍ
وَلَا بَرَهَانٍ، وَيُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْرَأَهَا فِي أَيَّامٍ عِدَّةٍ لِلْوَقَايَةِ مِنْ شَرِّ السَّحَرَةِ
وَالشَّيَاطِينِ.



(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي
صَحِيحِهِ رَقْم: (٥٠٠٩)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْم: (٨٠٨)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُعَيِّنِ النَّبِيُّ
ﷺ مَعْنَى كَفَتَاهُ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُمَا تَكْفِيَانِ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ كَالْفَرْعِ مِنَ النَّوْمِ، وَالشَّيَاطِينِ.

السؤال الخامس والسبعون: ما أقصر سورة في القرآن؟ واقرأها.

الجواب: سورة الكوثر وهي قوله تعالى: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿٢﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٣﴾ إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٤﴾** [الكوثر: ١-٣].

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾، صدر الله **جَلَّ وَعَلَا** سورة الكوثر بقوله: ﴿ **إِنَّا** ﴾ وهو ضمير جمع يدل على التعظيم، وافتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي **صلى الله عليه وسلم** كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ [القدر: ١]، والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء لا مساق الإخبار بعطاء سابق، وضمير العظمة **مُشْعَرٌ** بالامتنان بعطاء عظيم^(١).

والكوثر لغة: هو الشيء الذي يجتمع فيه أمران الكثرة والخيرية^(٢). والكوثر: نهر في الجنة أعطاه الله **عَزَّ وَجَلَّ** نبينا محمداً **صلى الله عليه وسلم** وأكرمه به^(٣). قوله تعالى: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ** ﴾، قرن الله **عَزَّ وَجَلَّ** بين عبادتين جليلتين: الصلاة وهي عبادة بدنية، والنحر وهو عبادة مالية كما جمع بينهما في قوله تعالى:

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠/٥٧٢).

(٢) انظر لسان العرب (٥/١٣٣).

(٣) مما خص الله به محمداً **صلى الله عليه وسلم** أنه مرسل للناس كافة، وخُتِمَ به المرسلون، وهو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهو أول من يدخل الجنة، ونصره الله بالرعب مسيرة شهر، وغير ذلك من خصائصه التي أكرمه الله بها.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والصَّلَاةُ عمودُ الإسلام، والدليلُ قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رَأْسُ الأَمْرِ الإسلامِ، وعموده الصَّلَاةُ...»^(١).

ومَّا يدلُّ على أهميَّة الصلاةِ وعظيم منزلتها أَنَّهَا أَوَّلُ ما يحاسبُ عليه العبدُ يومَ القيامة، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَوَّلُ ما يحاسبُ به العبدُ يومَ القيامة الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سائرُ عمله، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائرُ عمله»^(٢).

ولذلك كانتِ الصَّلَاةُ آخِرَ وصايا النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مرضِ موته، فعن أنسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «كانتِ عامَّةُ وصيَّةِ رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين حضره الموتُ: الصلاةُ وما ملكت أيمانكم، الصلاةُ وما ملكت أيمانكم، حتى جعل رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُعَرِّغُ بِهَا صدره، وما يكاد يفيضُ بها لسانه»^(٣).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْحَرْ﴾، أي: فَصَلِّ لربك وانحر له.

قال ابن جريرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك أجعله له دون الأوثان؛ شُكْرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصصك به، من إعطائه إياك الكوثر»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في الإرواء رقم: (٤١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم: (١٣٨٥)، وصححه بمجموع طرقه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٧٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢١٦٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٢١٧٨).

قوله: «وما يكاد يفيضُ بها لسانه»، أي: كرَّرها **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى عجز لسانه وكسل عن نطقها.
[مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه ٩/ ٤٥٥].

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٩٦).

النَّحْرُ هُوَ الذَّبْحُ: وَهُوَ إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ.
وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ عِبَادَةٌ لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَالذَّبْحُ أَقْسَامٌ:

القسم الأول: أَنْ يَكُونَ عِبَادَةً بِقَصْدِ تَعْظِيمِ الْمَذْبُوحِ لَهُ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ، وَصَرَّفَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ شَرْكَ أَكْبَرُ.

وَمِنْ صُورِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ:

أ- أَنْ يُذَكَرَ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَى الذَّبِيحَةِ، كَأَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ الْمَسِيحِ، أَوْ بِاسْمِ الْحُسَيْنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ يُذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ وَمَعَهُ غَيْرُهُ كَأَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ، بِاسْمِ اللَّهِ وَالْحُسَيْنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

ب- أَنْ يَقْصِدَ بِالذَّبِيحَةِ التَّقَرُّبَ بِهَا لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَمِثْلَ ذَلِكَ لَوْ ذَبَحَهَا لِيَتَقَرَّبَ بِهَا لِلْأَمْوَاتِ وَالْمَقْبُورِينَ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ج- الذَّبْحُ لِلْجَنِّ لِلسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِمْ.

القسم الثاني: الذَّبْحُ الْمَشْرُوعُ كَالْأَضْحِيَّةِ وَالْعَقِيقَةِ وَنَسِكِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا.

القسم الثالث: أَنْ يَكُونَ إِكْرَامًا لِضَيْفٍ أَوْ وَلِيمَةٍ عُرْسٍ أَوْ نَزُولِ سَكَنِ جَدِيدٍ، أَوْ قُدُومِ غَائِبٍ، أَوْ الصَّدَقَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهَذَا يَكُونُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحَبًّا، إِذَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا سَمْعَةً وَلَا رِيَاءً.

القسم الرابع: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ التَّمَتُّعِ بِالْأَكْلِ أَوْ التَّجَارَةِ بِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِبَاحَةُ، وَقَدْ يُثَابُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ.

قوله تعالى: ﴿إِن شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

﴿شَأْنَكَ﴾، أي: مبعضك وذامك ومتقصك.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، ومقطوع من الذكر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بترَ شأني رسولَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كلِّ خيرٍ، فببترِ ذِكْرِهِ وأهله وماله فيخسرُ ذلك في الآخرة، وببترِ حياته فلا يتنفعُ بها ولا يتزودُ فيها صالحًا لمعادِهِ، وببترِ قلبه فلا يعي الخيرَ ولا يُؤهله لمعرفته ومحبته والإيمانِ برسله، وببترِ أعماله فلا يستعملُهُ في طاعةٍ، وببترِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ فلا يجدُ له ناصرًا ولا عونًا، وببترِهِ مِنْ جَمِيعِ الْقُرْبِ والأعمالِ الصَّالِحَةِ فلا يذوقُ لها طَعْمًا ولا يجدُ لها حلاوةً وَإِنْ باشرها بظاهِرِهِ فقلبه شاردٌ عنها، وهذا جزاءٌ مَنْ شَنَّأَ بَعْضَ ما جاء به الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وردهَ لِأجلِ هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره»^(١).

والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رفع اللهُ في الدارين ذكْرَهُ، وجعله سيدَ ولدِ آدمَ إعلاءً لقدره، وانتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها، و صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وملائكته، وأمر اللهُ المؤمنين أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً، وجعل للصلاة عليه أجراً عظيماً، وقرن اسمه باسمه فإذا ذُكِرَ اللهُ ذُكِرَ معه، كما في الذكر بعد الوضوء، والأذان، والإقامة، والخطبة، والتشهد.

وقد رَفَعُ اللهُ قَدَرَ الْعُلَمَاءِ لِاتِّبَاعِهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلما كان المرءُ أشدَّ اتِّباعاً لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أرفعَ مقاماً في الدنيا والآخرة.

وشأنُ الناقصين المقطوعين أن يأتوا إلى أعقلِ الناسِ ويتهموهم بالجنون، وإلى أصدقِ الناسِ ويتهموهم بالكذب، وإلى أنصحِ الناسِ ويتهمونهم بالغش

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٦).

وهذا على مر العصور، فالرسل لم يسلموا من اتهام النَّاس لهم، وإيذائهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبَدَّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأَمْرُسَلِيِّ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فائدة: في بيان صفات نهر الكوثر وصفات حوض النبي ﷺ، والفرق

بينهما.

أولاً: الكوثر هو نهر عظيم في الجنة، والكوثر من الكثرة، ومعناه الخير الكثير (١).

والكوثر مما خصَّ الله به نبينا محمداً ﷺ، ولم يُنقل نظيره لغيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والدليل حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليلة أُسْرِي برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة،... ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قَصْرٌ من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسكٌ، قال: ما هذا يا جبريل؟، قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك» (٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرُّ المُجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك» (٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمختصُّ بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصبُّ من مائه في حوضه فإنه لم يُنقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به» (٤).

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٨١).

(٤) [فتح الباري ١١/٤٦٧]، وقد ذكر العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ نَهْرَ الْكُوْثَرِ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَهُ ﷺ [بداية السؤل في تفضيل الرسول ص: ٥٤].

وقد جاء وصف نهر الكوثر^(١) في سنة النبي ﷺ بصفات عدة، منها:

١- أن الكوثر نهرٌ وَعَدَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ، آنيته عددُ النجوم.

والدليل حديثُ أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسولَ اللهِ؟ قال: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سَوْرَةٌ» فقرأ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ **إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣** ﴿الكوثر: ١﴾، ثُمَّ قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «فإنه نهرٌ وَعَدَنِي ربي عَزَّوَجَلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنيته عددُ النجوم...»^(٢).

٢- أن نهر الكوثر، حافتاه قبابُ اللؤلؤِ مجوفًا، وحصاه اللؤلؤُ.

والدليل ما ثبت عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لما عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السَّمَاءِ، قال: «أُتِيْتُ عَلَى نَهْرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ مَجْوَفًا، فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر»^(٣).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُعْطِيْتُ الْكُوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي كَذَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ، لَيْسَ مَشْقُوقًا، فَضْرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تَرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفْرَةٌ»^(٤)، وَإِذَا حِصَاةُ اللَّوْلُؤِ»^(٥).

(١) قال الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قولٌ مَنْ قال: هو اسمُ النَّهْرِ الذي أُعْطِيَهُ رسولُ اللهِ ﷺ في الجنة، وصفه اللهُ بالكثرة، لعِظَمِ قَدْرِهِ» [تفسير الطبري ٢٤ / ٦٨٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٦٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٠٠)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٩٦٤).

(٤) قوله: «مِسْكَةٌ ذَفْرَةٌ»، أي: طَيِّبَةُ الرِّيحِ، والدَّفْرُ بالتحريك: يقع على الطيبِ والكريمِ، ويُفْرَقُ بينهما بما يُضَافُ إليه ويوصفُ به». [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ١٦١].

(٥) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٢٥٤٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٥١٣).

٣- أن نهر الكوثر تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، وفيه طير كأعناق الجُرز.

والدليل حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج» (١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن الكوثر، فقال: «نهر أعطانيه ربي، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وفيه طير كأعناق الجُرز». فقال عمر: يا رسول الله، إن تلك لطير ناعمة، فقال: «أكلتها أنعم منها يا عمر» (٢).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وفيه طير كأعناق الجُرز» في ذلك النهر أو في أطرافه جنس من الطيور طويل العنق كأعناق الجُرز، وهو البعير أَعَدَّ للنحر لياكل منه أصحاب شرب ذلك النهر.

وقوله: «إن تلك لطير ناعمة» أي: هذه الطير التي فيه طيبة لينة سمان، متنعمة (٣).

ثانياً: حوض النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

١- معنى الحوض لغةً وشرعاً.

الحوض لغةً: مجمع الماء.

شرعاً: مجمع ماء عظيم لكل نبي من الأنبياء يرده المؤمنون من أمته يوم القيامة.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٣٦١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٣٣٦١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٣٣٠٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٥٠٦/٣).

حسن صحيح.

(٣) انظر مرقاة المفاتيح للقاري (٣٥٩١/٩).

والدليل قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهُونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»^(١).

٢- أحاديث الحوض بلغت حد التواتر:

وأحاديث ثبوت الحوض متعددة متواترة وطرقها كثيرة متصافرة، وإن رَغِمَتْ أَنْوْفٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ النَّافِرَةِ الْمُكَابِرَةِ الْقَائِلِينَ بِجُحُودِهِ، الْمُنْكَرِينَ لَوْجُودِهِ، وَأَخْلَقُوا بِهِمْ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ وَرُودِهِ، فَمَنْ كَذَّبَ بِكَرَامَةٍ ثَابِتَةٍ لَمْ يَنْلُهَا، وَلَوْ اطَّلَعَ الْمُنْكَرُ لِلْحَوْضِ عَلَى أَحَادِيثِ الْحَوْضِ الْمُتَوَاتِرَةِ قَبْلَ مَقَالَتِهِ لَمْ يَقْلُهَا^(٢).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وقد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة وكثير منها، أو أكثرها في الصحيح»^(٣).

٣- في ذكر بعض أوصاف حوض النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:

الحوض يكون في الأرض في عرصات القيامة، وماء الحوض مأخوذ من الكوثر.

وقد جاء وصف حوض النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بصفات عدة منها:

أ- **أَنَّ آيَتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ وَكُوكِبِهَا.**

ب- **أَنَّ مَاءَهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ.**

فعن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قلت: يا رسول الله ما آية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده، لآيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢١٥٦).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٩/٤٢٣).

(٣) تهذيب السنن (٥/٢٢٧٢).

المُظْلَمَةِ الْمُصْحِيَةِ، أَنِيَّةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(١).

ج- يَصْبُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ فِضَّةٍ.

فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لِبِعْقَرٍ حَوْضِي أَذُوذُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بَعْصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ»، فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يُعْتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»^(٢).

د- أَنَّهُ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ

بَعْدَهُ أَبَدًا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سُوءٌ، وَمَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣).

فَائِدَةٌ أُخْرَى: حَوْضُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِنْ كَانَ الْوَرُودُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنَّهُ موجود الآن، والدليل حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أَحَدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٧٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٢٩٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٣٤٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٢٩٦).

السؤال السادس والسبعون: ما السُّورَةُ التي تعدِلُ ثُلثَ القرآنِ؟

الجواب: سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

سُمِّيت سورة الإخلاص بذلك؛ لأنَّها أُخْلِصَتْ في بيان توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك من وجهين:

الأول: إثبات ما يليق بجلال الله من صفات الكمال والوحدانية، وأنه إله أَحَدٌ صَمَدٌ، فلا نِجَاةَ للعبد ولا فلاحَ له إلا بالتَّوَجُّه إليه بالعبادة، وطلب الحاجات منه وَحْدَهُ لا شريك له.

الثاني: تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا لا يليقُ به من الشريك، سواءً كان من الملائكة، أو الإنس، أو الجن، أو الجمادات.

وسورة الإخلاص سورةٌ مكِّيَّة؛ أي: نزلت على نبيِّنا محمدٍ ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ^(١).

وقد وردت عن النبيِّ ﷺ أحاديثٌ تدلُّ على فضل سورة الإخلاص منها حديثُ عقبه بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ فقال لي: «يا عقبه بنَ عامرٍ، ألا أعلمُكَ سورًا ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل

(١) المكِّي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم يسفر من الأسفار [الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٣٧].

ولا في الفرقان مثلهنَّ، لا يأتينَّ عليك ليلةٌ إلا قرأتهنَّ فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٢).

وفي لفظ آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعقبة بن عامر رضي الله عنه: «ألم تر آياتٍ أنزلت الليلة لم يُر مثلهنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٢).

وعن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطْرًا، وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، نَطَلَبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيَصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَا، فَقَالَ: أَصَلَّيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٣) وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٣).

* وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في الأجر:

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٤) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(٤).

ومعنى أنها تعدل ثلث القرآن، أي: أن أجر قراءتها يعدل أجر من قرأ ثلث القرآن، وليس معناه أنها مُجَزَّئَةٌ عن غيرها من السُّور، ففرق بين الأجر والمثوبة،

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٧٤٥٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٨٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨١٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٤٠٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم: (٥٠١٥)، ومسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه رقم: (٨١١).

وبين الأجزاء، فمثلاً لو قرأها إنسان في الصلاة عوضاً عن الفاتحة لم تصحَّ صلاته؛ لأنها لا تجزئ عن الفاتحة^(١).

* يُبْنَى قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ لِمَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ:

فعن معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ»، فقال عمرُ ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَنْ نَسْتَكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»^(٢).

* مَحَبَّةٌ تَرْدِيدُ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ سَبَبٌ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسَبَبٌ لِدُخُولِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ:

فقد كان رجلٌ من الأنصار يؤمُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مسجد قباء، وكان يقرأ سورة الإخلاص في كلِّ صلاةٍ بعد قراءة الفاتحة، فإذا ختم سورة الإخلاص قرأ سورةً غيرها بعدها، فأخبره الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يقرأَ غيرها فامتنع، فذهب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبروه بقصة هذا الرجل، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرُك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كلِّ ركعة؟» فقال: «إني أحبُّها»، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٣).

وفي حديث آخر قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الرجل الذي يُحِبُّ أن يُكثِرَ من قراءتها: «أخبروه أن الله يُحِبُّهُ»^(٤).

(١) انظر: تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٥١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٥٦١٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٣٧٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨١٣).

المواطن التي تُشرع فيها قراءة سورة الإخلاص:

الأول: بعد كل صلاة مكتوبة، فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أقرأ بالمعوذات دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ» ^(١).

الثاني: في سُنَّةِ الفجر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» ^(٢).

الثالث: في أذكار الصباح والمساء، فعن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خرجنا في ليلة مطر، وظلمة شديدة، نطلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصلِّي لنا، فأدركناه، فقال: أصليتم؟ فلم أقل شيئاً، فقال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ» فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تُمسي، وحين تُصبح، ثلاث مرّات تكفيك من كل شيء» ^(٣).

الرابع: في سُنَّةِ المغرب، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «ما أحصي ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» ^(٤).

الخامس: بعد الطواف بالكعبة خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ: ﴿وَأَتَّخِذُوا

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٥٢٣)، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (٩٦٩).

* قوله: «أقرأ بالمعوذات دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ» ويدخل في قراءة المعوذات قراءة سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٤٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٣١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (٨٥١).

من مقام إبراهيم مُصَلِّيًا ﴿[البقرة: ١٢٥]﴾، فجعل المقامَ بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ: كان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١).

السادس: في صلاة الوتر، عن عبد العزيز بن جريح، قال: سألتنا عائشة، بأي شيء كان يُوترُّ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: كان يقرأ في الأولى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية بـ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين (٢).

السابع: في الرقية الشرعية عند الشكاية من مرض ونحوه: فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا» (٣).

الثامن: في أذكار النوم، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفْيَهُ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرّات» (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٢١٨).

قوله: «ثُمَّ نَفَثَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ» أي بلغه ووصل إليه، وقوله: «فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»، معنى هذا الكلام أن جعفر بن محمد الباقر روى هذا الحديث عن أبيه عن جابر، ثم قال: كان أبي يعني محمداً يقول: إنه قرأ هاتين السورتين، قال جعفر: ولا أعلم أبي ذكر تلك القراءة عن قراءة جابر بل عن قراءة النبي ﷺ. [انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٧٦/٨].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٤٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٤٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٩٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠١٧).

تفسير سورة الإخلاص:

قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ﴾، هذا أمرٌ من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يُبلِّغ للنَّاس ما ورد في هذه السورة العظيمة.

قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، اسم الله الأَحَدُ معناه: الذي ليس له نظير، ولم يُشاركه شيءٌ في وحدانيته، والمُنْفَرِدُ بصفات الكمال والجمال؛ فهو واحدٌ في ذاته لا شريك له، وواحدٌ في أفعاله وربوبيته، وواحدٌ في أسمائه وصفاته، وواحدٌ في حقوقه المختصة به؛ وحقُّ الله **عَزَّجَلَّ** عبادته وحده لا شريك له، كما ورد في حديث معاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «هل تدري ما حقُّ الله على عباده؟» قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «حقُّ الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً...»^(١).

قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هذا الاسمُ لله **عَزَّجَلَّ** لم يُذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وله ثلاثة معانٍ، كُلُّها حقٌّ:

الأول: هو الذي كَمَلتُ صفاته، وبلغت الغاية في الجلال والكمال والشرف والعظمة، والغنى.

قال ابنُ عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الذي قد كَمُل في سُؤْدَدِهِ، والشَّرِيفُ الذي قد كَمُل في شَرَفِهِ، والعَظِيمُ الذي قد عَظُم في عَظَمَتِهِ، والحَلِيمُ الذي قد كَمُل في حِلْمِهِ، والغَنِيُّ الذي قد كَمُل في غِنَاهُ، والجَبَّارُ الذي قد كَمُل في جَبَرَوْتِهِ، والعَالِمُ الذي قد كَمُل في عِلْمِهِ، والحَكِيمُ الذي قد كَمُل في حِكْمَتِهِ، وهو الذي قد كَمُل في أنواعِ الشَّرَفِ والسُّؤْدَدِ، وهو اللهُ سُبْحَانَهُ هذه صفته، لا تنبغي إلا له»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٩٦٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣٦/٢٤).

الثاني: هو الذي تَصَمَّدُ إليه الخلائق في حوائجها، وتَقْصِدُهُ وتَعْتَمِدُ عليه، فجميع المخلوقات محتاجةٌ إليه.

الثالث: أنه الذي ليس له جوف، فلا يتخلَّلُ ذاتهُ شيءٌ **عَرَجَلٌ**، فلا يتخلله طعامٌ، ولا شرابٌ، ولا وِلْدٌ، وهذا لكَماله وِغناه، فهذا المعنى الثالث يدخل في المعنى الأولِ ضمناً، والله أعلم ^(١).

قوله **عَرَجَلٌ**: ﴿لَمْ يَكِدْ﴾، فيه نفي الشريك عن الله **عَرَجَلٌ** فرعاً.

وقوله **عَرَجَلٌ**: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، فيه نفي الشريك عن الله **عَرَجَلٌ** أصلاً؛ وهذا لكَمال وحدانيته وِغناه، فلا حاجة له إلى ولد، بخلاف المخلوق الضعيف العاجز الذي يفنى، فهو محتاج إلى الولد ليعقبه، ويعينه إذا كبر.

وبهذا يُعلمُ شِدَّةُ قُبْحِ قولِ النَّصارى: «إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» تعالى اللهُ عمَّا يقولون علواً كبيراً، فإذا كان المخلوق لا يرضى أن يُنسبَ له وِلْدٌ ليس من وِلْدِهِ، فكيف يُنسبُ لله وِلْدٌ، وهو الأحد الصَّمَدُ الذي لم يلد ولم يولد؟!!

قال اللهُ **عَرَجَلٌ** مُبِينًا شناعة هذا القول: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۗ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ (٩٢) **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴿[مريم: ٨٨ - ٩٣].

ومن العجائب في هذا الزَّمن أن بعض المسلمين - وهم يحفظون سُورة الإخلاص ويكرِّرونها - يهنِّئون النَّصارى في يوم يزعمون أنه وِلْدٌ للرحمن فيه،

(١) انظر الأقوال الثلاثة في فتاوى ابن عثيمين (٨/ ١٣٠).

وهو ما يُسمَّى بـ(الكريسماس) أو عيد رأس السنة!!

قوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكُفُوُّ: هو المَثِيلُ والنَّظِيرُ
والنَّدُّ، يُقالُ: فلانُ كُفُوٌ لفلانٍ؛ أي: نَدُّه ونظيرُه.

وربُّ العالمين لا يُكافئه أحدٌ ولا يُماثله؛ لكَماله المطلق، فلا كُفُوَ له،
ولا سَمِيٍّ له ولا نظير، بل هو جَلٌّ وَعَلَا أَحَدٌ صَمَدٌ، ولذلك جاءت كلمة: ﴿كُفُوًا﴾
نكرةً في سياق نفي؛ لتفيد العموم؛ أي: ليس لله أيُّ كُفُوٍ.
وقد وردت آياتٌ عدَّةٌ في تقرير هذا المعنى، من ذلك:

قوله عَزَّجَلَّ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ
لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]،
وقوله عَزَّجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وغيرها من الآيات.



السؤال السابع والسبعون: أكمل السورة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَصْرِ ﴿٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٣﴾....

الجواب: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ﴿٣﴾.

سورة العصر سورة عظيمة بين الله جل وعلا فيها أن الناس كلهم في خسارة وهلاك ثم بين أن القلة هم الناجون ثم بين سبب نجاتهم وهو الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

قال ابن القيم رحمه الله: «فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره» (١).

ولأهمية المعاني التي اشتملت عليها هذه السورة حرص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على قراءتها، فعن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة قال: «كان الرجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾، ثم يسلم أحدهما على الآخر» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾: أقسم الله عز وجل بالعصر، الذي هو الزمن والوقت، وقيل: هو وقت العصر المعروف بين الظهر والمغرب (٣).

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: (٥١٢٤)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٦٤٨).

(٣) قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره: «والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم =

والله عَزَّوَجَلَّ يُقَسِّمُ بما شاء مِنْ مخلوقاته، أما المخلوق فليس له أَنْ يُقَسِّمَ إلا باسمٍ من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا أو بصفة من صفاته (١).

وإقسامُ الله بهذا المخلوق العظيم وهو الوقت والزَّمان الذي هو ظرفٌ لجميع أفعال المخلوقات دالٌّ على أهمية جواب القسم الآتي بعده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي جنس الإنسان، فيعم كلَّ النَّاسِ.

﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ أي في خسرانٍ مُبينٍ، وقد أكَّد الله على خسارة الناس كلَّهم بثلاثة مؤكِّدات وهي: القَسَمُ، وإنَّ، واللام الداخلة على خبر إنَّ.

ثم استثنى اللهُ المؤمنين من الخسران (٢) فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: عَلِمُوا وأَقْرَبُوا بأنَّ الله حقٌّ فآمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وآمنوا بالقدرِ خيرِه وشرِه.

وتعريف الإيمان في الشرع: اعتقادُ بالجنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيدُ بطاعة الرحمن، وينقصُ بالعصيان.

= بالعصر، والعصرُ اسمٌ للدَّهر، وهو العَشِيُّ والليل والنَّهَارُ، ولم يُخَصَّصْ ممَّا شَمِلَه هذا الاسمُ معنًى دون معنًى، فكلُّ ما لزمه هذا الاسمُ، فداخلٌ فيما أقسم به جَلَّ ثناؤه. [٦١٢/٢٤].

(١) قال الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يجوزُ أَنْ تُقَسِّمَ بكلِّ صفةٍ من صفات الله المعنويَّة، كَعَلِمَ اللهُ، وحيَاةِ اللهُ، وما أشبه ذلك، أمَّا الصفاتُ غير المعنوية فلا يجوزُ أَنْ تُقَسِّمَ بها، كأن تقولَ: (ويَد اللهُ)، أمَّا وجه الله فلائِه لَمَّا كان يُعَبَّرُ بالوجه عن الذات صَحَّ أَنْ تُقَسِّمَ فتقول: أُقَسِّمُ بوجه الله». [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص: ٥٤].

(٢) مِنَ القواعد المقررة في باب الاستثناء أنَّ المستثنى يكون أقلَّ مِنَ المستثنى منه.

وهذا يعني أن أكثر البشر في خسران، والناجون من هذا الخسران هم الأقل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ

تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ

النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، [قاله المؤلف وفقه الله ونفع به].

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي عملوا بما علموا، والعمل يكون بعد العلم فهم علموا بأن الله حق فآمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ثم عملوا بمقتضى هذا الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، يعني وصى بعضهم بعضًا بفعل الطاعات، وترك المنكرات^(١).

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ولما كان العلم وطلبه والعمل به والمثابرة عليه والدعوة في سبيل الله كل ذلك يفتقر افتقارًا تامًا للصبر، فمن لم يصبر فلن يتعلم الحق ولن يعمل به، ولن يدعو إليه فناسب أن يقول بعد الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وهذا كقوله جل وعلا: ﴿يَبْنِيْ اَقْرَبَ الصَّلٰوةِ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا اَوْلًا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فالصبر لا بُدَّ منه في العلم وفي العمل وفي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله: «فجهاؤ النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدَها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

(١) قال الشوكاني رحمه الله: «وفي جعل التواصي بالصبر قريبًا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأيضًا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق، فإفراذه بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق، ومزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها». [فتح القدير ٥/ ٦٠١].

الثانية: أَنْ يَجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمَجْرَدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعُهَا.

الثالثة: أَنْ يَجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرابعة: أَنْ يَجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَانِيِّينَ» (١).

فائدة: كان من دعاء النبي **صلى الله عليه وسلم** «اللهم إني أعوذُ بك من علم لا ينفع» (٢)، ومن العلم الذي لا ينفع العلم الذي لا يعمل به صاحبه ولا يظهر له أثر في تهذيب خلقه ولا في إصلاح قوله ولا سداد عمله فهذا العلم حجة على صاحبه لا له.



(١) زاد المعاد (٣/ ١١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٢٢).



السؤال الثامن والسبعون: ما أحسنُ الأخلاقِ وأفضلها؟



وما أقبحُ الأخلاقِ وأسوؤها؟



الجواب: أحسنُ الأخلاقِ وأفضلها: الصدقُ،

وأقبحُ الأخلاقِ وأسوؤها: الكذبُ.



لأخلاقٍ منزلةٌ عظيمةٌ في الإسلامِ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أكثرَ ما يُدخلُ الجنةَ تقوى الله وحسنُ الخلقِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ الجنةَ، فقال: «تقوى الله وحسنُ الخلقِ، وسئلَ عن أكثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ النَّارَ، فقال: الفَمُّ والفرَجُ»^(١).

والأخلاقُ على نوعين:

الأول: منها ما يكون جليلاً قد فطرَ عليه الإنسانُ، والدليل قولُ النبي صلى الله عليه وسلم لأشج رضي الله عنه: «إنَّ فيكَ خَلْتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللهُ، الحِلْمُ والأناةُ» قال: يا رسولَ الله، أنا أتخلَّقُ بهما أم اللهُ جَبَلَنِي عليهما؟ قال: «بل اللهُ جَبَلَكَ عليهما» قال: «الحمدُ لله الذي جَبَلَنِي على خَلْتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٠٠٤)، وحسنُ إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٩٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٢٢٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: (٥٠٥٤)، والحديث أصله في صحيح البخاري رقم: (٨٧)، وفي صحيح مسلم رقم: (١٧)، واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إنَّ فيكَ خَلْتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ والأناةُ».

الثاني: ما يكون مكتسبًا كما جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ...» (١).

ولو لم يكن بعض الأخلاق مكتسبًا لما أمرنا بها الشرع، ولما حثنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها فالإنسان يمكنه أن يكتسب الخلق الحسن ويتجنب الخلق السيء.

قوله: **(أحسن الأخلاق وأفضلها: الصدق)**، الصدق: هو موافقة الواقع.

والصدق يكون في الأقوال والأعمال، وقد أمر الله المؤمنين بالتقوى والصدق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «اصدقوا والزمو الصادق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجًا من أموركم، ومخرجًا» (٢).

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» (٣).

فالواجب على المسلم أن يكون صادقًا وأن يعود نفسه على الصدق، فحقيقة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: (٢٦٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٣٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٠).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة التوبة في قصة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك: «هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسنٌ بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين». [تفسير القرطبي ٨/ ٢٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٠٩٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٠٧)، واللفظ له.

الصدق أن تصدق في موضع لا ينجيك فيه إلا الكذب، وإذا فعلت فهذا دليل على أنك تحب الصدق وتمسك بالصدق.

قوله: **(وأقبح الأخلاق وأسوأها: الكذب)**، الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع.

ولم يكن عند النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه خلق أبغض من الكذب، فعن ابن أبي مليكة، أو غيره أن عائشة **رضي الله عنها**، قالت: «ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة»^(١).

ومما يدل على قبح الكذب أيضاً ترفع أهل الجاهلية عنه كما جاء عن أبي سفيان - وكان يومئذ مشركاً - أنه قال: «فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبتُ عنه»^(٢).

والكذب صفة من صفات المنافقين، فقد ثبت عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٣).

والكذب يتفاوت في القبح والشر فأشد أنواعه الكذب على الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم**.

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٥١٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٩٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٧٧٣)، واللفظ للبخاري، والحديث في ذكر قصة هرقل وسؤاله لأبي سفيان وقد منع الحياء أبا سفيان من الكذب على النبي **صلى الله عليه وسلم**.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٩).

ومن أمثله: أن يسمي الله أو يصفه بما لم يأت في الكتاب والسنة أو يعطل نصوص الأسماء والصفات، أو ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

ومن أنواع الكذب المحرم الذي يتساهل فيه بعض الناس:

١- أن يدعي الإنسان أنه رأى شيئاً في المنام وهو لم يره.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ» (٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ...» (٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «مَنْ كَذَبَ فِي الرَّؤْيَا قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ كَاذِبٌ، فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُكَلَّفٌ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَالْمَعْلُومُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ حَاوَلَ مَهْمَا حَاوَلَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ يُعَذَّبُ وَيُقَالُ: لَا بُدَّ أَنْ تَعْقِدَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا وَعَيْدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَهَذَا يَقَعُ مِنْ بَعْضِ السُّفَهَاءِ، يَتَحَدَّثُ وَيَقُولُ: رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا؛ لِأَجْلِ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ وَهَذَا حَرَامٌ عَلَيْهِ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ وَأَشَدُّ؛ لِأَنَّهُ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٩١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٠٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٠٤٢).

(٤) شرح رياض الصالحين (٦/١٦٩).

٢- الكذبُ في المزاح.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»^(١).

وقد ثبت ثواب عظيم لمن ترك هذا النوع من الكذب فعن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٢).

ويشتد إثم الكذب إذا اقترن معه الحلف بالله عَزَّ وَجَلَّ وكذلك إذا ترتب عليه أكلٌ لحقوق الآخرين فإنه داخلٌ في الوعيد الذي جاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن قضييًّا من أراك»^(٣).

فائدة مهمة: أخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْتَذِرُ عَنِ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقُولُ: كَذَبْتُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فَمَا تُوَجِّهُ هَذَا الْحَدِيثُ؟

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٣١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧١٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٧٣).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ»، أي: ضامنٌ وكفيلٌ بقصرٍ فيما حول الجنة خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. [انظر النهاية لابن الأثير ١٨٥/٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٣٧).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، أي: من أخذ مال مسلم أو كافر معصوم بيمينه الفاجرة على أنه حقه فقد أوجب الله لذلك المقتطع النار، وحرم عليه دخول الجنة ابتداءً، وإن كان الذي اقتطعه شيئاً يسيراً كما لو اقتطع غصناً رطباً صغيراً من شجر أراك. [انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٣/٣٠٤].

الجواب: جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، وإني سقيم» [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: مَنْ هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني...»^(١).

عند التأمل في الحديث نجد أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب حقيقة، وإنما سمى ما قاله كذباً باعتبار ما فهمه الآخرون، وهذا يُسمى تورية أو تعريضاً^(٢).

وتوجيه ما قاله إبراهيم عليه السلام:

أولاً: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، بعدما توجه قومه ليحتفلوا في يوم عيد ويرتكبوا الشرك والمعاصي والفجور، وإبراهيم عليه السلام لا يريد أن يخالفهم ويشارِكهم في ذلك فاستلقى على ظهره ونظر نظرة في النجوم وقال: إني سقيم، أي: مريض مما يراه من قومه ولم يكن سقيماً في بدنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٥٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٧١)، واللفظ للبخاري.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلم وقصده وإرادته، ونسبة إلى السامع وإفهام المتكلم إياه مضمونه... وإن قصد معنى مطابقاً صحيحاً وقصد مع ذلك التعمية على المخاطب وإفهامه خلاف ما قصد فهو صدق بالنسبة إلى قصده، كذب بالنسبة إلى إفهامه.

ومن هذا الباب التورية والمعاريض، وبهذا أطلق عليها إبراهيم الخليل عليه السلام اسم الكذب مع أنه الصادق في خبره، ولم يخبر إلا صدقاً، فتأمل هذا الموضع الذي أشكل على الناس». [مفتاح دار السعادة ٢/ ٩٤٩].

ثانياً: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ذهب إلى الأصنام وحطّمها كلّها وترك أكبر الأصنام ليقيم الحجة على قومه ويبين لهم أن الأصنام لا تنفع أحداً ولم تستطع دفع الضر عن نفسها فلما بلغ قومه ما فعله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿[الأنبياء: ٥٩: ٦٠].

وتوقعوا أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي حطّم الأصنام؛ لأنه اشتهر بدعوته إلى التوحيد وعيبه الأصنام، فذهبوا إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا بَرَاهِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿[الأنبياء: ٦١: ٦٣].

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قدّم وأخر في الجملة وكان قصده إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا^(١).

وأراد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً أن يقيم عليهم الحجة؛ لأنهم يعلمون أن الأصنام لا تنفع نفسها ولا تدفع عنها ضرراً فكيف تنفع عابديها!!

ثالثاً: عندما دخل مصر ولم يكن على الإسلام في ذلك الوقت إلا هو وزوجته سارة، وكان الملك في ذلك الوقت يقتل كل رجل ذي زوجة فقال عن زوجته: إنها أختي، ويقصد أنها أخته في الدين^(٢)، وقد فهم الملك أنها أخته في النسب فنجا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من القتل.

(١) قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: «أراد بل فعله الكبير إن كانوا ينطقون فسألوهم، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل، ولا ينطق». [تأويل مشكل القرآن ص: ١٦٦].

(٢) ونظير هذا ما ورد عن سويد بن حنظلة، قال: خرجنا نريد رسول الله ﷺ، ومعنا وائل بن حجر فأخذه عدو له، فترجّح الناس أن يحلفوا، فحلفت أنا أنه أخي، فخلّى سبيله، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرته أن القوم تخرجوا أن يحلفوا وحلفت أنا أنه أخي، فقال: «صدقت، المسلم أخو المسلم». أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٢١١٩)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (٢١١٩).

السؤال التاسع والسبعون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب...»

الجواب: لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

هذا حديثٌ قصيرٌ في لفظه عظيمٌ في معناه، وهو قاعدةٌ من قواعد الإسلام في التعامل، ولو أن أحدنا عمل بهذا الحديث وجعله نصب عينيه في المعاملة لكان من أحسن الناس أخلاقاً في التعامل مع الآخرين.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «لا يؤمن أحدكم»، أي: لا يتم إيمانه الواجب^(٢) حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ومما يدل على أن المراد بالنفي نفي كمال الإيمان أن الحديث ورد عن النبي **صلى الله عليه وسلم** بلفظ: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير»^(٣).

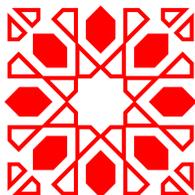
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) نفي الإيمان الواجب جاء في نصوص عدة في الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله **صلى الله عليه وسلم**: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بواقبه» أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي شريح **رضي الله عنه** رقم: (٦٠١٦)، ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** رقم: (٤٦)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: (٢٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٧٨٠).

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ»، قال: « أَفْتُحِبُّ لِعَمَّتِكَ؟ » قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: « ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ »، قال: « أَفْتُحِبُّ لِمَخَالَتِكَ؟ » قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: « ولا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ »، قال: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وقال: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ »، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (١).



(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٢٢١١)، وصححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٧٠).

السؤال الثمانون: مَنْ عَدُوكَ الْأَكْبَرُ؟

الجواب: إبليسُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ.

إبليسُ هو العدوُّ الأوَّلُ المبيِّنُ ، وذلك أَنَّهُ حَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وامتنع عن السجود له، وعصى رَبَّ العالمين، واستكبر عن أمره، فاستحق الطردَ من رحمة الله والإبعاد عنها، فصار عدوًّا لآدمَ وذريته منذ ذلك الوقت.

وقوله: «**الرجيمُ**»، أي: المرجومُ المطرود من رحمة الله تعالى، وكذا الشياطينُ تُرجم بالشُّهبِ وتُرمى بها عندما تُريد استراقَ السَّمعِ من السَّماءِ.

وأصلُ خَلْقِ الجنِّ من نارٍ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿[الأعراف: ١٢]، وقوله عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (١).

وإبليسُ مِنَ الجنِّ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخَذُونَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وسُمِّيَ إبليسُ بالشَّيْطَانِ لكثرةِ ضرره وشدَّةِ خطره على بني آدم، وكلُّ مَنْ اشتدَّ خطره وعظم ضرره من الجنِّ والإنسِ يسمَّى شيطانًا، إلا أَنَّهُ عند الإِطلاقِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٦).

والتعريف بالألف واللام ينصرفُ الذَّهْنُ إلى إبليس.

ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ بَيَّنَ لَنَا عِدَاوَةَ الشَّيْطَانِ، وَأَوْضَحَ كَيْدَهُ وَخَطَوَاتِهِ، وَحَذَّرَنَا مِنْ اتِّبَاعِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وقد كان الشيطان سبباً في إخراج آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحواء من الجنة، قال تعالى: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِيقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إبليس، الذي هو مادةٌ لفسادِ الأديان والأعمال، والاعتقادات والإرادات، وهو سببُ شقاوة العبيد، وعملهم بما يغضب الربَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو الساعي في وقوع خلافٍ ما يحبه الله ويرضاه بكل طريق وكل حيلة، فهو مبعوض للربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مسخوطٌ له، لعنه الله ومقتته، وغضب عليه»^(١).

وللشياطين خصائصٌ اختصهم الله بها فمن ذلك:

١- أنهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم، والدليل قوله تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَئِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٩٠).

٢- أَنَّهُمْ يَجْرُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ»^(١).

٣- أَنَّهُمْ يُوسُوسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ.

والدليل قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

النَّاسِ ⑤﴾ [الناس: ٤: ٥]

وقد أقسم الشيطانُ بعزّةِ الله على إغواءِ بني آدَمَ وإضلالِهِمْ، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ومن أعظم ما يوقعُ الشيطانُ فيه بني آدَمَ الشركُ بالله **عَزَّجَلَّ**، قال اللهُ تعالى:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فالشيطانُ يسعى إلى إفسادِ عقيدةِ المسلم ودينه بالوسوسةِ فيوسوس له في

وجودِ الله **عَزَّجَلَّ** وفي صحةِ دينِ الإسلامِ ونبوةِ رسولِ الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ويسعى إلى إفسادِ عبادةِ المسلم من طهارةِ وصلاةِ وغيرهما بالوسوسةِ كما

جاء في حديثِ عثمان بنِ أبي العاصِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَائَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ

رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ،

وَاتَّقِ عَلِيَّ يَسَارَكَ ثَلَاثًا» قال: ففعلتُ ذلك فأذهبهُ اللهُ عني^(٢).

وعن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**، قالت: سألتُ رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن الالتفاتِ في

الصَّلَاةِ؟ فقال: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٠٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥١).

وَمِنْ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يُزْهَدُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَيُقَلِّلُ مِنْ شَأْنِهَا، وَيَصُدُّ الْإِنْسَانَ
عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ
وَتَذُرُّ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ أَيْبِكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ،
فَقَالَ: تَهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمُهَاجِرِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ،
فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ،
فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ، وَيُقَسِّمُ الْمَالَ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ
حَقًّا عَلَى اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،
أَوْ وَقَصَّتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»^(١).

وَمِنْ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَسْعَى لِلْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ كَمَا ثَبِتَ
عَنْ جَابِرِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ
أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(٢).

وَمِنْ مَكَائِدِهِ أَيْضًا أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، كَمَا ثَبِتَ عَنْ جَابِرِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**،
قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ
سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مِنْزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا،

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ رَقْمًا: (٣١٣٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ رَقْمًا: (٢٩٧٩).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٢٨١٢).

قَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ». الْحَدِيثُ إِخْبَارٌ
عَمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ الشَّيْطَانِ مِنْ يَأْسٍ بَعْدَ حُصُولِ الْفَتْوحَاتِ، وَقُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَدُخُولِ النَّاسِ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى عَدَمِ وَقُوعِ الشَّرِكِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. [انظر
القول المفيد لابن عثيمين ١/ ٢١٠].

فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال ثمَّ يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيُدينه منه ويقول: نِعَمَ أَنْتَ (١).

ويسعى الشيطانُ لصددِ المسلم عن أذكار الصلاة وأذكار النوم ليحرمه من نيل الأجر العظيم والثواب الجزيل فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «خصلتان، أو خلتان لا يُحافظ عليهما عبدٌ مسلمٌ إلا دخل الجنة، هما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليلاً، يُسبِّح في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ عشراً، ويحمدُ عشراً، ويكبرُ عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألفٌ وخمسمائة في الميزان، ويكبرُ أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويُسبِّح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألفٌ في الميزان» فلقد رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعقدُها بيده، قالوا: يا رسولَ الله كيف هما يسيرٌ ومن يعمل بهما قليلاً؟ قال: «يأتي أحدكم - يعني الشيطانَ - في منامه فينومُه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكرُه حاجةً قبل أن يقولها» (٢).

ومن مكائد الشيطان حَمْلُ الإنسانِ على سوء الظن حتى يقع الحسدُ والنزاعُ بين المسلمين.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن مكايده: أنه يسحرُ العقلَ دائماً حتى يكيدَه، ولا يَسَلِّمُ من سحرِهِ إلا مَنْ شاء اللهُ، فيزيِّنُ له الفعلَ الذي يضرُّه، حتى يُخيِّلَ إليه أنه من أنفعِ الأشياءِ له، ويُنفِره من الفعلِ الذي هو أنفعُ الأشياءِ له، حتى يُخيِّلَ له أنه يضرُّه، فلا إله إلا اللهُ! كم فُتِنَ بهذا السِّحْرِ من إنسانٍ! وكم حال به بين القلبِ وبين

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٨١٣).

قوله: «نِعَمَ أَنْتَ» نِعَمَ كلمةٌ للمدحِ يمدحُه لإعجابِه بصنعه وبلوغِه الغايةَ التي أرادها.

[انظر شرح مسلم للنووي ١٧/ ١٥٧].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٥٠٦٥).

الإسلام والإيمان والإحسان! وكم جَمَلُ الباطل وأبرزه في صورةٍ مستحسنة، وبشعِّ الحقِّ وأخرجه في صورةٍ مستهجنة! وكم بَهْرَجَ من الزُّيُوفِ على النَّاقِدين، وكم رَوَّجَ من الزَّغَلِ على العارفين! فهو الذي سَحَرَ العقولَ حتى ألقى أربابها في الأهواءِ المختلفةِ والآراءِ المتشعبةِ؛ وسَلَكَ بهم من سُبُلِ الضَّلَالِ كُلِّ مَسَلَكٍ، وألقاهم من المهالكِ في مَهْلِكٍ بعد مَهْلِكٍ، وزَيَّنَ لهم من عبادَةِ الأصنامِ، وقطيعَةِ الأرحامِ، ووَأْدِ البناتِ، ونكاحِ الأمهاتِ، ووَعَدَهُمُ الفوزَ بالجنانِ مع الكفرِ والنُّسوقِ والعصيانِ، وأبرزَ لهم الشُّركَ في صُورَةِ التَّعْظِيمِ، والكفرَ بصفاتِ الرَّبِّ تعالى وعلوِّه على عرشه وتكليمه بكتبه في قلبِ التَّنْزِيهِ، وتَرَكَ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عَنِ الْمُنْكَرِ في قلبِ التَّوَدُّدِ إِلَى النَّاسِ، وحسنِ الخُلُقِ معهم، والعملِ بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: 105]، والإعراضَ عَمَّا جاء به الرَّسُولُ ﷺ في قلبِ التَّقْلِيدِ، والاكْتِفَاءَ بقولِ مَنْ هو أعلمُ منهم، والنَّفَاقَ والإدِّهَانَ في دينِ الله في قلبِ العَقْلِ المعيشيِّ الذي يندرجُ به العبدُ بين الناسِ، فهو صاحبُ الأبوين حينَ أخرجهما مِنَ الْجَنَّةِ، وصاحبُ قابيلَ حينَ قَتَلَ أخاه، وصاحبُ قومِ نُوحٍ حينَ أُغْرِقُوا، وقومِ عادٍ حينَ أُهْلِكُوا بِالرَّيْحِ العقيمِ، وصاحبُ قومِ صالحٍ حينَ أُهْلِكُوا بِالصَّيْحَةِ، وصاحبُ الأُمَّةِ اللُّوطِيَّةِ حينَ خُسِفَ بهم وأُتْبِعُوا بِالرَّجْمِ بالحجارةِ، وصاحبُ فرعونَ وقومه حينَ أُخْذُوا الأَخْذَةَ الرَّابِيَةَ، وصاحبُ عَبَادِ العَجَلِ حينَ جَرَى عليهم ما جَرَى، وصاحبُ قريشٍ حينَ دَعُوا يَوْمَ بدرٍ، وصاحبُ كُلِّ هَالِكٍ ومفتونٍ» (١).

وللوقاية من شرور الشيطانِ أسبابٌ عدَّةٌ ومنها:

١- الاستعاذةُ بالله من شرِّ الشيطانِ وما يدعو إليه مِنَ الشُّرْكِ والعصيانِ.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الأعراف: ٢٠٠].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٤).

وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعي، قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة - أو قال: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض - ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطانِ وشركه»^(١).

٢- ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

قال الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسَوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهُ خَسَنَ»^(٣).

٣- قراءة آية الكرسي، كما ورد في قصة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الشيطان وأنه قال له: «إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظٌ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٥١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٧٥٣).

وقوله: (وشرِّكه)، أي ما يدعو إليه من الشرك، قال ابن الأثير: ويروى بفتح الشين والراء: أي حباته ومصايد [النهاية ٢/٤٦٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٩٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٩١).

* ظاهر إطلاق الحديث أنه يُحَصَّلُ هذا الأجر المذكورَ مَنْ قال هذا التهليلَ مائةَ مرةٍ في يومه سواء قاله متوالياً أو متفرقاً في مجالسِ أوَّلِ النَّهَارِ، أو آخِرِهِ، لكنَّ الأفضَلَ أن يأتي به متوالياً في أوَّلِ النَّهَارِ ليكون حِرْزاً له في جميعِ نهارِهِ. [انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٧)].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٥٤/٢٤).

ولا يقربك شيطان حتى تصبح»، وقال النبي **صلى الله عليه وسلم** «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»^(١).

٤ - أن الشيطان ينفّر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة.

فعن أبي هريرة **رضي الله عنه**، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطانَ ينفّر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»^(٢).

٥ - تعلم العلم الشرعي لمعرفة مكائد الشيطان ومصائده ومدخله ومخارجه.

٦ - المحافظة على دعاء الخروج من المنزل.

والدليل حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووقيت، فتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووقِي؟!»^(٣).

٧ - كف الصبيان عن الخروج ليلاً.

والدليل حديث جابر بن عبد الله **رضي الله عنهما** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إذا كان جُح الليل، أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم؛ فإنَّ الشياطينَ تنشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، وأذكروا اسم الله؛ فإنَّ الشيطانَ لا يفتح باباً مغلقاً»^(٤).

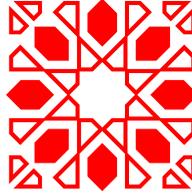
(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٩٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠١٢)، واللفظ

فلذلك يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَسْتَهينَ بِالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ العَدُوِّ الْمُبِينِ، وَأَنْ يُكْثِرَ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَأَنْ يَعْرِفَ خُطْطَهُ وَأَسَالِيهَهُ وَتَزْيِينَهُ وَدَعْوَتَهُ وَمَدَاخِلَهُ وَمَخَارِجَهُ لِيَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِ وَإِضْلَالِهِ.



= قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «جُنْحُ اللَّيْلِ»، بضم الجيم وكسرها لغتان مشهورتان، وهو ظلامه.
قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْشُرُ حَبِيئِدًا»، أي: امنعوا أولادكم مِنَ الخَروجِ خوفاً عليهم؛ لأنه وقت انتشار الشياطين وكثرتهم. [شرح مسلم للنووي ١٣/ ١٨٥].

السؤال الحادي والثمانون: متى تستعيدُ باللهُ منَ الشيطانِ الرَّجيمِ؟

الجواب:

- ١- قبل قراءة القرآن.
- ٢- قبل دخول الخلاء.
- ٣- عند الغضب.
- ٤- عند الوسوسة.
- ٥- عند سماع نهيق الحمار، ونباح الكلاب.

قوله: **(تستعيدُ باللهِ)**، الاستعاذةُ عبادةٌ عظيمةٌ، وهي: طلب العوذ، والالتجاءُ إلى الله والاعتصامُ به ليعيدك من شر ما استعدت بالله منه.

ويُشرعُ للمسلم أن يستعيدَ بالله من شرِّ أعماله، ومن تقصيره وأخطائه، ومن شر نفسه كما كان يقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: «نعوذُ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا»^(١).

ومن أعظم ما تستعيدُ بالله منه الشيطان؛ لشدة خطره وعداوته الميينة لبني آدم. قوله: **(منَ الشيطانِ)** الشيطان لفظٌ مشتقٌ من شطن أي بُعد، والشيطانُ بعيدٌ من رحمة الله **عَزَّجَلَّ** ومغفرته.

قوله: **(الرَّجيمِ)** أي: المردوم، المطرود من رحمة الله. والاستعاذة بالله من الشيطان مشروعة في أي وقتٍ خاف الإنسان فيه من شره، فهو عدوٌّ مبينٌ، وقد شرعت الاستعاذة بالله **عَزَّجَلَّ** منه في مناسباتٍ خاصّة، وهي:

(١) جزء من حديث خطبة الحاجة، أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١١٠٥)، وأصله في مسلم رقم: (٨٦٨).

أولاً: قبل قراءة القرآن.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد بالله.

والاستعاذة من الشيطان قبل قراءة القرآن لها فوائد منها:

أ- عدم التباس القراءة على القارئ.

ب- الأمن من سوء الفهم.

ج- الإعانة على تدبر القرآن وفهمه.

ثانياً: عند دخول الخلاء.

والخلاء: هو المكان المخصص لقضاء الحاجة، وسمي بذلك؛ لأن الإنسان يخلو فيه بنفسه.

وقد ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبثِ والخبائثِ»^(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل الخلاء»، أي: إذا أراد دخول الخلاء، كما جاء في رواية «إذا أراد أن يدخل»^(٢).

قوله صلى الله عليه وسلم: «الخُبثِ والخبائثِ»، الخُبثُ جمع خبيثٍ: وهم ذكوان الشياطين، والخبائث جمع خبيثة: وهن إناث الشياطين.

ولما كانت الشياطين تسكن هذه الأماكن القذرة غالباً ناسب أن يستعيذ الإنسان بالله من شرها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٧٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٤٢).

ثالثاً: عند الغضب.

الغضبُ جمرَةٌ يُلقِيها الشيطانُ في قلبِ الغاضِبِ.
والغضبُ آثارُه سيئةٌ وعواقبُه وخيمةٌ، ولو تفكر الإنسانُ في أقواله وأفعاله
لندمَ على أشياء كثيرةٍ صدرت عنه بسببِ الغضبِ، فربما خسر أخاً أو صديقاً أو طلق
زوجته بسببِ الغضبِ.

ومن أسوأ آثارِ الغضبِ الكُفْرُ بالله، فقد يغضب الإنسانُ ويتلفظ بكلمة الكُفْرِ.
وكذلك من آثارِ الغضبِ القتلُ، فقد يَقْتُلُ الإنسانُ مسلماً معصوماً الدَّمِ
بسببِ الغضبِ، جاء عن رجلٍ من أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رجلٌ: يا
رسولَ الله، أوصني؟ قال: « لا تَغْضَبْ »، قال: قال الرجلُ: « ففكرتُ حين قال
النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ »^(١).

ولمَّا كان الغضبُ بهذه الخطورة شرع للمسلم إذا غَضِبَ أن يستعيدَ بالله
من الشيطانِ الرجيم؛ لأنَّه السببُ الأكبرُ لغالبِ الشرورِ، ولذلك لمَّا رأى النبي
صلى الله عليه وسلم رجلاً غاضباً قال: « إني لأعلمُ كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يجدُ، لو قال:
أعوذُ بالله من الشيطانِ »^(٢).

رابعاً: عند الوسوسة.

الْوَسْوَسَةُ: هي الإلقاء والتعلِيمُ بخفية، والشيطانُ يُوسوسُ في صدور
النَّاسِ، وهو يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ، فوجِبَ على المسلم أن يلتجئَ إلى
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن يعتصمَ به ليقيه من شرِّه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٣١٧١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦١٠)، واللفظ للبخاري.

* لا يشرعُ للإنسان إذا غضب أن يُصليَ على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يؤمرَ بذلك، بل
المشروع الاستعاذة من الشيطان كما ثبت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

والدليل على مشروعية الاستعاذة بالله من شر وسوسة الشيطان قوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

④ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ [الناس: ١: ٦].

وفي بيان خطر الوَسْوَسَة وضررها على المسلم يقول شيخ الإسلام **رحمته الله**: «الْوَسْوَاسُ أَصْلُ كُلِّ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعَصِيَانٍ، فَهُوَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ، فَمَتَى وَوَقِيَ الْإِنْسَانُ شَرَّهُ وَوَقِيَ عَذَابَ جَهَنَّمَ، وَعَذَابَ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةَ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَفِتْنَةَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِطَرِيقِ الْوَسْوَاسِ، وَوَقِيَ عَذَابَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

ويقول تلميذه ابن القيم **رحمته الله**: «فَأَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَبَلَاءٍ إِيَّاهَا هُوَ الْوَسْوَسَةُ، فَلِهَذَا وَصَفَهُ بِهَا -أَي: فِي سُورَةِ النَّاسِ بِأَنَّهُ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ-؛ لِتَكُونَ الْاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّهَا أَهَمَّ مِنْ كُلِّ مُسْتَعَاذٍ مِنْهُ، وَإِلَّا فَشَرُّهُ بَغَيْرِ الْوَسْوَسَةِ حَاصِلٌ أَيْضًا»^(٢).

ومن أعظم ما يوسوس به الشيطان إفساد عقيدة المسلم، والدليل قوله **صلى الله عليه وسلم**: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ»^(٣).

خامساً: عند سماع نهيق الحمار، ونباح الكلاب.

ثبت عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الْحِمَارِ فَتَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٥١٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٣٤)، واللفظ للبخاري.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ»، كلمة «أحدكم» مفردٌ مضافٌ يفيد العموم، والمعنى أن الشيطان يأتي لكل أحد. [قاله المؤلف حفظه الله].

الشیطان، فإنه رأى شیطاناً»^(١).

وثبت عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سمعتم بُبَّاحَ الْكِلَابِ، ونهيقَ الحُمُرِ بالليل، فتعوذوا بالله فإنهنَّ يرين ما لا ترون»^(٢).

سادساً: دعاء دخول المسجد.

فلا استعاذة بالله من الشيطان سببٌ لحفظ الله تعالى للعبد من الشيطان سائر اليوم، والدليل حديثُ عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»^(٣).

سابعاً: عند الفرع.

والدليل حديثُ عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَلِّمُهُم مِّنَ الْفُرْعِ كَلِمَاتٍ: «أعوذُ بكلماتِ الله التامة، من غضبه وشرِّ عباده، ومن همزاتِ الشياطين، وأن يحضرون»^(٤).

ثامناً: عندما يُلبس الشيطان على الإنسان في صلاته.

والدليل حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٠٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٢٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٥١٠٣).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سمعتم بُبَّاحَ الْكِلَابِ، ونهيقَ الحُمُرِ بالليل» حَصَّ الليل؛ لأنَّ انتشارَ الشياطين والجنِّ فيه أكثر، وكثرةُ فسادهم فيه أظهر، وهو بذلك أجدر، فيكونُ نهيقُ الحمير فيه أكثر، وإنَّ كان النَّهَارُ كذلك في طلب التَّعوُّذِ. [انظر فيض القدير للمناوي ١/ ٣٨٠].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٤٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٣٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٣٨٩٣).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيطان يُقال له خنزَبٌ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتَّقِلْ على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلتُ ذلك فأذهبه الله عني (١).

تاسعاً: عند الرقية الشرعية.

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذُ الحسن والحسين، ويقول: «إنَّ أباكما كان يُعوذُ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذُ بكلماتِ الله التامةِ من كلِّ شيطانٍ وهامةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامةٍ» (٢).

عاشراً: في أذكار الصباح والمساء.

لما ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، علّمني شيئاً أقوله إذا أصبحتُ، وإذا أمسيتُ، وإذا أخذتُ مضجعي، قال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة - أو قال: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطانِ وشركه» (٣).

حادي عشر: عند رؤية ما يكره في نومه.

والدليل حديثُ جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصقْ عن يساره ثلاثاً، وليستعدْ بالله من الشيطانِ ثلاثاً، وليتحوّلْ عن جنبه الذي كان عليه» (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣٧١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٥١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٧٥٣).

قوله صلى الله عليه وسلم: (وشركه)، أي: ما يدعو إليه من الشرك، قال ابن الأثير: ويروى بفتح الشين والراء، أي: جائله ومصايدِه [النهاية ٢/٤٦٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم: (٧٠٤٥)، ومسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رقم: (٢٢٦٢)، واللفظ له.



السؤال الثاني والثمانون: ما أخطر أمراض القلوب؟



الجواب: النفاق.



القلوب تُصابُ بمرضين:

١- مرضُ الشَّهواتِ الذي يَحْمِلُ على ارتكابِ المعاصي والذُّنوبِ.

٢- مرضُ الشُّبهاتِ الذي يَحْمِلُ على النِّفاقِ والإلحادِ.

وعلاجُ هذين المرضين في كتابِ الله تعالى، ففيه مِنَ الأدلَّةِ والبراهينِ ما يشفي اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به القلوبَ المريضةَ مرضَ الشُّكِّ والرَّيبِ والنِّفاقِ، وفي كتابِ الله مِنَ المواعظِ والزَّواجرِ وذِكْرِ الجَنَّةِ والنَّارِ والوَعْدِ والوَعِيدِ ما يشفي اللهُ **جَلَّ وَعَلَا** به مرضَ الشَّهوةِ.

قال ابنُ رَجَبٍ **رَحِمَهُ اللهُ**: «والذي فَسَّرَهُ به أهلُ العِلْمِ المعتبرون أنَّ النِّفاقَ في اللِّغَةِ هو مِنْ جنسِ الخِدَاعِ والمَكْرِ، وإظهارِ الخيرِ وإبطانِ خلافِهِ»^(١).

فالنِّفاقُ: إبطانُ الشرِّ وإظهارُ الخيرِ، وهذا التعريفُ يَشْمَلُ النِّفاقَ الأكبرَ والأصغرَ.

والنِّفاقُ نوعان:

١- نِفاقٌ أكبرُ: وهو إضمارُ الكُفْرِ، وإظهارُ الإسلامِ^(٢).

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

(٢) قال الشيخُ عبدُ الرحمن السعدي **رَحِمَهُ اللهُ**: «هذا النوعُ مُخْرِجٌ مِنَ الدِّينِ بالكَلْبَةِ، وصاحبُه في الدَّرَكِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ، وقد وَصَفَ اللهُ هؤلاءِ المنافقينَ بصفاتِ الشُّرِّ كُلِّها: مِنَ الكُفْرِ، وَعَدَمِ الإيمانِ، =

٢- نفاقٌ أصغرُ: اختلافُ السِّرِّ والعلانيةِ في الواجباتِ (١).

والنفاقُ مرضٌ خطيرٌ من أمراضِ القلوبِ، قال تعالى عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، والمراد مرضُ الشبهاتِ، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والمراد مرضُ الشهواتِ.

وقد كان المسلمون في مكةَ مستضعفين فالذي يُظهِرُ الإسلامَ يُضطَّهَدُ ويُعَذَّبُ وقد يُقْتَلُ، فما كان أحدٌ يَدْخُلُ الإسلامَ إلا وهو على يقينٍ بصحةِ هذا الدِّينِ، فلما هاجر النبي ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ وقَوِيَ الإسلامُ أصبحَ بعضُ الناسِ يُظهِرُ الإسلامَ ويبطنُ الكفرَ، خوفاً على نفسه وماله.

والمنافقون يكثرون ويزيدون في كل عصر وفي كل مصر، فكلما قَوِيَ الإسلامُ زاد المنافقون، وكلما ضَعُفَ الإسلامُ قَلَّ المنافقون لأن الإسلامَ في حالِ ضعفٍ فلا حاجةَ للكافرِ أَنْ يخفي كفره بل يظهره ويُلحِدُ ويظهر إلحاده حتى في عصرنا هذا تجد النفاقَ يتفاوت من بلدٍ إلى بلدٍ حسب قوة الإسلامِ وضعفه.

ولخطورةِ النِّفاقِ والمنافقين ذكرهم اللهُ تعالى في كتابه في مواضعٍ في أولِ سورةِ البقرة، وفي سورةِ آلِ عمرانَ وفي سورةِ التَّوْبَةِ حتى سُمِّيتْ بالفاضحة، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَمْ تَبْقَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا» (٢).

= والاستهزاء بالدينِ وأهله، والسُّخْرِيَّةُ منهم، والميلُ بالكَلْبَةِ إلى أعداءِ الدينِ؛ لمُشارِكَتِهِمْ لَهُمْ فِي عداوةِ دينِ الإسلامِ، وهم موجودون في كُلِّ زمانٍ، ولا سيما في هذا الزَّمانِ الذي طغَتْ فيه المادِيَّةُ والإلحادُ والإباحيَّةُ. [هجة قلوب الأبرار ص: ٢٥].

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/ ١٤٠).

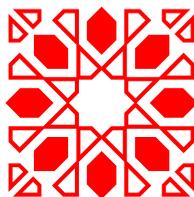
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٨٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٠٣١)، واللفظ للبخاري.

وَذَكَرَ اللهُ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ بِاسْمِ الْمُنَافِقِينَ، وَذَكَرَهُمْ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٩].

فَإِذَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ ظَاهِرَهُمُ الْإِسْلَامَ فَكَيْفَ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَجَاهِدَهُمْ؟ الْجَوَابُ: أَنْ جِهَادَهُمْ يَكُونُ بِالدَّعْوَةِ، وَبَيَانِ بَاطِلِهِمْ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ. وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ بِالْحِجَّةِ وَالْبَيَانِ لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنِ الْجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ وَالسُّنَنِ بَلْ قَدْ يَكُونُ مَقْدَمًا عَلَيْهِ، وَأَوْلَى مِنْهُ.

فائدة: بَيْنَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ وَالنِّفَاقِ الْأَصْغَرِ فُرُوقٌ مِنْهَا:

- ١ - أَنْ النِّفَاقَ الْأَكْبَرَ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَأَمَّا النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ فَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ.
- ٢ - أَنْ النِّفَاقَ الْأَكْبَرَ لَا يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ، وَأَمَّا النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ فَقَدْ يَصْدُرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ نَاقِصِ الْإِيمَانِ.
- ٣ - أَنْ صَاحِبَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ فِي الْغَالِبِ لَا يَتُوبُ، بِخِلَافِ النِّفَاقِ الْأَصْغَرِ؛ فَإِنَّ صَاحِبَهُ قَدْ يَتُوبُ إِلَى اللهِ، فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ^(١).



(١) عقيدة التوحيد للشيخ: صالح الفوزان (ص: ٩٣).



السؤال الثالث والثمانون: ما أثقل الصلاة على المنافقين؟



الجواب: صلاة الصبح، وصلاة العشاء.



تقدّم في شرح السؤال السابق بيان المنافقين وأنواعهم وذكر شيء من صفاتهم، ومن صفاتهم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والنبّي صلى الله عليه وسلم في سنته الكسل في القيام للصلاة، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(١).

وإن أثقل الصلوات على المنافقين صلاتا الفجر والعشاء والدليل ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن أمر بالصلاة، فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٢).

قوله صلى الله عليه وسلم: «ولو يعلمون ما فيهما»، أي: من الأجر والثواب المترتب على فعلهما، وكذلك من الإثم والعقاب المترتب على تركهما والتفريط فيهما.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٢٢).

* وهذا الحديث في حق من يؤخر صلاة العصر إلى آخر وقتها بدون عذر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٥١)، واللفظ له.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «لأنّ توهُما ولو حَبَّوًّا»، أي: يمشون على أيديهم وركبهم.

وفي الحديثِ تحذيرٌ لكلِّ مسلمٍ مِنَ الاتِّصافِ بصفاتِ المنافقين، فلو وَجَدَ المسلمُ في نفسه تكاسلاً وتثاقلاً عن الصلواتِ، وخاصةً صلاتي الفجر والعشاء فهذا دليل على أنه فيه شيء من النفاق، وإذا لم يجاهدِ المسلمُ نفسه على أداءِ الصَّلَاةِ في المسجدِ جماعةً، ويسأل الله العونَ على ذلك فستكونُ الصَّلَاةُ ثقيلةً عليه، وسيكون متصفاً بشيء من صفاتِ المنافقين.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بَيْوتَهُمْ بِالنَّارِ » فيه وعيدٌ شديدٌ وزجرٌ أكيدٌ عَنِ التَّخَلُّفِ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وفيه دليلٌ على وجوب حضور الرجال صلاة الجماعة في المساجد، ولا يجوز أن تُقامَ في البيوتِ إلا لعذرٍ.

وقد رَغِبَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وسلم** بأداءِ صلاةِ الفجر والعشاء في جماعة وبين ما فيها من عظيم الأجر.

قال رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(١).

وجاء في فضل صلاة الفجر^(٢) حديثُ جندبِ بنِ عبدِ الله **رضي الله عنه**، يقول: قال رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فِيكَبَّةٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

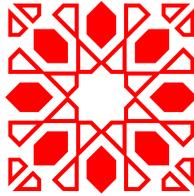
(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٥٦).

(٢) وللمؤلف حفظه الله رسالة نافلة مطبوعة بعنوان (اغتنام الأجر لمن شهد صلاة الفجر) جمَعَ فيها فضائل صلاة الفجر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٥٧).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « فهو في ذمة الله »، أي: في عهد الله وحفظه وأمانه فلا تتعرضوا له بالأذى والشر. =

ويقول **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).



= قوله **صلى الله عليه وسلم**: «فَلَا يَطْلُبُنَا اللَّهُ مِنْ ذَمَّتْهُ بَشِيءٌ فَيُدْرِكُهُ»، أي: فَمَنْ تَعَرَّضَ بِالْأَذَى لِمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فَاللَّهُ يَطْلُبُ حَقَّهُ، وَمَنْ يَطْلُبُهُ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ مَفْرًا وَلَا مَلْجَأً، وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ بِدُخُولِ النَّارِ لِمَنْ يُؤْذِي مَصْلِي صَلَاةِ الْفَجْرِ. [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٢/٢٨٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٧٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٣٥).

السؤال الرابع والثمانون: أكمل الحديث:

قال رسول الله ﷺ: « آية المنافق ثلاث:

إذا حدث كَذَبَ ... ».

الجواب: « وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان »^(١).

بينَ النَّبِيِّ ﷺ في هذا الحديثِ ثلاثُ صفاتٍ من صفاتِ المنافقين، والمقصود بالتَّفَاقِ في هذا الحديثِ التَّفَاقُ العمليُّ وليس التَّفَاقُ الاعتقادي، فالذي يتصفُ بهذه الصِّفاتِ يكونُ قد عمَلَ أعمالَ المنافقين ولكنه لا يُسمَّى منافقاً^(٢).

والحديثُ ليس فيه حصرٌ لصفاتِ المنافقين بهذه الثلاث، فقد وردت صفاتٌ عديدةٌ للمنافقين تقدّم ذكرُ بعضها في السّؤالين السابقين.

وقد ثبت هذا الحديثُ بلفظٍ آخر: « من علاماتِ المنافقِ ثلاثةٌ »^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٩).

(٢) قال ابنُ بطّالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « من كانت فيه هذه الخلال أو واحدةٌ منها، فإنه منافقٌ فيها خاصةً، وليس بمنافقٍ في غيرها من دينه ممّا صحَّ فيه اعتقادهُ وبقينه، وإنما أُطلقَ اسمُ التَّفَاقِ على صاحبِ هذه الخلال؛ لأنّها تَغَلَّبُ على أحوالِ المرءِ، وتستولي على أكثرِ الأفعالِ، فاستحقَّ هذه التسميةَ بما غَلَبَ عليه من قبيحِ أفعاله، ومشابهته فيها المنافقين والكفّارَ، فوصفَ بصفتهِم تقييحاً لحاله، ومجانبةً أفعالِ المؤمنين ». [شرح البخاري ٦/٥٨٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٩)، واللفظ له.

قال الشيخ عبدالمحسن العباد: « وهذا من كمالِ بيانه ﷺ؛ حيث يذكرُ العددَ أولاً، ثم يأتي بتفصيلِ المعدودِ؛ لِمَا في ذلك من حَفْزِ السامعِ إلى الاستعدادِ والتهيؤِ لَوَعْيِ ما سيُلْقَى عليه من هذه الخصال، وليطالبَ نفسه بالمعدودِ، فإن لم يُطابقِ عِلْمَ أَنَّهُ فاته شيءٌ ». [فتح القوي المتين في شرح الأربعين ص: ١٨٩].

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « **آية المنافق ثلاثٌ** »، أي: علامته.

الصفة الأولى: « **إذا حدث كذبٌ** »، أي: أنه يكثر الكذب أو يكون الكذب صفةً لازمة له سواء كان مازحًا أم جادًا.

والكذب: الإخبار بخلاف الواقع، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب، وأنه من كبائر الذنوب ^(١).

وبعض الناس يكذب ويزعم أن كذبه فيه مصلحة للدعوة إلى الله وإصلاح الناس، وهذا من تلبس الشيطان، وبعضهم يكذب تخويفًا لتاركي الصلاة فيقول: رأيتك في المنام وأنت تعذب ونحو ذلك، والكذب من كبائر الذنوب، ودين الله في غنى عن ذلك.

فائدة: أباحت الشريعة الكذب في ثلاثة مواطن، والدليل حديث أسماء بنت يزيد **رضي الله عنها** قالت: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: « لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليُصلح بين الناس » ^(٢).

(١) قال الذهبي **رحمته الله** في الكبيرة الرابعة والعشرين: « الكذاب في غالب أقواله ». [الكبائر ص: ٦٨].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٩٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٥٤٥).

* قال النووي **رحمته الله**: « وأما كذبه لزوجته وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بإجماع المسلمين ». [شرح مسلم ١٦/١٥٨].

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « يحدث الرجل امرأته » أن يحدث الرجل زوجته وتحدث المرأة زوجها، كأن يقول لها: إنك من أحب الناس إليّ، وما أشبه ذلك من الكلمات التي توجب الألفة والمحبة.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: « الكذب في الحرب » مثل أن يقول للعدو: إن ورائي جنودًا عظيمة، وما أشبه ذلك من الأشياء التي يُرهب بها الأعداء.

الصفة الثانية: «وإذا وعدَ أَخْلَفَ»، يتساهل بعضُ الناس في إخلاف الوعد بل إنه ربما يعد وهو في قرارة نفسه ينوي إخلاف الوعد، وهذا أمر خطير وهو من صفات المنافقين، وأما من وعد فأخلف وهو لم ينو الإخلاف، وحصل له عذرٌ منعه من الوفاء بالوعد فلا يدخل في الحديث، ولذلك فإنَّ الأولى أن يقول: (إن شاء الله تعالى)، فقد لا يتيسر له الوفاء بما وعدَ به.

قال ابنُ الجوزي رحمَهُ اللهُ: «خلف الوعد: الرجوع عنه، وهذا محمول على من وعد وهو على عزم الخلف، أو ترك الوفاء من غير عذرٍ، فأما من عزم على الوفاء فعرض له عذر منعه من الوفاء فليس بمنافقٍ، إلا أنه ينبغي أن يحتزر من صورة النفاق كما يحترز من حقيقته» (١).

والوفاء بالوعد واجبٌ سواءً وعدتَ أحداً ما لاً أو وعدتَ إعانةً أو أيَّ أمرٍ من الأمور، فعلى المسلم أن يفِي بوعوده كلها، وعليه ألا يعطي أحداً وعداً يغلب على ظنه عدم الوفاء به، ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيذُ بالله من المأثمِ والمغرمِ فعن عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة ويقول: «اللهم إني أعوذُ بك من المأثمِ والمغرمِ»، فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تستعيذُ يا رسولَ الله من المغرمِ؟ قال: «إنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ» (٢).

= قوله صلى الله عليه وسلم: «والكذبُ ليُصلِحَ بينَ الناسِ» إذا قصد الإنسانُ الإصلاحَ بينَ الناسِ وقال للشخص: إنَّ فلاناً يُثني عليك ويمدحك ويدعو لك، وما أشبه ذلك من الكلمات، فإنَّ ذلك لا بأس به. انظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤٠/٣).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤٠٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٣٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٨٩)، واللفظ للبخاري.

قوله صلى الله عليه وسلم: «من المأثمِ» المأثم: ما يكون سبباً في نيل الإثم وحصوله.

قوله صلى الله عليه وسلم: «المغرمِ»، أي: الدين.

فعلَى المسلم ألا يُحمل نفسه الديونَ فربما يجعله ذلك يُحدِّث فيكذب ويعدُّ ويُخلفُ ، فالدينُ همُّ بالليلِ وذلُّ بالنهارِ .

فائدة: اشتهر عند بعضِ الناسِ قولهم: « أعدك ولا أخلفك وعدًا إنجليزيًّا » يظنون أن الغربَ هم أهل الالتزام بالمواعيد، والذي ينبغي أن تقول إذا وعدت أحدًا وأردت أن تؤكِّد: إنَّه وعدٌ مؤمنٍ حتى لا يخلفه ^(١) .

الصفةُ الثالثة: « **وإذا أوْتِمنَ خان** »، الأمانةُ شأنها عظيمٌ جدًّا، والمسلمُ مأمورٌ بأداء الأمانة إلى أهلها، ومنهيٌّ عن الخيانة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء: ٥٨] .

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: « **أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك** » ^(٢) .
والإنسانُ مستأمنٌ على أمورٍ عظيمةٍ في نفسه وزوجته وأولاده وبلده ألا يفسدَ فيه .

قال الذهبي **رحمته الله**: « **الخيانةُ في كل شيءٍ قبيحةٌ، وبعضُها شرٌّ من بعضٍ، وليس من خانك في فلسٍ، كمن خانك في أهلك ومالك، وارتكبَ العظائم** » ^(٣) .

فائدة: قال تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا**

= * ويحتمل أن يراد بالاستعاذة من الدين الاستعاذة من الاحتياج إليه حتى لا يقع في هذه الغوائل أو الاستعاذة من عدم القدرة على وفائه حتى لا تبقى تبعته، ولا تناقض بين الاستعاذة من الدين وجواز الاستدانة؛ لأنَّ الذي استُعيذَ منه غوائلُ الدين، فمن استدان وسَلِمَ منها فقد أعاده الله وفعلَ جائرًا . [انظر فتح الباري لابن حجر ٥ / ٦١] .

(١) انظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤ / ٤٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٤٠) .

(٣) [الكبائر ص: ٨٣] .

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿[الأحزاب: ٧٢]﴾، وأعظم الأمانات أداء حق الله تعالى وتوحيده تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١).

ومن صفات المنافق: الغدر بالعهود، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

ومعنى «وإذا عاهد غدر»، أي: لم يفِ بالعهد ونقضه، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وحرّم الغدر ونقض العهود في كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافرًا، كما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها تُوجد من مسيرة أربعين عامًا»^(٣).

وهذا الحديث يشمل الذميّ والمعاهد والمستأمن، قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والمرادُ به من له عهدٌ مع المسلمين سواء كان بعقدٍ جزيةٍ أو هدنةٍ من سلطانٍ أو أمانٍ من مسلمٍ»^(٤).

(١) قال قتادة: الأمانة: الدينُ والفرائضُ والحدودُ، وقال بعضهم: الغسلُ من الجنابة، وقال زيدُ ابنُ أسلمٍ: الأمانةُ ثلاثة: الصلاةُ، والصومُ، والاعتسَالُ من الجنابة.

قال ابنُ كثيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكلُّ هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقةٌ وراجعةٌ إلى أنّها التكليفُ، وقبولُ الأمرِ والنواهي بشرطها، وهو أنّه إن قام بذلك أئيبٌ، وإن تركها عُوقِبَ، فقيلَها الإنسانُ على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفقَّ اللهُ». [تفسير ابن كثير ٦/ ٤٨٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٨)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣١٦٦).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٢٥٩).

وأما عهدُ المسلمين فيما بينهم، فالوفاءُ بها أشدُّ، ونقضُها أعظمُ إثماً، ومن أعظمِها: نقضُ عهدِ الحاكمِ على مَنْ تابعه، ورَضِي به، قال رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم**: «ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ، ولا يزيكهم، ولهم عذابٌ أليمٌ... ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإنَّ أعطاه منها رَضِي، وإن لم يُعْطه منها سَخِطَ» (١).

ويدخلُ في العهدِ التي يجبُ الوفاءُ بها، ويحرمُ الغدرُ فيها: جميعُ عقودِ المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبيعاتِ والمناكحاتِ وغيرها من العقودِ اللازمةِ التي يجبُ الوفاءُ بها، وكذلك ما يجبُ الوفاءُ به لله **عزَّ وجلَّ** مما يعاهدُ العبدُ ربَّه عليه (٢).

ومن صفاتِ المنافقين كما في حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنهما** المتقدم الفجور في الخصومة.

ومعنى «**وإذا خاصم فجر**»، أي: تكلم بالكلام الباطل وخرج عن الحقِّ عمداً حتى يصيرَ الحقُّ باطلاً والباطلُ حقاً، ثبت عن عائشة **رضي الله عنها**، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «**إنَّ أبغضَ الرِّجالِ إلى اللهِ الألدُّ الخصمُ**» (٣).

فإذا كان الرجلُ ذا قدرةٍ عند الخصومة - سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا - على أن يتصرَّ للباطل، ويُخيَّلَ للسامعِ أنه حقُّ، ويوهنَ الحقَّ، ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبحِ المحرماتِ، ومنْ أخْبِثِ خِصَالِ النَّفَاقِ (٤).

فالواجبُ على المسلم أن يخافَ على نفسه من النَّفاقِ، وأنْ يبتعدَ عن هذه الخِصَالِ والصفاتِ، وعن سائرِ صفاتِ المنافقين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٣٥٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/٤٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٤٥٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٦٨).

(٤) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/٤٨٦).

السُّؤال الخامس والثمانون: ما أخطر شيءٍ على الإنسان؟

الجواب: اللسانُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَكْبَرِهَا نِعْمَةُ الْكَلَامِ وَالنُّطْقِ وَالْبَيَانِ بِاللِّسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ** ﴿٣﴾ **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن ٣: ٤]، أَي: الْإِفْصَاحَ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، وَإِظْهَارَ مَا فِي نَفْسِهِ بِلِسَانِهِ، وَهُوَ مِمَّا تَمَيَّزَ بِهِ الْإِنْسَانُ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سِيَاقِ تَقْرِيرِ الْإِنْسَانِ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ** ﴿٨﴾ **وَلِسَانًا** **وَشَفْئَيْنِ** ﴿٩﴾ ﴾ [البلد ٨: ٩].

وهذه النعمة العظيمة إذا تساهل فيها الإنسان ولم يُحسن استخدامها فإنها تكون خطيرة جداً لأن اللسان سهل الحركة وأثره يطل وينال من القريب والبعيد والأحياء والأموات.

ولهذا كان المسلم مأموراً بحفظ لسانه، وقد ثبت في السنة أن حفظ اللسان والفرج من أسباب دخول الجنة، فعن سهل بن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» (١).

وإطلاق اللسان فيما يغضب الرحمن له عواقب وخيمة وأضرار جسيمة؛ ولهذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة بالتحذير منها والحث على البعد عنها لعظيم خطرهما وسوء عاقبتها وشدة ضررها، ومنها:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٤٧٤).

١- أن الكلمة التي تكون في سخط الله سببٌ عظيمٌ لدخول النارِ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

٢- أن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان، قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرِّ تسلم، من قبل أن تندم، ثم قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»^(٢).

٣- أن الكلمة قد تكون سببًا في هلاك صاحبها وحبوط عمله.

فعن جنذب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدّث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٤٧٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٩٨٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٠٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٨٧٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٢١).

قوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ؟!» استفهام على جهة الإنكار والوعيد.

قوله: «قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» إن كان هذا المتألي مستحلاً لهذه الأمور، فهو كافراً، فيكون إحباط عمله لأجل الكفر، كما يحبط عمل الكفار، وأما إن لم يكن مستحلاً لذلك، وإنما غلب عليه الخوف، فحكم بإنفاذ الوعيد، فليس بكافر، ولكنه مرتكب كبيرة، فإنه قانطٌ من رحمة الله، فيكون إحباط عمله بمعنى أن ما أوجبت له هذه الكبيرة من الإثم يربى على أجر أعماله الصالحة، فكأنه لم يبق له عمل صالح. [انظر المفهم للقرطبي

قوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ»، أي: يَحْلِفُ عَلَيَّ.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَتْ دِينِيهِ وَآخِرَتَهُ»^(١).

٤- أَنْ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ بِالنَّمِيمَةِ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَالْحَرَمَانِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

أَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسِ»^(٢).

وَأَمَّا الْحَرَمَانِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَقَدْ صَحَّ عَنْ حَازِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٣).

٥- أَنْ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ بِالْغِيْبَةِ مِنْ أَسْبَابِ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ فِي الْآخِرَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْغِيْبَةَ سَبَبٌ لِعَذَابِ الْقَبْرِ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُعَذَّبُ فِي الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الْغِيْبَةِ»^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ رَقْمًا: (٤٩٠١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ رَقْمًا: (٤٩٠١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٣٦١)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٢٩٢)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٠٥٦)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (١٠٥).

* الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَتَاتِ وَالنَّمَامِ أَنَّ النَّمَامَ الَّذِي يَحْضُرُ الْقِصَّةَ فَيَنْقَلِبُهَا، وَالْقَتَاتُ: الَّذِي يَتَسَمَعُ مِنْ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ بِهِ ثُمَّ يَنْقَلِبُ مَا سَمِعَهُ. فَتَحَ الْبَارِيُّ (١٠/٤٧٣).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَنِهِ رَقْمًا: (٣٤٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٢٤٤١).

وأما عذاب المغتاب الشديد في الآخرة فدليلة ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما عُرِجَ بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يَحْمِشُونَ وجوههم وصدورهم، فقلتُ: مَنْ هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناسِ، ويقعون في أعراضهم»^(١).

فالواجب على المسلم أن يعلم أن الله مُطَّلِعٌ عليه رقيبٌ حفيظٌ حسيبٌ؛ كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١١].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله الذي لا إله إلا هو، ما على وجه الأرض شيء أحوجُّ إلى طولِ سجنٍ من لسانٍ»^(٢).

فكم تكلمنا بكلامٍ نسيناه وقد أحصاه ربُّنا جَلَّ وَعَلَا ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسَوَّاهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، ولو تصوَّر الإنسان أن كلَّ مَنْ تكلم عليه بسوءٍ سيأخذ من حسناته وسيكون خصيمًا له يومَ القيامة لحبس لسانه وأمسكه عمَّا يُغْضِبُ الله.

وقد صحَّ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أندرون ما المُفْلِسُ؟» قالوا: المُفْلِسُ فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع، فقال: «إِنَّ المُفْلِسَ من أمتي يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذَّفَ هذا، وأكَلَ مَالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذا؛ فَيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فَإِنْ فَنِيَتْ حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٨٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (٨٧٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٨١).

السُّؤَالُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ: أَكْمَلِ الْحَدِيثَ: **«مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ...»**. قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ...»**.

الجواب: **«تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١)**.

هذا الحديث من جوامعِ كلمِ النبي ﷺ فهو قليل الألفاظِ كثير المعاني، ومن أخذ بهذا الحديث وعمل به انتفع كثيراً، وكان من المحسنين قولاً وفعلاً.

والإنسان إذا اشتغل بما لا يعنيه انشغل عما يعنيه، فالنفس إذا لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر.

قوله **صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَسَنَ»**؛ «مَنْ» للتبويض، أي: مِنَ العلاماتِ التي تدلُّ على حسنِ إسلامِ المرءِ ما جاء في الحديث.

وذلك أن الإسلامَ مشتملٌ على ثلاثة أمور:

١- فعل المأمورات: وهو الإتيان بالواجباتِ الشرعيَّة كالصلاةِ والصيامِ، والمستحباتِ مع الإخلاصِ لله تعالى، ومتابعةِ رسولِ الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

٢- تَرْكُ المنهيات: وهو الابتعادُ عن المُحَرَّمَاتِ والمكروهاتِ بالكليةِ طاعةً لله تعالى رجاءً ثوابه.

٣- تَرْكُ ما لا يعنى المسلم ولا ينفعه في أمرِ دينه أو دنياه.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٩١١).

فَمِنْ كَمَالِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ وَتَمَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْمُبَاحَاتِ، وَأَمَّا تَرْكُ
الْمَحْرَمَاتِ فَهُوَ مِنْ صَمِيمِ الدِّينِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَلَيْسَ مِنْ كَمَالِ الْإِسْلَامِ (١).

وَالْإِسْلَامُ دَرَجَاتٌ، فَالْمُسْلِمُ إِمَّا مُحْسِنٌ فِي إِسْلَامِهِ، وَإِمَّا مُسِيءٌ فِي إِسْلَامِهِ،
وَالْإِحْسَانُ كَذَلِكَ مَرَاتِبٌ وَدَرَجَاتٌ، كَمَا أَنَّ الْإِسَاءَةَ أَنْوَاعٌ وَدَرَكَاتٌ.

قَوْلُهُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِسْلَامٌ**»، جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا لِيَدْخُلَ فِيهِ جَمِيعُ الْأَقْوَالِ
وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي تَعْرِيفِ الْإِسْلَامِ (٢).

وَقَدْ رَغِبَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي حَسَنِ الْإِسْلَامِ وَبَيَّنَّ مَا فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ
فَقَالَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى
سَبْعِ مِائَةٍ ضَعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ» (٣).

قَوْلُهُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**المرء**»، يَدْخُلُ فِيهِ الذَّكْرُ وَالْأُنْثَى.

قَوْلُهُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، فَمَنْ لَمْ يَتْرِكْ مَا لَا يَعْنِيهِ وَيُكْفَى عَنْهُ مِمَّا
يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ فَإِنَّهُ مُسِيءٌ فِي إِسْلَامِهِ.

وَإِذَا حَسَّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ،
فَقَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» فَهَذَا يَعْمُ التَّرِكَ لِمَا لَا يَعْنِي مَنْ
الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْبَطْشِ، وَالْمَشْيِ، وَالْفِكْرَ، وَسَائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ

(١) انظر إرشاد الأخيار إلى شرح جوامع الأخبار للشيخ: عبد الكريم الخضير (ص: ٣٢٦).

(٢) قال الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللهُ**: «الإسلام عند الإطلاق يدخل فيه الإيمان، والإحسان، وهو
شرائع الدين الظاهرة والباطنة» بهجة قلوب الأبرار (ص: ١٥٢).

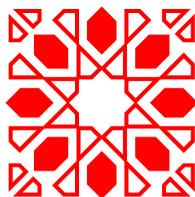
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٢٩)، واللفظ له.

والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع»^(١).

وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى ورغبة النفس، بل بحكم الشرع والإسلام، ولهذا جعله النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من حسن الإسلام^(٢).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممّا يعني الإنسان، كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: **﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٤]، فلو رأيت إنساناً يفعل منكراً، وأنكرت عليه فليس له الحق أن يقول: هذا لا يعينك، ولو قاله لم يقبل منه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني الأمة الإسلامية كلها.

ومن ذلك أيضاً: ما يتعلّق بشأن الأهل والأبناء والبنات فإنّ على الوالدين دلائلهم على الخير وأمرهم به وتحذيرهم من الشر ونهيهم عنه، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾** [التحريم: ٦]^(٣).



(١) مدارج السالكين (٢٣/٢).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٢٨٨).

(٣) انظر شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (ص: ١٥٨).

السُّؤال السابع والثمانون: ما أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ؟

الجواب: سبحانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ.

أمرَ اللهُ عزَّوجلَّ عباده في كتابه بذكره فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] (١)، وبينَ سبحانه وتعالى أنه أعدَّ للذاكرين ثوابًا جزيلاً وأجرًا عظيمًا فقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وذكرَ اللهُ عزَّوجلَّ يشمل أمورًا عدة: فيدخل فيه تلاوة القرآن، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء وغيرها من الأذكار التي ثبتت في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله: (**أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ**): أحبُّ: اسم تفضيل، أي: أن محبة الله للكلام متفاوتة، ومن أطيب الكلام وأحبه إلى الله الأقوال المتضمنة لتزيه الرحمن عن كل نقص، وإثبات صفات الكمال له.

وأحبُّ الكلام إليه بعد القرآن هذه الكلمات الأربع (٢)، والدليل حديث سمرة

(١) قال الشيخ السعدي **رحمة الله**: «يأمرُ تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير، وغير ذلك من كل قول فيه قرينة إلى الله، وأقلُّ ذلك، أن يلازم الإنسان أرداد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح». [تفسير السعدي ص: ٦٦٧].

(٢) وقد جاء عند أحمد في مسنده رقم: (٢٠٢٢٣): «أفضلُ الكلام بعد القرآن - وهو من القرآن - أربع»، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/٧٧).

ابن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»^(١).

وهذه الكلمات من القرآن، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ وَهِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

قوله: (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ)، الْمَحَبَّةُ صِفَةٌ فَعَلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ:

١- أشخاصًا، والدليل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يومَ خيبر في حقِّ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»^(٣).

٢- أعمالًا، كما قال عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أحبه...»^(٤).

٣- بقاعًا، كما ثبت في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا»^(٥).

٤- صفاتٍ، والدليل حديثُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٠١٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٠٠٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٠٦)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٥٠٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٧١).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٩١).

قوله: **(سبحان الله)**، أصل التَّسْبِيحِ لله في لغة العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك^(١)، والمعنى الجامع للتسبيح عند العرب بَعْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن أن يكون له مثيل أو شريك أو ضد أو نِدٌّ^(٢).

فالتسبيح تنزيه الله عن كل عيب ونقص و آفة.

ومن أسماء الله الحسنَى **(السُّبُوح)**: كما صحَّ في الذِّكْر الذي كان يقوله رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في صلاته «سُبُوحٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٣)، يعني: المنزَّه عن النقائص والعيوب في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومنزه عن كل ما ينافي كماله.

قوله: **(الحمد لله)**، أي: وصف المحمودِ بالكمال المطلق مع المحبة والتعظيم، وفيها إثبات أنه **جَلَّ وَعَلَا** يستحقُّ الحمدَ كلَّهُ.

واللامُّ في قوله: **(الله)** للاستحقاق، وهي أفضلُ الدُّعاء، والدليل ما ثبت من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** عن النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أفضلُ الذِّكْرِ لا إله إلا الله، وأفضلُ الدُّعاءِ الحمدُ لله»^(٤).

قوله: **(لا إله إلا الله)** معناها لا معبودَ حقَّ إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْدَانٌ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبْدَانٌ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وهي أفضلُ الذِّكْرِ كما تقدَّم في حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** قريباً، وهي متضمنةٌ لنفي وإثبات، ف(لا إله) نفي لجميع المعبودات والآلهة الباطلة، و(إلا الله) إثباتُ العبوديةِ الحقَّة لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وحده لا شريك له.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٥٠٣).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤ / ١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٣٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٢٦).

قوله: (الله أكبر)، أي: أنه جَلَّ وَعَلَا أكبرُ من كلِّ شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو خالق كل شيء، فما من مخلوق إلا والله أكبر منه وأعظم منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «في قوله: (الله أكبر) إثباتُ عظمته، فإنَّ الكبرياءَ تتضمنُ العظمةَ، ولكنَّ الكبرياءَ أكملُ، ولهذا جاءتِ الألفاظُ المشروعةُ في الصَّلَاةِ والأذانِ بقول: (الله أكبر) فإنَّ ذلك أكملُ من قول: اللهُ أعظمُ»^(١).

وقد ثبت في سنة النبي ﷺ لهذه الكلمات الأربع فضائل، منها^(٢):

الأولى: أن الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنَّ لعباده، ورَتَّبَ لقاتلها أجورًا عظيمةً، وثوابًا جزيلاً، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله اصْطَفَى مِنْ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عَشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»^(٣).

الثانية: أنها أحبُّ إلى الرسول ﷺ من الدنيا وما فيها، والدليل قوله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣).

(٢) وقد جمع بعض أهل العلم هذه الفضائل الواردة في الأحاديث منهم: الحافظ العلائي في رسالته (جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها)، والشيخ: عبدالرزاق العبَّاد في (فقه الأدعية والأذكار).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٨٠١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٥٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٦٩٥).

الثالثة: أنها سببٌ لتكفير الذُّنوب، كما ثبت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بشجرةٍ يابسةٍ الورقِ فضرَبها بعصاه فتناثر الورقُ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقِطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»^(١).

الرابعة: تُغرس شجرةٌ في الجنة لكل مَنْ ذَكَرَ اللهَ بها، كما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ به وهو يغرِسُ غرسًا، فقال: «يا أبا هريرة، ما الذي تَغْرِسُ؟» قلتُ: غراسًا لي، قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟» قال: بلى يا رسولَ الله، قال: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرِسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

الخامسة: أنَّ التَّسْبِيحَ يَعْدِلُ إِعْتِاقَ مِائَةِ رَقِيَّةٍ، وَالتَّحْمِيدَ يَعْدِلُ الصَّدَقَةَ بِمِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرَ يَعْدِلُ الصَّدَقَةَ بِمِائَةِ نَاقَةٍ مَقْلَدَةً مُتَقَبَّلَةً، وَالتَّهْلِيلَ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالدَّلِيلُ مَا ثَبَتَ عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي قَدْ كَبَّرْتُ وَضَعَفْتُ، أَوْ كَمَا قَالَتْ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ: سَبِّحِي اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ رَقِيَّةٍ، تُعْتَقِنَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ فَرَسٍ مُسَرَّجَةٍ مُلَجَمَةٍ، تَحْمَلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبَّرِي اللَّهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ مَقْلَدَةً مُتَقَبَّلَةً، وَهَلَّلِي اللَّهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، قَالَ ابْنُ خَلْفٍ: أَحْسَبُهُ قَالَ: تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمئِذٍ لِأَحَدٍ مِثْلُ عَمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أُتِيَ بِهِ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٥٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٦٠١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٨٠٧)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٤٩).

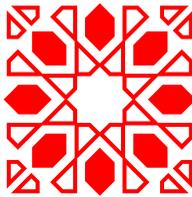
(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٦٩١١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٣١٦).

فهذه بعض الفضائل الواردة في السنة النبوية لهذه الكلمات الأربع، ومن يتأمل هذه الفضائل المتقدمة يجد أنها عظيمة جداً، ودالة على عظيم قدر هؤلاء الكلمات، ورفعة شأنهن وكثرة فوائدهن وعوائدهن على العبد المؤمن، ولعل السر في هذا الفضل العظيم - والله أعلم - أن أسماء الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** كلها مندرجة في هذه الكلمات الأربع، (فسبحان الله) يندرج تحتها أسماء التنزيه كالقدوس وهو المنزّه عن العيوب والنقائص، والسّلام وهو السّالم من كلّ عيب، ونقص، وآفة، والمنزّه عن النقائص جميعاً، فلا نقص فيه بحال من الأحوال.

و(الحمد لله) مشتملة على إثبات أنواع الكمال لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في أسمائه وصفاته، فيدخل تحتها كل اسم إثبات كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير.

و(الله أكبر) فيها تكبير الله وتعظيمه، وأنه لا يحصي أحد الشناء عليه، فيدخل فيه كل اسم تضمن ذلك كالعليّ، والأعلى، والمتعالي.

ومن كان كذلك ف(لا إله إلا هو)، أي: لا معبود بحق إلا هو فيدخل فيه من أسمائه ما تضمن ذلك كالواحد، والأحد، وذو الجلال والإكرام^(١).



(١) انظر تفسير الباقيات الصالحات للعلائي (ص: ٤٠)، وفقه الأذعية للعبّاد (ص: ١٣٣).

السُّؤَالُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ: مَا كُنْزُ الْجَنَّةِ؟

الجواب: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

الكنزُ: هو المال النفيس المحفوظ، والجنة فيها كنوز كثيرة، ومن كنوزها الحوقلة، وهي قول: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَقَّبَ النَّبِيُّ ﷺ هذه الكلمة العظيمة بكنز الجنة؛ لاشتمالها على معانٍ عظيمةٍ وأجورٍ كثيرةٍ.

فقوله: **(لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**، أي: لا قوة للعبد في قضاء مصالحه، ولا تحوُّل له من حالٍ إلى حالٍ إلا بعون الله وتوفيقه، فهي كلمة استعانة بالله وحده، والمسلم بحاجة إلى الاستعانة بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في جميع أموره، صغيرها وكبيرها، الدنية والدينية؛ لأنَّ العوائق كثيرة، والشبهات كثيرة، والأعداء كثر؛ كالنفس الأمَّارة بالسُّوء، والشيطان الذي يأمر بالسُّوء والفحشاء والقول على الله بغير علم، والهوى، وشياطين الإنس والجن الذين غايتهم الصدُّ عن الحقِّ، ولن يعصم المسلم من هولاء الأعداء إلا الاستعانة برب الأرض والسماء.

قال ابن رجب **رَحِمَهُ اللهُ**: «أما الاستعانة بالله **عَزَّ وَجَلَّ** دون غيره من الخلق، فلا أنَّ العبد عاجزٌ عن الاستقلالِ بجلبِ مصالحه، ودفعِ مضارِّه، ولا مُعين له على مصالح دينه ودُنياه إلا اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ**، فمن أعانه اللهُ، فهو المُعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيقٌ معنى قول: (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، فإنَّ المعنى لا تحوُّل للعبد من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنزٌ من كنوز الجنة، فالعبد محتاجٌ إلى الاستعانة بالله في فعلِ المأمورات،

وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل^(١).

ولكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) فضائل كثيرة، ومنها:

١- أنها كنز من كنوز الجنة.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، أو قال: على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

٢- أنها كلمة من تحت عرش الرحمن عز وجل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أعلمك، أو قال: ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم»^(٣).

٣- أنها من أحب الكلام إلى الله.

فعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده»^(٤).

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٢٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٤)، واللفظ له.

قال النووي رحمه الله: «ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم». [شرح صحيح مسلم ١٧/ ٢٦].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/ ٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٦١٤).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (٦٣٨)، وصححه إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: (٤٩٧).

٤ - أَنَّهَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ.

فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرَيْلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مَرُّ أُمَّتِكَ فَلْيَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (١).

٥ - أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ.

فَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْدُمُهُ، قَالَ: فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَلَيْتُ فَضْرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٢).

٦ - تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» (٣).

٧ - مَنْ حَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِهَا كَانَتْ سَبِيًّا لِنَجَاتِهِ مِنَ النَّارِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ بِرَبِّهِ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ:

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٣٥٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٥٨١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٦٩).

صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الْأَعْرُ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ»^(١).

قال ابن القيم **رحمته الله**: «الذكر سبب لتصديق الرب **عز وجل** عبده، فإنه خير عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدقه الله تعالى لم يُحشر مع الكاذبين، ورُجِي له أن يحشر مع الصادقين»^(٢).

ولمّا كان لكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) ما ذكرنا من الفضائل فقد وردت ضمن أذكار عدة في اليوم واللييلة، ومنها:

١- عند الإيواء للفراش للنوم، فهي سبب مغفرة الذنوب.

ودليله ما ثبت عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فَرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ أَوْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٣).

٢- مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ.

لحديث عبادة بن الصّامت **رضي الله عنه** عن النبي **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ تَعَارَّ (٤) مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٣٠)، وابن ماجه رقم: (٣٧٩٤) واللفظ له، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٣٩٠).

(٢) الوابل الصيب (ص: ١٩٠).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: (٥٥٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٦٠٧).

(٤) تعارّ من الليل أي: هبّ من نومه واستيقظ [النهاية لابن الأثير ١/ ١٩٠].

قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (١).

٣- في دعاء صلاة الليل.

كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «.. أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٢).

٤- في دعاء الخروج من المنزل.

والدليل حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيَتْ، فَتَنْحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟! » (٣).

٥- عند الحَيْعَلَتَيْنِ وهما قول المؤذن: (حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ).

والدليل قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٤).

٦- في الأذكار بعد الصلوات الخمس المفروضة.

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يَسْلَمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٦٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٩٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٣٨٥).

بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إِيَّاهُ، له النِّعْمَةُ وله الفضلُ، وله الثَّنَاءُ الحسنُ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»^(١).

فعلينا أن نكثر من ذكر الله تعالى والاستعانة به فهي وصية النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْثَرُوا مِنِّ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»^(٢).

فائدة: يُخْطِئُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي لَفْظِ الْحَوْقِلَةِ فَيَقُولُ: (لا حول)، وهذا ليس له الأجر الوارد في هذه الكلمة العظيمة، والأخطر من ذلك إذا قال: (لا حول لله)؛ لأنَّ هذه الكلمة فيها نفي الحَوْلِ عن الله تعالى.

فائدة أخرى: بعض النَّاسِ إِذَا حَصَلَتْ لَهُ مَصِيبَةٌ قَالَ: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والصواب: أَنَّ الْحَوْقِلَةَ تَقَالُ عِنْدَ اسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ لَا عِنْدَ الْمَصِيبَةِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الكلمة كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُهَا عِنْدَ الْمَصَائِبِ بِمَنْزِلَةِ اسْتِرْجَاعٍ، وَيَقُولُهَا جَزَعًا لَا صَبْرًا»^(٣).

والمشروع للمسلم عند المصيبة أن يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وهذا لا ينافي أن يُكثِرَ المسلم عند المصيبة من ذكر الله من تسييح وتحميد وتكبير وتهليل وحوقولة ليطمئن قلبه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٨٤٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٥٢٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٦٨٦).



السُّؤالُ التَّاسِعُ والثَّمَانُونَ: أَكْمَلِ الحَدِيثَ:
قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ».



الجوابُ: «ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ:
سَبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سَبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»^(١).



قوله **صلى الله عليه وسلم**: «كَلِمَتَانِ»، أي: جملتان، فالكلمة في اللغة العربية وفي الشرع غير الكلمة في اصطلاح النحويين، فهي تشمل الجملة والجمل، والكلمة القصيرة والطويلة، وتشمل الشعر والنثر^(٢).

وقوله: «كَلِمَتَانِ»، خبرٌ مقدّمٌ، وفائدة تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلّما طال الكلام في وصف الخبر حسنَ تقديمه؛ لأنّ كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقاً^(٣).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ»، أي يسهل النطق بهما؛ لقلّة حروفهما وسهولة ألفاظهما.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ»، أي في ميزان الحسنات، وإنّما ثقل وزنها لما اشتملتا عليه من المعاني العظيمة مع قلة حروفهما.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ» فالله تبارك وتعالى يحبُّ هذه الكلمات لما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٦٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٩٤).

(٢) انظر فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (١٥/٥٥٧).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٤٠).

فيها من تنزيهه عن النقائص، وإثبات الكمال له، وفي هذه الجملة إثبات صفة المحبة لله تعالى، فالله يحب أشخاصاً، ويحب أعمالاً، ويحب بقاعاً، ويحب صفات.

وقد خص اسم الرحمن بالذكر من الأسماء الحسنى للتبنيهِ على سعة رحمة الله **جَلَّ وَعَلَا** التي وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ومن رحمته **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أنه يُجازي على العمل اليسير بالثواب الكبير.

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**سُبْحَانَ اللهِ**» تنزيه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن كل ما لا يليق به من صفات النقص، والعيب، وهذا التنزيه ليس نفيًا بل هو متضمن لإثبات كمال ضده، ومن أمثلة هذه القاعدة أن الله نفى عن نفسه الموت والنوم والسنة: لكمال حياته وقبوميته، ونفى العجز: لكمال علمه وقدرته، ونفى الظلم لكمال عدله ورحمته، ونفى المثل والكفء لكمال المطلق في جميع صفاته (١).

وقوله: «**وبحمده**»، الواو في «**وبحمده**»، إما أن تكون حاليةً، فيكون المعنى أنزه الله تعالى حال كوني حامدًا له، وهذا المعنى هو ما تقدم أن تنزيه الله تعالى متضمن لإثبات صفات الكمال والمدح، أو تكون الواو عاطفةً فيكون المعنى أنزه الله وأحمده فيكون فيها إثبات المحامد لله وهو الكمال والجمال والعظمة والكبرياء.

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**سُبْحَانَ اللهِ**» كرر التسييح تأكيداً لتنزيه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن النقائص.

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**العظيم**» العظيم اسم من أسماء الله الحسنى، والله عظيم في ذاته، و صفاته، و فعله، و قوله، و أحكامه، و تشريعه، و عظيم في كل شيء.

(١) انظر منحة المولى شرح القواعد المثلى للشيخ: سالم الطويل (ص: ١٧٥).

وفي الحديثِ الجمع بين الرجاء و الحبِّ والخوف ، فقلوه: «الرَّحْمَنُ» فيه بيانُ سَعَةِ رحمته **جَلَّ وَعَلَا**، و«**سُبْحَانَ اللَّهِ**» تنزيهه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن النقائص، وإثبات الكمالات له، وهذا يُورث محبته في القلب، و«**العظيم**» راجع إلى الخوف من هيئته **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** (١).

وقد جمع النبي **عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بين الحمد والتعظيم ، إذ ليس كلُّ مُعْظَمٍ محبوبًا محمودًا، ولا كلُّ محبوبٍ محمودٍ مُعْظَمًا، و العبادةُ تُتَضَمَّنُ كَمَالَ الحُبِّ المُتَضَمِّنِ معنى الحمد، وتُتَضَمَّنُ كَمَالَ الذُّلِّ المُتَضَمِّنِ معنى التعظيم، ففي العبادة حُبُّه وحمده على المحاسن، وفيها الذُّلُّ الناشئ عن عظمته وكبريائه، وفيها إجلاله وإكرامه (٢).

والتسبيح والتحميد يتضمن التعظيم؛ ويتضمن إثبات ما يحمد عليه، وذلك يستلزم الإلهية فإن الإلهية تتضمن كونه محبوبًا؛ بل تتضمن أنه لا يستحق كمال الحب إلا هو، والحمد هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن يُحَبَّ لأجلها، فالإلهية تتضمن كمال الحمد، و سبحان الله تتضمن إثبات عظمته (٣).

ولذلك كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يكثرُ مِنَ الجمع بين تسبيح الله تعالى وحمده في ركوعه وسجوده، والدليل ما ذكرته أم المؤمنين عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** بقولها: «كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يكثرُ أن يقولَ في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن» (٤)، أي: يتأول قولَ الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ [النصر: ٣].

(١) انظر إرشاد الساري للقسطلاني (١٠ / ٤٨٤)، الكوكب الوهاج شرح مسلم (٢٥ / ٥٥).

(٢) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٥ / ٢٢٨).

(٣) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٥ / ٢٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨١٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٤٨٤).

ولما تقدّم من أهمية هذه الكلمة (سبحان الله وبحمده) وعظيم مدلولها جاءت فضائلُ عدة لمن يقولها، ومن ذلك:

١- أنّها أحبُّ الكلامِ إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

فعن أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قلتُ: يا رسولَ الله أخبرني بأحبِّ الكلامِ إلى الله، فقال: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» ^(١).

ومما يدلُّ على حبِّ الله تعالى لهذه الكلمة حديثُ الباب المتقدم «كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ».

٢- أنّها من أفضلِ الكلامِ، لذا اصطفاه الله لملائكته واختارها لعباده.

فعن أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أنّ رسولَ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحانَ الله وبحمده» ^(٢).

٣- مغفرةُ الذُّنُوبِ والخطايا.

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنّ رسولَ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ^(٣).

٤- أنّها أحبُّ إلى الله من إنفاقِ جبلِ ذهبٍ وفضةٍ في سبيله.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٤٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٩١)، واللفظ

للبخاري.

قوله: «زبدِ البحرِ»، أي: رغوّة مائه عند تموّجه واضطرابه. [مطالع الأنوار لابن قرقول ٣/٢٢٢].

فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ هَالَه اللَّيْلُ أَنْ يَكَابِدَهُ، وَبَخَلَ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفَقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يِقَاتِلَهُ، فَلْيَكْثِرْ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَبَلٍ مِنْ جَبَلٍ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يُنْفَقَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

٥ - عَلُوُّ مَكَانَةِ الذَّاكِرِ بِهَا وَرَفْعُهُ مَنْزِلَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» (٢).

٦ - تُغْرَسُ لِمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ.

فَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شَعِيبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (٣).

*** وَلِعِظَمِ فَضَائِلِ كَلِمَةِ (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) وَأَهْمِيَّتِهَا شُرِعَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَهَا ضَمِنَ أَذْكَارٍ عِدَّةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَمِنْهَا:**

١ - فِي أَذْكَارِ الرَّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

فَعَنْ السَّعْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: «رَمَقْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ، فَكَانَ يَتِمَكَّنُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ قَدْرَ مَا يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا» (٤).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ رَقْمَ: (٧٧٩٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ رَقْمَ: (١٥٤١).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمَ: (٢٦٩٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبِزَارِيُّ فِي مَسْنَدِهِ رَقْمَ: (٢٤٦٨). وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ رَقْمَ: (١٥٣٩).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ رَقْمَ: (٨٨٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ رَقْمَ: (٨٨٥).

٢- في قيام الليل.

فمن شريق الهوزني، قال: دخلتُ على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فسألتها: بِمَ كان رسولُ الله ﷺ يفتتح إذا هبَّ من الليل؟ فقالت: لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ قبلك، كان إذا هبَّ من الليل كَبَّرَ عشرًا، وحمدَ عشرًا، وقال: «سبحانَ الله وبحمده عشرًا» وقال: «سبحانَ المَلِكِ القدوسِ عشرًا» واستغفرَ عشرًا، وهللَ عشرًا، ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا، وَضَيْقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عشرًا» ثمَّ يفتتح الصلاة (١).

٣- في كفارة المجلس.

فمن نافع بن جبيرٍ عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلَسٍ ذَكَرَ كَانَتْ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلَسٍ لَعُوْ كَانَتْ كَفَارَتَهُ» (٢).

٤- عند الإيواء إلى الفراش.

فمن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ عِنْدَ مَنَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، عُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ» (٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٥٠٨٥).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم: (٤٢٤)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٨١).

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم: (٨١١)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٦٠٧).

فائدة: دَلُّ حَدِيثُ الْبَابِ «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» عَلَى فَوَائِدَ عَدَّةٍ غَيْرِ

مَا تَقْدَمُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١- أَنَّ الْغَفْلَةَ وَكَثْرَةَ الذُّنُوبِ تَحْرِمَانِ الْإِنْسَانَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَمَعَ خَفَّةِ هَذَا الذِّكْرِ عَلَى اللِّسَانِ وَسَهُولَتِهِ وَيُسْرِهِ، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَحْرُومٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِمَا.

٢- بَيَانُ تَفَاضُلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا فِي قَوْلِهِ: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ»، فَهَذَا الذِّكْرُ أَثْقَلُ مِنْ غَيْرِهِ فِي الْمِيزَانِ.

٣- إِبْثَاتُ الْمِيزَانِ، وَهَذَا فِي قَوْلِهِ: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ»، وَالْمِيزَانُ حَقِيقِيٌّ كَمَا ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، تُوزَنُ فِيهِ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ تَارَةً، وَتَارَةً يُوزَنُ الْأَشْخَاصُ، وَالذَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا، ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(١)، وَتَارَةً تُوزَنُ الْأَعْمَالُ، وَالْأَعْمَالُ تُشْمَلُ: الْأَقْوَالُ، وَالْأَفْعَالُ، فَتُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ، حَتَّى إِنَّهُ تُوزَنُ أَفْعَالُ الْقُلُوبِ، كَالْخُوفِ، وَالْإِحْلَاصِ، وَالْحَيَاءِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْحُبِّ، وَالْبَغْضِ.

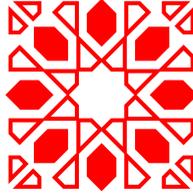
٤- إِبْثَاتُ ثَلَاثَةِ أَسْمَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى وَهِيَ: اللَّهُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالْعَظِيمُ.

٥- التَّرغِيبُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِنَشَاطِ الْمُسْلِمِ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فَلَيْسَتْ أَيَّامًا كَثِيرَةً بَلْ قَلِيلَةً، وَعَلَى هَذَا فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَخَاطِبُ النَّاسَ فِي مَوْعِظَةٍ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ سَهُولَةَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٤٧٢٩)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٢٧٨٥)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

العمل في الأمور التي يعتقد الإنسان أنها شاقة ترغيباً لهم في الطاعة^(١).

٦- فيه استعمالُ السَّجْعِ و أنَّه لا بأسَ به؛ لأنَّه يسهل حفظ الكلام، وينهى عنه إنَّ كان لإبطال الحقِّ أو فيه تكلُّفٌ.



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام لابن عثيمين (١٥/٥٥٩).

السُّؤَالُ التَّسْعُونَ: مَا سَيِّدُ الْاِسْتِغْفَارِ؟

الجواب: «سَيِّدُ الْاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ
عَلَيَّ، وَأَبِوءُ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

هذا الحديث معروفٌ عند أهل العلم بحديث سيِّد الاستغفار، وقد سمَّى
النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذكر سيِّداً لما اشتمل عليه من المعاني العظيمة^(٢).

والاستغفار من العبادات العظيمة التي جاء الأمر بها في الكتاب والسنة، قال
الله عز وجل: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنْدًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا
انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن وجد في
صحيفته استغفاراً كثيراً»^(٤).

وإن من أجمع صيغ الاستغفار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيِّد الاستغفار،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٠٦).

(٢) للمؤلف حفظه الله رسالة مطبوعة في شرح هذا الدعاء عنوانها (تذكير الأخيار بشرح دعاء
سيد الاستغفار).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٨١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٩٣٠).

فهو حديثٌ مُشتمِلٌ على ذكر جامع، وَعَدَّ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَائِلَهُ بِثَوَابٍ عَظِيمٍ، فحريٌّ بالمسلم أن يحرصَ على حفظِ هذا الحديثِ وفهمِ معناه.

قوله: **(اللَّهُمَّ)**، أي: يا الله، و(يا) حرف نداء، وقد حذف حرف النداء وَعُوِّضَ عنه بالميم في آخر لفظ الجلالة فصارت اللهم، فأنت تنادي الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وهذه الصيغة أبلغُ في النداء.

قال ابنُ القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «لا خلاف أن لفظة اللهم معناها: يا الله، ولهذا لا تُستعمل إلا في الطلب فلا يُقال: اللهم غفور رحيم، بل يُقال: اللهم اغفر لي وارحمني»^(١).

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي»**، جملة اشتملت على الإقرار بالربوبية لله **عَزَّ وَجَلَّ**.

ومعنى الربوبية: إفرادُ الله **عَزَّ وَجَلَّ** بأفعاله، أي: أن يؤمنَ العبدُ بأنَّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** هو وحده الخالقُ المالكُ المدبِّرُ، والربوبية اشتقاقٌ من اسم الله الرَّبِّ، والله **عَزَّ وَجَلَّ** اسمه الرَّبُّ، قال تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوا فِيهِ الرَّبَّ»^(٢)، وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «السواك مطهرةٌ للفم، مرضاةٌ للرب»^(٣).

فعندما تقول: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي»**، فهذا إيمانٌ منك وإقرارٌ أن الله هو خالقك ومالكك وهو المدبِّرُ لكل شيء، فهذه الكلمة فيها توسُّلٌ مِنَ العبدِ إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالإيمان بالربوبية.

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام [ص: ١٤٣].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٤٧٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٧)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٦٦).

قوله: «**لا إله إلا أنت**»، استثناءٌ بعد نفي، والاستثناءُ بعد النفي يدلُّ على الحصر: وهو قَصْرُ الحكم على المذكور ونفيُّه عمَّا عداه، والمعنى: قَصْرُ استحقاقِ العبادةِ على الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأنه الإلهُ الحقُّ المعبودُ بحقٍّ وحده لا شريك له.

فهذا إقرار بالألوهية: وهي إفرادُ الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبادة، فلما ذَكَرَ الربوبيةَ ذَكَرَ بعدها الألوهيةَ فجاء بكلمة التوحيد الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله)، فما أعظمها من كلمة يتوسَّلُ بها العبدُ إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** قبل أن يسأله المغفرةَ.

ومعنى: «**لا إله إلا أنت**»، لا معبودَ بحقٍّ إلا أنت، وهذا إقرارٌ بالتوحيد لله **عَزَّوَجَلَّ**.

قوله: «**خلقتني وأنا عبدك**»، فيه بيانُ كيفيةِ توسُّلِ العبدِ إلى ربِّه بربوبيته وعبوديته ليغفرَ له، كما لو أُنيتَ على إنسانٍ قبل أن تطلبَ منه حاجتك أو تسأله مسألتك، فإذا قلتَ لعبدٍ كريمٍ معروفٍ ومشهورٍ بالعتاءِ كلماتٍ لطيفةٍ قبل أن تسأله فحريٌّ أن يُعطيك، فكيف بالكريم الأكرم الذي بيده ملكوت كل شيء؟!!

قوله: «**وأنا على عهدك ووعدك**»، العهدُ الذي أخذه اللهُ علينا أن نعبده ولا نشركَ به شيئاً، كما قال تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾؟، قلنا: بلى، هذا العهدُ فَطَرَهُ اللهُ في نفوسنا، وأرسلَ رُسُلَهُ، وأنزلَ كتبه ليؤكِّدَ هذا العهدَ، وهو أنه **عَزَّوَجَلَّ** الرَّبُّ الخالقُ المالكُ المدبِّرُ، والإلهُ الحقُّ المستحقُّ للعبادة، فالمسلم هنا في هذا المقام يجدد العهدَ مع الله تعالى.

قوله: «**ما استطعتُ**»، أي: على قدر استطاعتي، و من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** أنه لا يُكلِّفُ نفساً إلا على قدر استطاعتها، قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، فالعبد يقول: أنا على عهدك الذي عاهدتك إياه وأخذته عليَّ أن أعبدك وحدك لا شريك لك، وأنظِرَ وعدك يا ربِّ، فأنت لا تخلفُ الميعادَ.

قوله: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**»، معنى أعود: ألتجئ وأعتصم بك يا رب لتعيذني ممَّا استعدتُ بك منه، والاستعاذة عبادةٌ، وهي: طلب العوذ، فأنت تستعيذُ بالله من شرِّ أعمالك التي عملتها، ومن تقصيرك وأخطائك، فتقول: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**»، أي: أبرأ إليك من جميع الذنوب والخطايا التي اقترفتها، كما كان يقول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»^(١)، فتستعيذ بالله من ذنوبك، ومن أعمالك السيئة.

قوله: «**أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ**»، معنى أبوء: أترف وأقر، وهذا توسل بالإقرار بالنعم، فأنت تقول لله **عَزَّ وَجَلَّ**: نعمك عليّ عظيمةٌ وأنا مغمورٌ فيها، نعمك عليّ ظاهرةٌ وباطنةٌ، وفضلك عليّ عظيمٌ، وسترك عليّ جميلٌ، وعطاؤك كبيرٌ، وجاء لفظ النعمة مفرداً مضافاً، والقاعدة: أن المفرد إذا أضيف يفيد العموم^(٢)، ومن أمثلة هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أي: نعم الله، فكلمة (نعمة) جاءت مفردة مضافة فتشمل جميع النعم، ويدلُّ على هذا العموم قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْصُوهَا**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ذكر الله تعالى أن نعمه لا تُحصى، ثم بين حال أكثر الخلق وهو كفران النعم، وظلم أنفسهم بعدم شكرها، ومع ذلك فإنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قابلهم بالمغفرة والرَّحمة، ولو جازانا الله تعالى على أعمالنا ما دخل أحدُ الجنَّة، يقول النبي

(١) جزء من حديث خطبة الحاجة، أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١١٠٥)، وأصله في مسلم رقم: (٨٦٨).

(٢) ومن أمثله قوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: ٣٦]، فكلمة (عبده) مفرد مضاف، والمراد: كاف عباده [ينظر التعليق المختصر على نظم القواعد الفقهية للسعدي للمؤلف ص ٥٣].

صلى الله عليه وسلم: «لن يُدخَلَ أحدًا عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتعمدني الله بفضله ورحمة»^(١)، فدخلنا الجنة يكون برحمة من الله وفضل، ليس بأعمالنا، فالعمل ليس ثمنًا للجنة، وإنما جعل العمل لتفاضل الدرجات في الجنة، فنعمة الله علينا كثيرة: السمع، والبصر، والفؤاد، والستر، والصحة، والعافية، والمال، وأشياء كثيرة تعمل في جوف الإنسان في الليل والنهار ولا يشعر بها، فالعبد إذا أقر بنعمة الله كان هذا من أسباب دوام النعمة وزيادتها، قال تعالى: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالنعم تزيد بحمد الله وشكره، وبعضنا الآن لا يشكر الله إلا قليلًا، وكثير من الناس اليوم يتذمّر ولا يشكر الله، ويكفر نعمته على الرغم من رفاهية الحياة.

قوله: «**وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**»، أي: أعترف بذنبي وأقر به، وهذا توسل بالاعتراف بالذنب، فمن اعترف بذنبه كان اعترافه من أسباب مغفرة الله له.

وللعبد ذنوب يعلمها، وذنوب لا يعلمها، والنبى **صلى الله عليه وسلم** يعلمنا كيف نستغفر الله **عَزَّوَجَلَّ** بأن نقول: «اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني»^(٢).

والمطلوب من العبد أن يعترف بذنوبه جملة وتفصيلاً، ما علم منها وما لم يعلم، فيقول: «**وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي**»، هذه كلها مقدمات يتوسل بها العبد إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قوله: «**فَاغْفِرْ لِي**»، أي: تجاوز عني، واسترني، وارحمني، واعف عني؛ لأن كلمة المغفرة إذا أُفردت تشمل هذه المعاني كلها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨١٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** رقم: (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رقم: (٢٧١٩)، واللفظ له.

والاستغفار: معناه طلبُ المغفرة، وإثما قيل: الاستغفارُ طلبُ المغفرة؛ لأنَّ السين والتاء إذا دخلتا على الكلمة في لغة العرب دلّتا على الطلب غالباً.

والمغفرة: سترُ الذنب والتجاوز عن صاحبه، فإذا قلتَ: (أستغفرُ الله) فإنك قد سألتَ الله **عَزَّ وَجَلَّ** أَنْ يسترَ ذنبك، وَأَنْ يتجاوزَ عنك، وما منَّا من أحدٍ إلا وله ذنوبٌ، ذنوبٌ في السرِّ والعلن، بأسماعنا وبأبصارنا وبألسنتنا، كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار»^(١).

والذنبُ ليس كما يظن بعض الناس أنه مقتصرٌ على ارتكاب الكبائر الظاهرة؛ كالقتل والزنى والسَّرقة ونحوها، بل أنواعُ الذنوب وأصنافها كثيرةٌ جدًّا فلا بُدَّ أَنْ تعلم أن الذنبَ إمَّا تقصيرٌ في امتثال المأمور أو وقوعٌ في المحذور.

فإذا عصمك الله ولم تقع في الكبائر فإنك لا تستطيع أن تزكِّي نفسك وتزعم أنك امتثلت أوامر الله **عَزَّ وَجَلَّ** كلها، ولهذا لما طلب أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** من النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: عَلَّمَنِي دَعَاءً أَدْعُوهُ فِي صَلَاتِي، قال: «قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كبيرًا—وفي رواية: كثيرًا— ولا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»^(٢)، هذا أبو بكر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** المبشِّرُ بالجنة، أحبُّ الرجال إلى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأسبَقُهُم إلى الإسلام، فكلُّنا بحاجة إلى مغفرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وستره، فإذا مدحك الناسُ فلا تظنَّ أنهم يمدحون ذاتك، وإنما يمدحون سترَ الله الجميل الذي سترك به.

قوله: «فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ»، إذا أقرَّ العبدُ بأنَّ له ربًّا يغفرُ الذُّنوبَ فهذا توسُّلٌ إلى الله ليغفرَ له ذنبه، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فيما يرويه عن ربه أنَّه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٣٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٠٥)، واللفظ له.

قال: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وربما قال: أَذْنَبَ ذَنْبًا - فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وربما قال: أَصَبْتُ - فاغفر لي، فقال ربه: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ، أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ، فاغفره، فقال: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قال: قال: رَبِّ أَصَبْتُ، أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ آخَرَ، فاغفره لي، فقال: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فليعمل ما شاء»^(١).

وقوله **عَبْرًا**: «**فليعمل ما شاء**»، قال ابن القيم **رحمته الله**: «فليس في هذا إطلاق وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك؛ إذا أذنب تاب»^(٢).

هذا العلم والاعتقاد أن للعبد ربًّا يغفر الذنوب هو سبب نيل مغفرة الله **عبرًا**، فاعترافك بالذنب والإيمان بأن الله هو الذي يغفر الذنوب جميعًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، من أسباب مغفرة الله **عبرًا** لك.

قوله: «**فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، هذا أسلوب حصر، أي: أنت وحدك الذي تغفر الذنوب، فالمغفرة تطلب من الله تعالى لا من الرسول **صلى الله عليه وسلم**، ولا من غيره.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «**مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٥٠٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٥٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) الفوائد (ص: ٢٢).

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، أي: من قالها مخلصاً من قلبه، مصدقاً بثوابها العظيم استحقَّ دخول الجنة.

فينبغي على المسلم أن يتعلَّم سيّد الاستغفار، عملاً بوصية النبي المختار عليه الصلاة والسلام في قوله: «تعلّموا سيّد الاستغفار»^(١).

والخلاصة أن هذا الدعاء العظيم اشتمل على معانٍ، منها:

- الاعترافُ بالربوبية، وأنَّ الله تعالى هو الخالق المالك المدبّر.
- الإقرارُ لله وحده بالإلهية والعبودية.
- الإقرارُ بالعهد الذي أخذه اللهُ **عِزَّ جَلَّ** علينا.
- الاستعاذةُ من شرِّ ما جناه العبدُ على نفسه من الذُّنوب.
- إضافة النعمةِ إلى المنعمِ بها، والتوسُّلُ بالإقرارِ بها.
- الإقرارُ والاعترافُ بالذنب، وطلب المغفرة منه، وأنَّه لا يغفر الذنوب إلا اللهُ.



(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم: (١٠٢٢٨).

السُّؤال الواحدُ والتَّسعون: ما تقولُ قبلَ النَّومِ؟

الجوابُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَموتُ وَأَحيا.

نِعْمَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عبادِهِ كَثيرةٌ، فمنها نِعَمٌ عامَّةٌ، تَفْضِلُ اللهُ بها على الخلقِ جميعاً؛ مؤمِنِهِمْ وكافِرِهِمْ، ومنها نِعَمٌ خاصَّةٌ يَخْتَصُّ اللهُ بها من شاء من عبادِهِ المؤمنِينَ، ومن نِعَمِ اللهُ العامَّةِ وآياتِهِ العظيمةِ النَّومُ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَيْبِنَهُ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، وقال **عمرُ بنُ عبدِ الجَلِّ**: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبْحَانًا﴾ [النبا: ٩].

وقد كان من هدي النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يذكرَ اللهُ تعالى، ويشكرَهُ على نعمِهِ الكَثيرةِ، ويعلِّمُ أُمَّتَهُ ذلكَ اعترافاً بالله تعالى بفضله، وقياماً بعبوديته، ومن ذلك ما ورد عنه من أذكارٍ قبلَ النَّومِ؛ كما ثبت من حديثِ حُذيفةَ بنِ اليمانِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «كان النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا أَرَادَ أن ينامَ قال: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَموتُ وَأَحيا»^(١).

قوله: **(باسمِكَ)** الباءُ للاستعانة، والمعنى: أنا مُستعينٌ بك، طالبٌ بحفظك من كلِّ سوءٍ، ومكروهٍ، راجياً العافية والسلامة.

قوله: **(اللهم)**، أي: يا اللهُ، و(يا) حرفُ نداءٍ، وقد حُذِفَ وَعُوِضَ عنه بالميمِ في آخرِ كلمةِ اللهُ فصارتِ اللهم، فأنت تنادي اللهُ **عمرُ بنُ عبدِ الجَلِّ**.

قوله: **(أَموتُ)**، فيه دلالةٌ على أن النَّومَ يُسمَّى موتاً، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ أَلَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٢٤).

وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿ [الزمر: ٤٢] ، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سأل رجلُ رسولَ الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أينام أهل الجنة؟ قال: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَلَا يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ» (١).

فَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ جَعَلَ النَّوْمَ تَذْكَيرًا لِعِبَادِهِ بِحَالِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ، وَجَعَلَ الْيَقْظَةَ دَالَّةً عَلَى قُدْرَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

قوله: **(وأحيا)**، أي: حياتي بإرادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما أن موتي بإرادته وقدرته، فبذكري لاسمك أحيا ما حييتُ وعليه أموتُ، وفي هذا إشارة إلى أن المسلم لا غنى له عن ذكر ربِّه طرفة عينٍ عند نومِه وفي يقظته وفي جميع شؤونِه، فهو عند النَّوْمِ يختمُ أعماله بذكر الله، وعند الانتباه يكون أول أعماله ذكر الله، ثم هو في جميع أحيائه يحافظُ على ذكر الله، فعلى ذكره سبحانه يحيا (٢)، وعليه يموت، وعليه يُبعثُ يومَ القيامة (٣).

وقد اقتصرْتُ في المتنِ على ذكرٍ واحدٍ من أذكارِ النَّوْمِ ليسهل حفظه، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذكارٌ كثيرة قبل النَّوْمِ، ومنها:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسُحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ» (٤).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم: (٤٧٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٨٠٨).

(٢) فائدة: الحيُّ غير يُحيي، فالأول اسمٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والثاني صفةٌ فعليةٌ لله جَلَّ وَعَلَا، وليس من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المُحيي، لكن من صفاته أنه يُحيي.

(٣) فقه الأدمية والأذكار للشيخ: عبدالرزاق العبَّاد (ص: ٥١١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠١٧).

٢- عن فروة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويتُ إلى فراشي، قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشُّرْكِ» (١).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكَلَنِي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فَأَتَانِي آتٍ فجعل يحثو مِنِ الطَّعَامِ فأخذته، فقلتُ لأرفعنكَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر الحديث، فقال: إذا أويتُ إلى فراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسيِّ، لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتَّى تُصبحَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ» (٢).

٤- عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرأ بالآيتينِ مِنْ آخِرِ سورةِ البقرةِ في ليلةِ كفتاه» (٣)، لم يُعيِّنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنى كفتاه، وهذا ممَّا يدلُّ على أنهما تكفيان من أشياء كثيرة كالفرع من النوم، والشياطين (٤).

٥- عن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شكَّتْ ما تلقى مِنْ أثرِ الرَّحَا، فَأَتَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيَّ، فانطلقتُ فلم تجده، فوجدتُ عائشةَ فأخبرتُها، فلما جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته عائشةُ بمجيءِ فاطمةَ، فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ لأقومَ، فقال: «على مكانكما»، فقعدَ بيننا حتَّى وجدتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ على صدري، وقال: «ألا أعلمُكمَا خيراً ممَّا سألتُماني، إذا أخذتُمَا مضاجعكما تُكبرِا أربعاً وثلاثين، وتُسبِّحانِ ثلاثاً وثلاثين، وتحمدانِ ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لَكُمَا من خادمٍ» (٥).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١١٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٠٠٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٠٨)، واللفظ للبخاري.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحيح: أن معناه كفتاه من شرِّ ما يؤذيه، وقيل: كفتاه من قيام

الليل، وليس بشيء». [الوابل الصيب ص: ٢٤٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٧٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧٢٧)، واللفظ للبخاري.

٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أُوِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى فَرَاشِهِ فَلْيَتَنَفَّضْ فَرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرَّنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجِعَكَ»^(٢).

٨- عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَيَّ شِقَّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِتَّ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» فَقُلْتُ أَسْتَذْكُرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(٣).

٩- عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقَدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»^(٤)، ثَلَاثَ مَرَارٍ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٧٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣١١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٠)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٦٥٦).

١٠- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه أمر رجلاً، إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم خلقت نفسي، وأنت توفّأها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية» فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١).

١١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوى إلى فراشه، قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممّن لا كافي له ولا مؤوي» ^(٢).

١٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأمرنا، إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربّنا وربّ كلّ شيء، فالق الحَبّ والنوى، ومُنزِل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرّ كلّ شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» ^(٣).

١٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غفر الله ذنوبه أو خطاياها وإن كان مثل زبد البحر» ^(٤).

١٤- عن أبي الأزهر الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أخذ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٣).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: (٥٥٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٦٠٧).

مضجعه من الليل قال: «باسم الله وضعتُ جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندي الأعلى»^(١).

١٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال إذا أوى إلى فراشه: الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، الحمد لله الذي منّ عليّ فأفضل، اللهم إني أسألك بعزّتك أن تنجيني من النَّارِ، فقد حمّد الله بجميع محامد الخلق كلهم»^(٢).

١٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني وسقاني، والذي منّ عليّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كلِّ حالٍ، اللهم ربّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وإله كلِّ شيءٍ، أعوذُ بك من النَّارِ»^(٣).

١٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزُّمر»^(٤).

١٨- عن جابر رضي الله عنه: «أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الْمَ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١٢]، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]»^(٥).

هذا ما تيسر جمعه من الأذكار التي يُستحبُّ للمسلم أن يقرأ ما تيسر منها في كلِّ ليلة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٦٤٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٦٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٥٨)، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم:

(٥٠٥٨).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٩٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٨٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٨٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٨٧٣).

السُّؤَالُ الثَّانِي وَالتَّسْعُونَ: مَا تَقُولُ بَعْدَ الاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ؟

الجواب: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أمتنا وإليه النُّشُورُ.

يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَفِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا ^(١).

وَمِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ فِيهَا بَعْدَ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ، وَالِدَلِيلُ مَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا قَامَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» ^(٢).

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ أَنَّهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يَبْدَأُ يَوْمَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كَمَا كَانَ يَخْتَمُ يَوْمَهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

قَوْلُهُ: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ)**، **الْحَمْدُ**: هُوَ وَصْفُ الْمُحْمَدِ بِالْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ مَعَ الْمُحِبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.

(١) وَسِيَّاتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي شَرْحِ الْمُؤَلَّفِ لِلسُّؤَالِ السَّادِسِ وَالتَّسْعِينَ بَيَانِ فَضْلِ الْحَمْدِ وَالْمَوَاطِنِ الَّتِي تَشْرَعُ فِيهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٣٢٤).

* جَاءَ لَفْظُ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا» بِالْأَفْرَادِ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ خَاصًّا بِالْعَبْدِ، وَجَاءَ لَفْظُ: «الَّذِي أَحْيَانَا» بِالْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ كُلَّ مُسْتَيْقِظٍ مِنْ نَوْمِهِ. [انظر الإفصاح لابن هبيرة ٢/٢٢٦].

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** محمودٌ على كلِّ حال، وحمده **جَلَّ وَعَلَا** يكون على إنعامه، وعلى ما له من الأسماءِ الحسنَى وصفات الكمال؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ١١١].

والألْفُ واللامُ في قوله: **(الحمد)** للاستغراقِ ^(١)، واللامُ في قوله: **(الله)** للاستحقاقِ، والمعنى: أن كلَّ حمدٍ مُستحقُّ الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فهذه الكلمةُ العظيمةُ دلَّت على صفاتِ الكمالِ والجمالِ والجلالِ والعظمةِ والكبرياءِ لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقد ثبت أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمر من استيقظ من نومه أن يحمده الله **عَزَّ وَجَلَّ** كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « فإذا استيقظ فليقل: الحمدُ لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأذن لي بذكره » ^(٢).

فيحمدُ المسلمُ ربَّه على العافية في جسده وسلامته من الأمراض، وعلى ردِّ روحه، وتوفيق الله تعالى له إلى الذكر.

قوله: **(الذي أحيانا)**، وذلك أن النومَ وفاةٌ كما قال الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وثبت عن أبي جحيفة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: كان رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سفره الذي ناموا فيه حتى طلعت الشمسُ، فقال: « إنكم كنتم أمواتًا فردَّ اللهُ إليكم أرواحكم، فمن نام عن صلاةٍ فليصلها إذا استيقظَ، ومن نسي صلاةً فليصلَّ إذا ذكَّرَ » ^(٣).

(١) الألف واللام المعرفة تكون للاستغراق الجنس نحو: ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ** ﴾ [العصر: ٢]، وعلامتها أن يصلح موضعها (كل) مع استقامة المعنى. [انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ١٧٨].

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧١٦).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: (٨٩٥)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١/ ١٤٠):

بعض النَّاسِ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَالِهِ، قَالَ: لَا جَدِيدَ، وَهَذَا الْكَلَامُ خَطَأٌ، فَكُونَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** قَدْ أَحْيَاكَ بَعْدَ مَمَاتِكَ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تَسْتَوْجِبُ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَشُكْرَهُ؛ لِأَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ أَطَالَ اللَّهُ فِي عَمْرِهِ وَوَفَّقَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ وَالْإِكْتِثَارَ مِنْ ذِكْرِهِ، فَقَدْ جَاءَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ»^(١).

بَلْ إِنْ طَوَّلَ الْعَمْرُ مَعَ حَسَنِ الْعَمَلِ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَدُخُولِ جَنَّةٍ عَرْضُهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَالِدَّلِيلُ مَا وَرَدَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ - قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرَ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتَشْهَدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخَرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتَشْهَدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: ارْجِعْ، فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَعَجِبُوا لِلذَّكَاءِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبَعْدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٢٩٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم:

قوله: **(بعد ما أمتانا)**، فالنوم وفاة كما تقدم، وكما ثبت في حديث أبي قتادة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، حين ناموا عن الصلاة، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»^(١).

فقد دلَّ هذا الحديث على أن النوم قبض للروح، ولكن قبض الروح في النوم لا يشترط لها مفارقتها للبدن بالكلية كما يحدث عند الموت، بل قد تُقبض ويبقى لها به منه نوع اتصال، كالنائم^(٢).

قوله: **(وإليه النشور)**، فيه تذكيرٌ بأمرٍ عظيمٍ جليلٍ يجب على المسلم ألا يغفل عنه، وهو الرجوع إلى الله تعالى، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، فالله الذي أحياك من وفاة النوم لا بد أن يبعثك بعد وفاة الموت، ويعيدك إليه للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأعام: ٦٢].

فائدة: ورد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أذكار أخرى عند القيام من النوم يشرع للمسلم أن يعتني بها حفظاً وفهماً، وهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: تشرع لمن يريد النوم بعد الاستيقاظ، فهذا يستحب له أن يذكر الله تعالى إلى أن يغلبه النوم، كما في حديث عبادة بن الصَّامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «مَنْ تَعَارَّ^(٣) مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٤٧١).

(٢) انظر فتح الباري لابن رجب (١٠٥/٥).

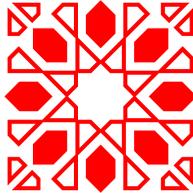
(٣) تعارَّ من الليل أي: هبَّ من نومه واستيقظ [النهاية لابن الأثير ١/ ١٩٠].

له، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قَبْلَتْ صَلَاتُهُ»^(١).

الثاني: من لا يريد النوم بعد استيقاظه منه.

فيشرح له أن يقول ما ثبت في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بَتُّ عِنْدِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقُلْتُ: لِأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطُرِحْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَادَةً، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُولِهَا، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَاتِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ، حَتَّى خَتَمَ»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذَّنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(٣).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٦)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧١٦).



السُّؤَالُ الثَّلَاثُ وَالتَّسْعُونَ: مَا تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ؟



الجواب: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



شَرَعَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لِلْمُؤْمِنِينَ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَهَذِهِ التَّحِيَّةُ تَخْصُ الْمُسْلِمِينَ وَتَمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَهَا مَعْنَى عَظِيمٌ لَا يُوْجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ التَّحِيَّاتِ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وَأَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ هُوَ آدَمُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كَمَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلَئِكَ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ^(١).

وَالْمُسْلِمُ إِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَدْ أَتَى بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا:

أَوَّلًا: أَنَّهُ ذَكَرَ اللَّهَ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وَتَعَبَّدَهُ بِذِكْرِ اسْمِهِ السَّلَامِ ^(٢).

ثَانِيًا: أَنَّ الْمُسْلِمَ دَعَا لِأَخِيهِ بِالسَّلَامَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَاتِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٢٢٧) وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٢٨٤١)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٢) اسْمُ اللَّهِ السَّلَامُ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ فِي الْعِبَادَاتِ وَمِنْهَا: السَّلَامُ، وَالتَّشَهُدُ فِي الصَّلَاةِ، وَالسَّلَامُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالْأَذْكَارُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِهَا.

أما الدعاء بالسلامة، فأنت عندما تسلم على أخيك فهذا دعاء الله أن يسلمه من الشرور كلها مطلقاً، ومن المناسب أن تدعو الله **سُبْحَانَ تَعَالَى** باسم يناسب مسألتك فإذا سألت الله الرحمة والمغفرة فإنك تقول: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وعندما تدعو لأخيك بالسلامة فتقول: السلام عليك فتذكر الله وتدعوه وتتوسل إليه باسم السلام أن يسلم أخاك.

و أما الدعاء بالرحمة، فالعبد لا غنى له عن رحمة الله طرفة عين، فما من مخلوق إلا وهو في حاجة ماسة إلى رحمة الله تعالى، ولذلك سمى الله نفسه الرحمن، أي: الذي وسعت رحمته كل شيء.

و أما الدعاء بالبركة، فالبركة هي الزيادة، فتكون قد دعوت الله أن يزيد في عمر أخيك على طاعة الرحمن، وأن يزيد دينه وإيمانه، و صحته وعافيته، وماله، وأن يبارك له في أولاده و عمله، و دعوت له بالبركة مطلقاً؛ كما قال أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال لي رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»^(١).

الثالث: أنه أتى بعبادة من خير العبادات، فعن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أن رجلاً سأل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٢).

الرابع: أنه أتى بعملٍ يُوجِبُ دخول الجنة، والدليل قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا أيها الناس أفسوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٦٩٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢/٢٦٦):

حسن لغيره.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢) ومسلم في صحيحه رقم: (٣٩).

نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).

الخامس: نشرُ المحبة بين المسلمين؛ كما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

وأول مظاهر القطيعة والبغضاء بين الناس أن أحدهما لا يُسلم على الآخر، وأسوأ من ذلك من لا يردُّ السلام، والمسلم يحرمُ عليه أن يُقاطع أخاه المسلم؛ لحديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٣).

ومن المؤسف جداً أن من المسلمين من جعل هذه النصوص من الكتاب والسنة وراءه ظهرياً، ولم يجعل لها أي اعتبار!

وتعظمُ البلية إذا تأولها بهواه أو زين له الشيطان عمله فجعل نفسه بمنأى عن هذه النصوص، وكأنه غير معنيٍّ بها، أو ليس بمخالفٍ لها!

نعم إن من طبيعة البشر أن يختلفوا ويجري بينهم النزاع والمشاجرات لكن يحرم شرعاً أن يكون بين المسلمين قطيعة دائمة حتى الموت، والدليل حديث

أبي خراش السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «من هجر أخاه سنةً فهو كسفك دمه»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٠٧٧) ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٦٠)، واللفظ له.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٩١٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٩٢٨).

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ القطيعةَ الدائمةَ قد تبلغُ مبلغَ الكبائرِ.
فما أجملَ هذه التحية التي ينبغي أن نعرفَ فضلَ الله **جَلَّ وَعَلَا** علينا بها
لاشتمالها على المعاني العظيمة.

وقد يستهين كثيرٌ مِنَ الناسِ بالسلامِ فيظنُّ أنَّ السَّلَامَ تحيةٌ فحسب بل من
غفلةِ الناسِ أنَّهم يستبدلونه بتحياتٍ أخرى غير السلام جهلاً منهم بفضل الله
عَزَّ وَجَلَّ عليهم بهذه التحية المشروعة.

مسألة: في بيانِ حكمِ السَّلَامِ وردّه:

ردُّ السَّلَامِ فرضٌ بإجماع العلماء^(١)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّدْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
مِمَّا أَوْرَدُوا بِهَا إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وهو من حقوق المسلم على أخيه المسلم؛ كما ثبت عن أبي هريرة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقولُ: «حقُّ المسلمِ على المسلمِ
خمسٌ: ردُّ السَّلَامِ، وعبادةُ المريضِ، واتباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ
العاطسِ»^(٢).

وأما إلقاءُ السلامِ فهو سُنَّةٌ، وهو بابٌ عظيمٌ لتحصيلِ الحسناتِ، فإنَّ كُلَّ
جملةٍ من السلامِ فيها عشرُ حسناتٍ، وهو ثلاثُ جُمَلٍ، فَمَنْ جاء به كاملاً فله
ثلاثون حسنةً، والدليل ما ثبت عن عمران بن حصين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال: جاء رجلٌ
إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: السَّلَامُ عليكم، فردَّ عليه السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فقال النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عشرٌ»، ثم جاء آخرٌ، فقال: السَّلَامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه، فجلس،

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢٩٢/٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٤٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٦٢)، واللفظ
للبخاري.

فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر، فقال: السَّلَامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال: «ثلاثون»^(١).

فالإِنسان إذا سلَّم على أخيه فقال: السَّلَامُ عليكم ، أو السَّلَامُ عليك إذا كان واحداً فإنه يكتبُ له بذلك عشرُ حسناتٍ، فإذا سلَّم على عشرة أشخاصٍ كُتِبَتْ له بذلك مائةُ حسنةٍ.

وقد كان الصحابي الجليل عبدُ الله بنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يذهب إلى السُّوقِ ليسلم على مَنْ فيه ليحصل الأجر والحسناتِ، فعن الطفيل بن أبي كعبٍ أَنَّهُ كان يأتي عبدَ الله بنَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فيغدو معه إلى السُّوقِ، قال: فإذا غدونا إلى السُّوقِ لم يمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ على سَقَّاطٍ، ولا صاحبِ بيعَةٍ، ولا مسكينٍ، ولا أحدٍ إلا يُسلِّمُ عليه، قال الطفيلُ: فجئتُ عبدَ الله بنَ عمرَ يوماً فاستبعني إلى السوقِ، فقلتُ: ما تصنعُ بالسُّوقِ؟ وأنت لا تقفُ على البيعِ، ولا تسألُ عن السِّلَعِ، ولا تسومُ بها، ولا تجلسُ في مجالسِ السُّوقِ، فاجلس بنا هنا نتحدثُ، فقال لي عبدُ الله: «يا أبا بطن! - وكان الطفيلُ ذا بطنٍ - إنما نغدو من أجلِ السلامِ على مَنْ لِقِينَا»^(٢).

وفي هذا دليلٌ على أنه لا ينبغي للإنسان أن يملَّ من كثرةِ السَّلَامِ، وفيه أيضاً دليلٌ على حرصِ السلفِ الصالحِ على كسبِ الحسناتِ وأنهم لا يفرطون فيها بخلافِ وقتنا الحاضر تجد الإنسان يفرط في حسنات كثيرة^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥١٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٢٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (١٠٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم: (٧٧٤).

(٣) انظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/٣٩٦).

وقد جاء ذمُّ مَنْ تَرَكَ السَّلَامَ؛ فِي قَوْلِهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ»^(١).

والمعنى: مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ ابْتِدَاءً أَوْ رَدًّا فَهُوَ أَبْخَلُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ لَفْظٌ قَلِيلٌ لَا كَلْفَةَ فِيهِ وَأَجْرُهُ عَظِيمٌ جَزِيلٌ^(٢).

فائدة: يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ إِذَا كَانَ فِي مَجْلِسٍ ثُمَّ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ أَنْ يَسَلِّمَ، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيَسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيَسَلِّمْ فَلْيَسَلِّمِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٣).

فائدة أخرى: إِذَا سَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَلَى أَخِيهِ ثُمَّ افْتَرَقَا فَيَسْنُ لَهُ تَكَرُّرُ السَّلَامِ وَلَوْ كَانَتِ الْمُدَّةُ قَصِيرَةً، وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، وَرَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَارْجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَعَلَيْكَ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»^(٤)، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتَ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهِ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا»^(٥).

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَفْشِيَ السَّلَامَ، وَأَنْ يَحْرَصَ عَلَى تَعْلِيمِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ هَذِهِ السُّنَّةَ الْعَظِيمَةَ فَلَهُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ عِنْدَ اللهِ كَلِمَا عَمَلُوا بِهَا.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ رَقْمًا: (٣٣٩٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ رَقْمًا: (٧٩٩).

(٢) انظر فيض القدير للمناوي (٤٠٥/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ رَقْمًا: (٥٢٠٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمًا: (٤٠٠).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٦٦٦٧)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٣٩٧)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ رَقْمًا: (٥٢٠٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمًا: (٧٨٩).



السؤال الرابع والتسعون: بأيّ اليدين يأكل ويشرب المسلم؟



الجواب: باليد اليمنى.



أكمل الله لعباده الدين، وبين لهم ما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: تركنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما طائرٌ يُقَلَّبُ جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكرنا منه علماً، قال: فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما بقي شيءٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»^(١).

وجاء في حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال له الرجل: قد علمكم نبيكم كل شيءٍ حتى الخِراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائطٍ، أو بولٍ، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجارٍ، أو أن نستنجي برجيعٍ أو بعظمٍ^(٢).

ومن الأمور التي بيّنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووضحها آداب الأكل والشرب.

قوله: (باليد اليمنى).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٦٤٧)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٨٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٦٢).

أمر النبي ﷺ بالأكل باليمين كما ثبت عن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنتُ غلامًا في حَجْرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يدي تَطِيئُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «يا غلامُ، سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فما زالت تلك طِعْمتي بعدُ^(١).

وقد أمر النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عمرَ بنَ أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مع أَنَّهُ كان صبيًّا - بأمرٍ منها أَنْ يَأْكُلَ بيمينه، فالأمر للمكلفين من باب أولي؛ لأنَّهم هم المخاطبون بالأوامر الشرعيَّة.

ويستفاد من الحديث أيضًا: تعليمُ الصَّغار، والإنكارُ عليهم إذا أتوا مُحْرَمًا.

وأما الأكل أو الشُّرب بالشمال فإنه محرَّمٌ لأمرٍ عدة:

الأول: أَنَّهُ مخالفٌ لأمرِ النبي ﷺ بالأكل باليمين.

الثاني: أَنَّهُ مخالفٌ لنهيِ النبي ﷺ.

الثالث: أَنَّ فيه تشبهًُا بالشیطان، فقد صحَّ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليَأْكُلْ بيمينه، وَإِذَا شَرِبَ فليَشْرَبْ بيمينه؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشماله، وَيَشْرَبُ بِشماله»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّه علَّلَ النهيَ عن الأكلِ والشُّربِ بالشُّمال: بأنَّ الشَّيْطَانَ يفعلُ ذلك؛ فعَلِمَ أَنَّ مخالفةَ الشَّيْطَانِ أمرٌ مقصودٌ مأمورٌ به»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٣٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠٢٢)، واللفظ للبخاري.

* فائدة: عمرُ بنُ أبي سلمة هوريبُ النبي ﷺ، والرَّيبُ: هو ابنُ امرأةِ الرَّجُلِ مِنْ غيرِهِ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٠٢٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٠٧).

وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بالأكل باليمين وينهى عن الأكل بالشمال، ومقتضى هذا تحريم الأكل بها، وهو الصحيح فإنَّ الأكل بها، إما شيطان، وإما مشبهٌ به^(١).

وبعض الناس يتكبر إذا قيل له: كُلْ بيمينك، فيقول: لماذا خلق الله هذه الشمال، أليس للاستعمال؟!

يُقال له: قد ورد هذا في حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كُلْ بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكِبَرُ، قال: فما رفعها إلى فيه^(٢).

فلو كان الأكل بالشمال جائزاً، لما دعا عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإن كان الكِبَرُ سبباً في ترك امتثال الأمر فذلك أبلغ في العصيان واستحقاق الدعاء عليه^(٣).

الرابع: أَنَّ فيه تشبُّهاً بالكُفَّار، والكفار مشهورون بذلك إذا أكل أحدُهم بالشُّوكة والسكين فلا بُدَّ أن يُمسك السكين باليمين، والشوكة بالشمال فصار من يفعل ذلك متشبهاً بالكفار، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تشبهَ بقومٍ فهو منهم»^(٤)، فالأكل بالشمال تشبُّهٌ بالكفار وفعلٌ منكراً جاءت الشريعة بالنهي عنه، فالواجب على المسلم التزام الآداب الشرعية، وطاعة الأوامر النبوية وعدم مخالفتها، وإذا أكل المسلم بالشمال لتعذُّر الأكل باليمين لجرح أصاب يده اليمين، أو مرضٍ فيها فلا إثم عليه، أما الأكل بها لغير عذر، كالخشية من تلويث

(١) زاد المعاد (٢/٤٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٠٢١).

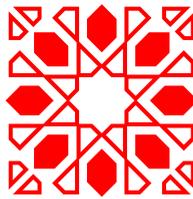
(٣) زاد المعاد (٢/٤٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٠٣١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٢٦٩).

الإناء، أو الاحتجاج بأنه معتادٌ على ذلك، ونحوها، فهذا لا يبيح له مخالفة الأحاديث النبوية.

فائدة: قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُعَجِّبُهُ التَّيْمُنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرْجِيلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(١).

وهذه قاعدةٌ مستمرةٌ في الشرع، فما كان من باب التَّكْرِيمِ والتَّشْرِيفِ كلبس الثوب، والخُفِّ، والسَّوَاكِ، وَتَرْجِيلِ الشَّعْرِ: وهو مشطه، والسَّلَامِ من الصلاة، وغسل أعضاء الطَّهَارَةِ، والخروج من الخلاء، والأكل والشُّرْبِ، والمصافحة، وغير ذلك مما هو في معناه، يستحبُّ التيامنُ فيه، وأمَّا ما كان بضده كدُخُولِ الخلاء، والاستنجاء، وخَلْعِ الثَّوْبِ، والخُفِّ، وما أشبه ذلك فيستحبُّ فيه التياسر، وذلك لكرامة اليمين وشرفها^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٦٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٦٨)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٣/١٦٠).



السُّؤَالُ الْخَامِسُ وَالتَّسْعُونَ: متى تقول: (باسم الله)؟



١- قبل الأكلِ والشُّربِ.

٢- قبل دخولِ الخلاءِ.

٣- قبل دخولِ المسجدِ.

٤- بعدَ الخروجِ مِنَ المسجدِ.

٥- قبلَ خَلْعِ الملابسِ.



قوله: **(باسم الله)** الباءُ في باسمِ الله للاستعانةِ، والاسم مشتقٌ مِنَ السُّمُوِّ وهو العلو والارتفاعُ، أو من السُّمَّةِ وهي العلامة.

ولفظ (اسم) مفردٌ مضافٌ إلى لفظِ الله فيَعْمُ الأسماءَ الحسنَى كُلَّهَا. والتسمية فيها متعلقٌ محذوفٌ، إمَّا أن يُقَدَّرَ اسمًا أو فعلًا، فإن قدرناه اسمًا تكون الجملةُ: باسمِ الله أكلي، وإن قُدِّرَ فعلًا فالمعنى باسمِ الله آكُلُ.

والتسمية مشروعةٌ للمسلم في مواطن متعددةٍ، ومنها:

الأول: قبل الأكلِ والشُّربِ.

فقد أمرَ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالتسمية قبل الأكل ؛ كما ثبت عن عمرَ بنِ أبي سلمة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قال: كنتُ غلامًا في حَجْرِ رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا غلامُ، سمِّ الله، وكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ ^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٣٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠٢٢)، واللفظ للبخاري.

وإذا نسي المسلم التسمية في أول طعامه فالمشروع أن يقول: باسم الله أوله وآخره، أو باسم الله في أوله وآخره لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكَرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ»^(١)، وجاء بلفظ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»^(٢).

والشربُ بمعنى الأكلِ، فكما أنك تسمي قبل الأكل فكذلك عليك أن تسمي قبل الشربِ.

وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْغُلُ عَنْ هَذِهِ السُّنَّةِ إِذَا شَرِبَ الْقَهْوَةَ أَوِ الشَّايَ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَشَارِكُ الْإِنْسَانَ طَعَامَهُ إِذَا لَمْ يَسْمُ، فَعَنْ حَدِيثَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا لَمْ نَضْعُ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَانَتْهَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»^(٣).

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والصحيح وجوب التسمية عند الأكل، وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد، وأحاديث الأمر بها صحيحة صريحة لا معارض لها، ولا

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٣٧٦٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٩٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه رقم: (١٨٥٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٩٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٠١٧).

إجماع يسوع مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها، وتاركها شريك الشيطان في طعامه وشرابه»^(١).

الموضع الثاني: قبل دخول الخلاء.

الخلاء: هو المكان المخصّص لقضاء الحاجة، وسُمّي بذلك؛ لأنّ الإنسان يخلو فيه بنفسه.

والشياطين تحبُّ الأماكن الخبيثة وتألّفها، وتريد الإضرار بالإنسان وأذيته، وقد بيّن لنا النبي **صلى الله عليه وسلم** ما يقينا من شرّ الشيطان في الخلاء، كما ثبت عن عليّ **رضي الله عنه**، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «ستر ما بين الجنّ وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: باسم الله»^(٢).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ستر ما بين الجنّ وعورات بني آدم»، فالجنّ يرون الإنس، والإنس لا يرونهم، والدليل قوله تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُ عَنْهُمَا لِإِسْمَالِ رَبِّيهِمَا سَوْءَ تِهْمَةً إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والشياطين يرون عورة الإنسان ما لم يذكر اسم الله كما تقدّم في الحديث، وقد يطعم الشيطان فيتلبس الإنسان إذا كشف عورته، ولم يذكر الله تعالى. وهنا ينبغي التنبيه على النساء، فبعضهنّ يأتينهنّ صرع بسبب جنّ دخلها؛ لأنه أعجب بها، فالوقاية والخلاص من هذا هو ذكر الله تعالى.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «إذا دخل الكنيف»، أي: إذا أراد دخول الكنيف، وموضع

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٢٩٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٥٠).

قضاء الحاجة، وسُمِّيَ بذلك لما فيه من التستر، إذ معنى الكنيف الساتر^(١).
 وثبت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ
 قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٢).
 قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»، الْخُبْثُ جمع خَبِيثٍ: وهم ذكران
 الشياطين، والخبائث جمع خبيثة: وهنَّ إناث الشياطين.
 فالتسمية سِتْرٌ من أعين الجنِّ، والاستعاذة لجوءٌ إلى الله وتحصنٌ به ليقى
 المسلم من شر الشياطين.

الموضعان الثالث والرابع: قبل دخول المسجد، وبعد الخروج من المسجد.
 وفي دُخُولِ المسجد والخروج منه سننٌ ينبغي للمسلم المحافظة عليها،
 منها: دعاءُ دخولِ المسجد والخروج منه، فعن فاطمة بنتِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 قالت: كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِاسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وافتحْ لي أبوابَ رحمتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «بِاسْمِ
 اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وافتحْ لي أبوابَ فضلك»^(٣).
فائدة: ورد في الدخول للمسجد أدعيةٌ، منها:

حديث عبدِ الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
 دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»^(٤).

(١) انظر فيض القدير للمناوي (١٢٧/٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٣٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٧٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٧٧١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (٧٧١).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٤٦٦).

وعن أبي حميد، أو عن أبي أسيد، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(١).

في قوله: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» عند الدخول، و«اللهم إنني أسألك من فضلك»، عند الخروج **حِكْمًا**، ومنها:

١- أن الداخل طالبٌ للآخرة، والرحمة أخصُّ مطلوبٍ له، والخارج طالبٌ للمعاش في الدنيا وهو المراد بالفضل، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

٢- أن مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِنَّهُ يَنْشَغُلُ بِمَا يَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ، وَنِيْلِ ثَوَابِهِ وَجَنَّتِهِ فَنَاسِبُ ذِكْرِ الرَّحْمَةِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ انْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ ابْتِغَاءً فَضْلَ اللَّهِ وَرِزْقَهُ الطَّيِّبِ وَالْحَلَالِ فَنَاسِبُ أَنْ يَذْكَرَ فَضْلَ اللَّهِ^(٢).

الموضع الخامس: قبل خلع الملابس.

يستحبُّ للمسلم قبل نزع لبائسه أن يقول: باسم الله، فهي سِتْرٌ للعبودية من نظر الجنِّ، والدليل حديثُ أنسِ بنِ مالك **رضي الله عنه** قال: قال رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم**: «سِتْرٌ ما بين عوراتِ بني آدمَ والجنِّ، إِذَا وَضَعَ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ أَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ اللَّهِ»^(٣).

ويستفادُ من هذا الحديثِ سُنِّيَّةُ قول: باسم الله قبل خلع الملابس عموماً، سواءً أكان لدخول الخلاء أو إرادة الغسل أو غيرهما^(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٧١٣).

(٢) انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١٣٦/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: (٧٠٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٦١٠).

(٤) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (١/٣٨٧).

فائدة: قد ثبتت التسمية ضمن أذكار عدة في السنة، ومنها:

١- عند دخول البيت.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دُخُولِهِ وعند طَعَامِهِ، قال الشيطان-أي: لأعوانه ورفقته-: (لا مبيتَ لكم، ولا عشاء)»^(١).

٢- عند الإيواءِ للفراشِ للنوم.

فعن أبي الأزهر الأماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «باسمِ اللهِ وضعتُ جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفكَّ رهاني، واجعلني في النديِّ الأعلى»^(٢).

٣- قبل الجماع.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله، فقال: باسمِ اللهِ، اللهم جنِّبنا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقتنا، فإنه إن يُقدِرَ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره شيطانٌ أبداً»^(٣).

٤- قبل الوضوء.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا صلاةَ لمن لا وضوءَ له، ولا وضوءَ لمن لم يذكر اسمَ اللهِ تعالى عليه»^(٤).

٥- في دعاء الخروج من البيت.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٠١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٦٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٣٩٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٤٣٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٠١)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٨١).

لحديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حَيْثُذِ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيَتْ، فَتَنْحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!» (١).

٦ - في أذكار الصباح والمساء.

فمن عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ، لَمْ تَصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، لَمْ تَصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يَمْسِيَ» (٢).

٧ - عند ركوب الدابة.

عن علي بن ربيعة، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَأَتَيْتُ بَدَايَةَ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف ١٣: ١٤]، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» - ثَلَاثَ مَرَاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» - ثَلَاثَ مَرَاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، ثُمَّ ضَحِكَ ضِحْكًا قَفِيلًا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ»، ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي» (٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٦٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٦٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٢٦٠٢).

٨- عند تعثر الدابة .

فعن أبي المَلِيح، عن رجل، قال كنتُ رديفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فعثرتُ دابةً، فقلتُ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ، فقال: «لَا تَقْلُ تَعَسَّ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قَلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقَوْتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قَلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(١).

٩- في الرقية الشرعية.

فعن عثمان بن أبي العاصِ الثقفيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مِنْذُ أُسْلِمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجْدُ وَأَحَاذِرُ»^(٢).

١٠- في إرسال الصيد.

عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبِكَ وَسَمِيَتْ، فَأَمْسِكْ وَقَتَلْ فَكُلْ، وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»^(٣).

١١- عند ذبح الذبيحة.

عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ضَحَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٩٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٤٨٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٢٩)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٥٦٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٩٦٦).

١٢ - عند تغطية الإناء.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سَقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْزِضَ عَلَيَّ إِذَا عُدَّ، وَيَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ تُضْرَمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ» (١).

١٣ - قبل ابتداء الغزو.

فَعَن سَلِيمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهٍ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدُوا» (٢).

١٤ - عند وضع الميت في قبره.

عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٣).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٨٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠١٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٧٣١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٣٢١٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (٧٤٧).

السُّؤال السادس والتسعون: متى تقول: الحمد لله؟

الجواب: ١- بعد الأكل والشرب.

٢- بعد العطاس.

٣- بعد كلِّ نعمة.

٤- على كلِّ حال.

الحمد لله كلمة عظيمة تشمل كل صفات الجمال والكمال والعظمة والكبرياء، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُحَمَدُ عَلَى نِعْمِهِ، وَيُحَمَدُ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ١١١].

(الحمد لله)، أي: وصف المحمود بالكمال المطلق مع المحبة والتعظيم.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُحِبُّ الحمد؛ كما ثبت عن الأسود بن سريع **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قلت: يا رسول الله إنني مدحت ربي **عَزَّ وَجَلَّ** بمحامد قال: «أما إن ربك يُحِبُّ الحمد»، ولم يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ ^(١).

ومما يدلُّ على أهمية الحمد أيضًا، وعظيم منزلته، وعلو مكانته:

١- أن الحمد أحبُّ شيءٍ إلى الله، والدليل حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**،

عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « ما مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ » ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (٨٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد

رقم: (٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: (٤٢٥٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٥٧٢).

٢- أن أفضل عباد الله الحمّادون، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ»^(١).

٣- أن الله افتتح به عددًا من سور القرآن ومنها سورة الفاتحة وهي أعظم سورة في القرآن^(٢).

٤- أن الحمد يملأ الميزان، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»^(٣).

٥- أنه سبب لنيل رضا الله، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحَمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمَدَهُ عَلَيْهَا»^(٤).

وقد جاء الحثُّ على الحمد في السنة في مواضع عدة، ومنها:

الموضع الأول: بعد الأكل والشرب.

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ - وَقَالَ مَرَّةً: إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ - قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ» وَقَالَ مَرَّةً: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى رَبَّنَا»^(٥).

وعن معاذ بن أنس، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (٢٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٥٨٤).

(٢) وقد افتتح الله بالحمد خمس سور من كتابه وهي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٢٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧٣٤).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ» الأكلة بفتح الهمزة وهي المرة

الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء. [شرح مسلم للنووي ١٧/٥١].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٥٤٥٩).

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

الموضع الثاني: بعد العُطاسِ.

عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكَمِ»^(٢).

الموضعان الثالث والرابع: بعد كُلِّ نِعْمَةٍ، وعلى كُلِّ حَالٍ.

فمن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: كان رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا رأى ما يُحِبُّ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ»، وإذا رأى ما يَكْرَهُ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٣).

فعلى المسلم أن يحمَدَ رَبَّهُ في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ لأنَّه يتقلَّبُ في نِعَمِ الله الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدينيوية، فحمد الله وشكره من أسباب دوام النعمة وزيادتها، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وشكر العبد ربَّه إحساناً منه إلى نفسه في الدنيا والآخرة، ومن تمام نعمته سبحانه، وعظيم برِّه وكرمه وجوده: محبته لعبده على هذا الشكر، ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، ومنفعة الشكر وفائدته مختصةً بالعبد، لا تعودُ على الله، وهذا غاية الكرم الذي لا كرمَ فوقه، فالله **عَزَّ وَجَلَّ** هو الذي خَلَقَكَ، وأوجدك من العدم، ثمَّ هداك إلى الإسلام، وأنعم عليك بنعم كثيرة ظاهرة وباطنية، ثمَّ أوزعك شُكْرَ هذه النعم، ورضي عنك، ثمَّ يُعيدُ إليك منفعةً

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٩٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٢٢٤)، وسيأتي في السؤال القادم إن شاء الله بيان بعض

أحكام العُطاسِ.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٨٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٧٢٧).

شُكْرِكُ، وَيَجْعَلُهُ سَبَبًا لِتَوَالِي نِعْمِهِ، وَزِيَادَتِهَا وَتَتَابِعِهَا^(١).

فائدة: وقد ثبت في السُّنَّةِ مشروعيةُ حمدِ اللهِ ضمنَ أذكارٍ عدة، ومنها:

١ - عند الإيواء للفراش للنوم.

فعن أنسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَانَ إِذَا أُوِيَ إِلَى فَرَائِشِهِ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَانَا، فَكَمْ مَمَّنَّ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي»^(٢).

٢ - إِذَا رَأَى الْإِنْسَانَ فِي نَوْمِهِ خَيْرًا.

عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلِيَحْمِدِ اللهُ عَلَيْهَا، وَلِيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^(٣).

٣ - عند الانتباه من نوم الليل.

فعن عبادة بن الصَّامت **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ^(٤) مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٥).

٤ - عند الاستيقاظ من النوم.

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٧١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٩٨٥).

(٤) تعارَّ من الليل أي: هبَّ من نومه واستيقظ [النهاية لابن الأثير ١/ ١٩٠].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١١٥٤).

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقِظَ فليَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(١).

٥ - عند لبس الثوب الجديد.

فعن معاذ بن أنسٍ عن أبيه، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

٦ - عند ركوب الدابة.

عن علي بن ربيعة، قال: شهدتُ عليًّا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَأَتَيْتُ بِدَابَّةٍ ليركبها، فلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، فلما استوى على ظهرها قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف ١٣: ١٤]، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» - ثلاث مراتٍ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ» - ثلاث مراتٍ - ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ»، ثُمَّ ضَحِكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»^(٣).

٧ - عند رؤية المُبتلى.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧١٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٩٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٦٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم:

عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَبْتَلًى فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنِي عَلَيْهِ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا»^(١).

٨ - عند الاستسقاء.

فمن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: شكا الناسُ إلى رسولِ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمَنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمَصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَكَبَّرَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَحَمِدَ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ**، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكُوتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتَعَارَ الْمَطَرُ عَنِ إِيَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَ كُمْ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**...» الحديث^(٢).

٩ - في خطبة الحاجة.

فقد كان النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ فِي خُطْبِهِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ»^(٣).

١٠ - في الصلاة للعاجز عن قراءة الفاتحة.

فمن عبد الله بن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلَّمَنِي مَا يَجْزئُنِي مِنْهُ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي».

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: (٤٧٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١١٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٣١٠).

(٣) أخرجه مسلم رقم: (٨٦٨).

وارزقني، وعافني، واهدني»، فلما قام قال هكذا بيده، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد ملأ يده من الخير»^(١).

١١ - قبل الدعاء.

عن فضالة بن عبيد، قال: بينا رسول الله ﷺ قاعدٌ إذ دخل رجلٌ فصلَّى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: «عَجَلْتَ أَيُّهَا المصلي، إذا صلَّيتَ فقعدتَ فاحمدِ اللهَ بما هو أهله، وصلِّ عليَّ ثم ادعُه، قال: ثمَّ صلَّى رجلٌ آخرٌ بعد ذلك فحمدَ اللهَ وصلَّى على النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «أَيُّهَا المصلي ادعُ تُجِبُ»^(٢).

١٢ - في الأذكارِ بعد الصلوات المفروضة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسولِ الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهُ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمدَ اللهُ ثلاثًا وثلاثين، وكبَّرَ اللهُ ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعةٌ وتسعون، وقال تمامِ المائة: لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ غُفِرَتْ خطاياهُ وإنْ كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ»^(٣).

فائدة: من الكلمات التي يقولها بعض الناس عندما يُصاب بمكروه: «الحمدُ لله الذي لا يُحمدُ على مكروهٍ سواه»، وهذه كلمةٌ ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، ولا أصلٌ لها في القرآن والسُّنة، والواجب على المسلم أن يصبر على البلاء، وأن يرضى بالقضاء، فإن أصابه ما لا يسره فليقل كما جاء في السُّنة: الحمدُ لله على كلِّ حالٍ.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٨٣٢)، وحسنه الألباني في الإرواء رقم: (٣٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٦٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٥٩٧).



**السُّؤَالُ السَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ: مَاذَا تَقُولُ لِمَنْ عَطَسَ
وَحَمَدَ اللَّهَ؟ وَبِمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ؟**



**الجواب: أقول له: (يَرْحُمُكَ اللَّهُ)، وَيَرُدُّهُ هُوَ:
(يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُم).**



كان أهل الجاهلية يتشاءمون من العطاس ويتطيرون به، فإذا سمعوا أحداً عطس تشاءموا به ودعوا عليه، فلما جاء الإسلام أبطل ما كان عليه أهل الجاهلية من الضلال؛ ونهى عن التثاؤم والتطير، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه الدعاء له بالرحمة؛ لأن الدعاء على العاطس ظلم وبغي وعدوان بغير حق^(١).

وقد ثبت في السنة أن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يحب العطاس فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمَدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحُمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ»؛ لأن العطاس يدل على النشاط، وخفة البدن، فصار محموداً؛ لأنه يعين على الطاعات^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٢٢٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٤)، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر معالم السنن للخطابي (٤/١٤١).

وفي هذه الجملة من الحديث إثبات صفة المحبة لله تعالى كما يليق به (١).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ويكره التأوب»؛ لأنه يكون غالباً مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل، فصار التأوب مكرهاً مذموماً؛ لأنه يثبط عن الخيرات، وفعل الواجبات (٢).

وفي هذه الجملة من الحديث إثبات صفة الكراهة لله تعالى (٣).

قوله **صلى الله عليه وسلم** قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ» المشروع للإنسان إذا عَطَسَ أَنْ يَقُولَ: الحمد لله؛ لأنها نعمة أُعطيها فليحمد الله عليها (٤).

وقوله **صلى الله عليه وسلم**: «وَأَمَّا التَّأَوُّبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ»؛ إضافته إلى الشيطان؛ لأنه هو الذي يدعو إلى الشهوات، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه التأوب وهو التوسع في المأكل والمشرب (٥).

وأوّل من عطس هو آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**؛ كما ثبت عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ» (٦).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وَلَمَّا سَبَقَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لِآدَمَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قَبْلَ أَنْ يَصِيبَهُ

(١) والله تعالى يحبُّ أشخاصاً، ويحبُّ أعمالاً، ويحبُّ بقاعاً، ويحبُّ صفاتٍ.

(٢) انظر معالم السنن للخطابي (٤ / ١٤١).

(٣) والله عز وجل يكره أشخاصاً، ويكره أعمالاً، ويكره أفعالاً، ويكره بقاعاً، ويكره ما يشاء على الوجه اللائق به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤ / ٤٣٨).

(٥) شرح النووي لمسلم (١٨ / ١٢٢).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٢٠٩).

ما أصابه كان مألّه إلى الرحمة، وكان ما جرى عارضاً وزال فإنَّ الرحمة سبقت العقوبة وغلبت الغضب»^(١).

وقد اشتملت النصوص الواردة في العطاس على مسائل وأحكام ومن ذلك:

المسألة الأولى: بيان حكم الحمد بعد العطاس، وتشميت العاطس.

اتفق العلماء على أنه يستحبُّ للعاطس أن يحمداً الله بعد العطاس^(٢)، وللحمد بعد العطاس صيغ عدة سيأتي ذكرها إن شاء الله.

وأما تشميتُ العاطس: فهو الدعاء له بالخير والبركة وأنَّ يبعده الله عنه الشّماتة، ويجنبه أسبابها، وكذا يصح أن يقال: تسميتُ العاطس ومعناه أن يجعله الله على سمٍّ حسنٍ، ووقارٍ^(٣).

وتشميت العاطس واجبٌ لأموٍ عدة^(٤):

١- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمر به، كما في حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنه، قال: «أمرنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا باتّباعِ الجنائزِ، وعبادة المريضِ،

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٦٢).

(٢) الأذكار للنووي (ص: ٢٧٠).

(٣) انظر شرح البخاري لابن بطال (٩/٣٦٥)، و النهاية لابن الأثير (٢/٤٩٩).

(٤) الصواب وجوب تشميت العاطس إذا حمد الله للأحاديث الصريحة والظاهرة في الوجوب

من غير معارض، وقد دلَّ على الوجوب أربعة طرق من طرق الدلالة:

١- التصريح بوجوب التشميت تصريحاً لا يحتمل التأويل.

٢- إيجابه بلفظ الحقّ.

٣- إيجابه بلفظة (على) الظاهرة في الوجوب.

٤- الأمر به، ولا ريب في إثبات واجبات كثيرة بدون هذه الطرق.

انظر تهذيب السنن لابن القيم (٥/٢٣٦٤).

وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسَم، وردِّ السَّلام، وتشميتِ العاطسِ،
وهنا عن: آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحرير، والديباج، والقسي، والإستبرق^(١).

٢- أنه من حقوق المسلم على أخيه، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ» قيل: ما هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال:
«إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ
فَحَمَدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢).

٣- أنه جاء بلفظ الوجوب، كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال
رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ
العاطسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ»^(٣).

المسألة الثانية: ذكُر بعض صيغ الحمد المشروعة للعاطس، ولمن يشمته،
وبماذا يرد عليه؟

وردت في السنة ألفاظ عدة يشرع للعاطس حمد الله بها، ومن ذلك:

١- أن يقول العاطس: الحمد لله.

والدليل حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ
فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك
الله، فليقل يهديكم الله، ويصلح بالكم»^(٤).

٢- أن يقول العاطس: الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠٦٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٤٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٦٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٢٤٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢١٦٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٢٢٤).

والدليل حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلْيَقُلْ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ» (١).

٣- أن يقول العاطس: الحمد لله على كل حال.

والدليل حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلْ الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِكُمْ» (٢).

وأما قول العاطس رداً على من شمته: يهدينا ويهديكم الله كما اشتهر عند العامة فلا دليل عليه من الكتاب والسنة.

المسألة الثالثة: مشروعية تسميت العاطس إذا حمد الله:

الواجب تسميت العاطس إذا حمد الله تعالى، أمّا من لم يحمده الله فإنه لا يُشمت دَلَّ على ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهُ فَشَمَّتْهُ، فَإِنَّ لَمْ يَحْمِدِ اللَّهُ فَلَا تُشَمَّتْهُ» (٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَلَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا أَشْرَفُ مِنَ الْآخَرِ، فَعَطَسَ الشَّرِيفُ مِنْهُمَا، فَلَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ، وَلَمْ يُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَ الْآخَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الشَّرِيفُ: عَطَسْتُ عِنْدَكَ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَ هَذَا الْآخَرُ فَشَمَّتَنِي! فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا ذَكَرَ اللَّهَ فَذَكَرْتَهُ، وَأَنْتَ نَسَيْتَ اللَّهَ فَنَسَيْتَكَ» (٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٧٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: (٩٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم:

والتشميتُ ثلاثُ مراتٍ، وما زاد فهو زُكَاْمٌ يُدْعَى لصاحبه بالشِّفاءِ والعافية، ولا يُشَمَّتُ، فعن سلمةَ بنِ الأكوع أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمَكَ اللهُ»، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً قال: «شَمَّتْ أَخَاكَ ثَلَاثًا فَمَا زَادَ فَهُوَ زَكَاْمٌ»^(٢).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قيل: فإذا كان الذي به زكَاْمٌ، فهو أولى أن يُدْعَى له ممَّن لا علةُ به؟ قيل له: يُدْعَى له كما يُدْعَى للمريضِ، ومَن به داءٌ ووجعٌ.

وأما سُنَّةُ العُطَاسِ الذي يُحِبُّهُ اللهُ، وهو نعمةٌ، ويدلُّ على خَفَّةِ البدنِ، وخروجِ الأبخرةِ المُحتقنةِ، فإنَّما يكونُ إلى تمامِ الثلاثِ، وما زاد عليها يُدْعَى لصاحبه بالعافية، وقوله في هذا الحديث: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ»^(٣) تنبيهٌ على الدُّعاءِ له بالعافية؛ لأنَّ الزُّكْمَةَ عِلَّةٌ، وفيه اعتذارٌ مِن تَرْكِ تشميتِهِ بعد الثلاثِ، وفيه تنبيهٌ له على هذه العِلَّةِ ليتداركها ولا يهملها، فيصعبُ أمرُها، فكلامُهُ ﷺ كَلِمَةٌ حَكِيمَةٌ ورحمةٌ، وعِلْمٌ وهدى»^(٤).

المسألة الرابعة: بيان بعض آداب العُطَاسِ:

تغطيةُ الفمِ، وخفضُ الصوتِ بالعُطَاسِ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا عَطَسَ غَطَّى وجهه بيده أو بثوبه، وغَضَّ بها صوتَه»^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٧١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٩٣).

(٤) زاد المعاد (٢/٥١٥).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٧٤٥)، وجوّد الألباني إسناده في تخريج المشكاة رقم:

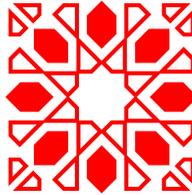
المسألة الخامسة: فوائد وتنبهات تتعلق بالعطاس.

الفائدة الأولى: لا يجوزُ تسميتُ العطسِ، ولا ردُّ السَّلامِ، والإمامُ يخطُبُ على الصحيحِ من أقوالِ العلماء؛ لأنَّ كلاً منهما كلامٌ، وهو ممنوعٌ والإمامُ يخطُبُ^(١).

الفائدة الثانية: الصلاةُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم من أجلِّ العباداتِ وأعظمِها، ولكنها لا تُشرَعُ بعد العطاس؛ لأنَّه موضعُ حمدِ الله، فعن نافعٍ أنَّ رجلاً عطَسَ إلى جنِّ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما فقال: الحمدُ لله، والسَّلامُ على رسولِ الله، قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: وأنا أقولُ الحمدُ لله، والسَّلامُ على رسولِ الله، وليس هكذا علَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، علَّمنا أن نقولَ: «الحمدُ لله على كلِّ حالٍ»^(٢).

الفائدة الثالثة: في بيان كيفية تسميت الكافر.

إذا عطس الكافرُ فحمدَ الله، فيقال له: يهديكم الله ويصلح بالكم، ولا يُقال له: يرحمك الله، والدليلُ حديثُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كانت اليهودُ تعاطسُ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم رجاءً أن يقولَ لها: يرحمكم الله، فكان يقولُ: «يهديكُم الله، ويصلحُ بالكم»^(٣).



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤٢ / ٨) المجموعة الأولى.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٢٧٣٨)، وصححه إسناده الألباني في إرواء الغليل رقم: (٧٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٥٠٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٥٠٣٨).



السُّؤالُ الثامنُ والتَّسعونُ: أكْمَلِ الحَدِيثَ: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا ... ؟ »



الجواب: يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ» (١).



من أفضلِ نِعَمِ اللهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عبده أن يرزقه العلمَ النَّافعَ، ولذا لم يأمر اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ** نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يسأله الزيادة إلا من العلمِ على وجه الخصوص؛ فقال تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

وفضائلُ العلمِ الشرعي وأهله كثيرةٌ، ومن أعظمها أن اللهُ **عَزَّ وَجَلَّ** قرَنَ شهادةَ الملائكةِ والعلماءِ بشهادتهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على أعظمِ مشهودٍ وهو توحيدُهُ **جَلَّ وَعَلَا**، كما قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨]، ومن النَّكْتِ في هذه الآية أنها الآية الوحيدة التي ذُكِرَ فيها كلمة: (لا إله إلا هو) مرتين.

قال العلامةُ عبدُ الرحمنِ بنُ ناصرِ السَّعدي **رَحِمَهُ اللهُ**: «العِلْمُ شجرةٌ تُثْمِرُ كُلَّ قولٍ حَسَنٍ وعَمَلٍ صَالِحٍ، والجهلُ شجرةٌ تُثْمِرُ كُلَّ قولٍ وعَمَلٍ خَبِيثٍ» (٢).

فالعلمُ النَّافعُ: هو العلمُ الذي يُورِثُ الخَشْيَةَ من اللهِ، ويكونُ عصمةً لصاحبه من الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ.

وَمِنْ أعظمِ المصائبِ والآفاتِ أن يكونَ الإنسانُ عالمًا بأمرِ الدُّنيا، جاهلاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧١)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠٣٧).

(٢) شرح القواعد الفقهية (ص: ١٠٩).

في أمر الدين، قال الله تعالى في ذم الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسيها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قال الحسن البصري رحمه الله: والله لبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفريه، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي» (١).

فالكفار اليوم عندهم تطورٌ ظاهرٌ جدًّا في مجالات عدَّة من: طبٍّ، وهندسةٍ، وصناعةٍ، وغيرها، لكنهم في أمر الدين يعبدون الأصنام، والأوثان، والصُّلبان بامرٍ من الشيطان، ويقدمون الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، وينشغلون عما خلَقوا له وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا»، فيه إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى، والمراد بالإرادة في هذا الحديث الإرادة الشرعية.

وإرادة الله تنقسم إلى قسمين:

الأول: إرادة كونيَّة، وهي المشيئة، وضابطها أنها لا تتخلف، بمعنى أن ما شاء الله يقع كما شاء سبحانه، سواء أكان محبوبًا لله أم غير محبوب، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ومثالها: أن الله أراد أن تكون السماوات سبعة فصارت سبعة كما شاء الله.

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٠٥).

الثاني: إرادة شرعية، وهي: ما أراد الله أن يشرعه لعباده، وضابطها كونها محبوبة لله ومرضية عنده، لكن ليس بالضرورة أن يمثل الناس ما أراد الله شرعاً، فمنهم من يمثل، ومنهم من لا يمثل، وهذه الإرادة قد تتحقق وقد لا تتحقق.

مثالها: أراد الله من عباده التوبة شرعاً؛ لأنه يحبُّ التوبة من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، لكن من عباده من تاب، ومنهم من لم يتب.

فائدة: لا تنقسم المشيئة إلى كونية وشرعية، وإنما تكون بمعنى الإرادة الكونية فقط (١).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «**خيراً**»، نكرة في سياق الشرط فتعم أنواع الخيرات كلها. والحديث له منطوق ومفهوم، فمنطوق الحديث يدل على أن من أراد الله به خيراً وفقه لطلب العلم الشرعي النافع والفقه في الدين. وأما مفهوم الحديث فهو دال على أن من لم يتفقه في الدين ولم يتعلم أحكام الشرع فهو محروم من الخير.

قال شيخ الإسلام **رحمته الله**: «فكل من أراد الله به خيراً فلا بد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد به خيراً، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيراً بل لا بد مع الفقه في الدين من العمل به، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح» (٢).

(١) وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه «شفاء العليل» (١/١٧) الأمور التي جاء في الشرع انقسامها إلى كوني وشرعي، وهي: «القضاء، والإرادة، والكتابة، والحكم، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والعطاء والمنع إلى: كوني يتعلق بخلقه، وديني يتعلق بأمره».

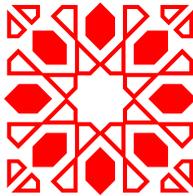
(٢) الصفدية (٢/٢٦٦).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «**يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ**»، والفقهاء لغةً: هو الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَحْلَلْ** عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي (٢٧) **يَفْقَهُوا قَوْلِي** (٢٨)﴾ [طه: ٢٨].

وفي اصطلاح الفقهاء: هو معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية. وأما المقصود في هذا الحديث فهو معنى أعم من اصطلاح الفقهاء، وليس فهم الأحكام الفقهية فحسب، بل هو فهم الدين كله، وما يشمل من العقيدة، والمنهج، والآداب، والأخلاق، والأحكام في العبادات، والمعاملات.

ومما يدل على هذا المعنى ويقويه أن النبي **صلى الله عليه وسلم** دعا لابن عباس **رضي الله عنهما** أن يرزق فهماً لدين الله فقال **عليه وعلى آله الصلاة والسلام**: «**اللَّهُمَّ فَقِّهُهُ فِي الدِّينِ**» (١).

فائدة: من القواعد المقررة عند العلماء: أن الوسائل لها أحكام المقاصد (٢)، فيدخل في التفقه في الدين كل ما كان وسيلة لفهم الكتاب والسنة كعلوم الآلة من أصول الفقه، وأصول التفسير، والنحو وغيره من علوم العربية.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٤٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٧٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) وقد تكلم المؤلف وفقه الله عن هذه القاعدة مبيئاً معناها وأمثلتها بكلام نافع مانع انظر التعليق

على نظم القواعد الفقهية للسعدي (ص: ٣٦).

**السُّؤَالُ التَّاسِعُ وَالتَّسْعُونَ: مَا أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ؟
وَمَا أَبْغَضُهَا؟**

**الجواب: أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا،
وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا.**

قوله: **(أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا)**، صفة المحبة من الصفات الثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحبُّ بقاعاً وبلاداً، وأحب البلاد إليه المساجد، كما ثبت عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: **«أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا»**^(١).

ومحبة الله للمساجد لما فيها من أداء الصلوات، واجتماع المسلمين، ونشر العلم الشرعي، وتوجيه الناس ونصحهم.

وسمِّي المسجد بهذا الاسم؛ لأنَّ السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه فاشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد، ولم يقولوا مَرَكَعٌ، ثُمَّ إِنَّ الْعُرْفَ خَصَّصَ الْمَسْجِدَ بِالْمَكَانِ الْمُعَدِّ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ حَتَّى يَخْرَجَ الْمُصَلِّي الْمُجْتَمِعُ فِيهِ لِلْأَعْيَادِ وَنَحْوِهَا فَلَا يُعْطَى حِكْمَهَا^(٢).

ومما يدلُّ على مكانة المساجد وعظيم منزلتها:

أولاً: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفاً لَهَا.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٧١).

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي. (ص: ٢٨).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي **رحمته الله**: «المسجد عرفاً كُلُّ ما خُصَّصَ للصلاة، وهو المراد بالإضافة هنا لله تعالى، وهي إضافةٌ تشرifi وتكرim مع الإشعارِ باختصاصِها بالله، أي: بعبادته وذكره»^(١).

وعن أبي هريرة **رحمته الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتِ مَنْ بَيَّوتَ اللَّهَ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَاتِهِ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(٢).

ثانياً: أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ عُمَارَ الْمَسَاجِدِ وَقَاصِدِيهَا بِالْإِيمَانِ، وَوَعَدَ مِنْ بَنِي مَسْجِدًا بَيْتٍ فِي الْجِنَانِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

قال ابن رجب **رحمته الله**: «عمارة المساجد تكون بمعنيين:

أحدهما: عمارتها الحسية ببنائها وإصلاحها وترميمها، وما أشبه ذلك.

والثاني: عمارتها المعنوية بالصلاة فيها، وذكر الله، وتلاوة كتابه، ونشر العلم الذي أنزله على رسوله **صلى الله عليه وسلم**، ونحو ذلك.

وقد فسرت الآية بكل واحدٍ مِنَ الْمَعْنِيَيْنِ، وَفُسِّرَتْ بِهَمَا جَمِيعًا، وَالْمَعْنَى الثَّانِي أَحْصَىٰ بِهَا»^(٣).

(١) أضواء البيان (٨/ ٣٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٧٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٦٦)، واللفظ له.

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢٩٤).

وثبت في فضلِ عمَّارِ المساجِدِ حديثُ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ قال: فتقولُ الملائكةُ: رَبَّنَا وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَجَاوِرَكَ؟ فيقولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ»^(١).

وقد رَغِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ ابْتِغَاءَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ»^(٢).

ثالثًا: أَنَّ الْجُلُوسَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالتَّعَلُّقَ بِهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ الْحَسَنَاتِ، وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ.

والدليلُ حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اِرْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، وَقَالَ: أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تَنَفَّقَ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٤).

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده رقم: (١٢٦)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٢١٥): إسناده جيد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٥٣٣)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢١١٩)، ومسلم في صحيحه رقم: (٦٤٩)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠٣١)، واللفظ للبخاري.

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «ورجل قلبه معلق في المساجد»، أي: شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها^(١).

ولمّا كان للمساجد ما تقدّم من الفضائل شرّع لها آداب، ومنها:
أولاً: اتخاذ المصلي الزينة بلبس أحسن الثياب والتطيب.

قال تعالى: ﴿يَبْتِغِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله**: «فعلّق الأمر باسم الزينة لا بستر العورة إيداناً بأن العبد ينبغي له أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة»^(٢).

ثانياً: المحافظة على نظافة المسجد.

فعن أنس بن مالك **رحمه الله عنه** قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: مة مة، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «لا تُزرموه دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القدر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن»^(٣).

قوله: **(وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)**، كما ثبت عن أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «أبغض البلاد إلى الله أسواقها»^(٤).

هذا الخبر من النبي **صلى الله عليه وسلم** بمعنى الإنشاء أي النهي، فأراد **عليه الصلاة والسلام** بقوله: «أبغض البلاد إلى الله أسواقها»، أي: فلا تمكثوا فيها بلا حاجة.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢١/٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣٢٦/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٢١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٨٥)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٧١).

فالحديث دليلٌ على كراهية المكث في الأسواق لكثرة ما فيها من المعاصي والمنكرات.

ومما يدلُّ على أن الأسواق أبغض البلاد إلى الله أمورٌ عدةٌ، ومنها:

أولاً: أن الشيطان ينصب رأيتَه في الأسواق.

فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: « لا تكوننَّ إن استطعتَ، أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَأَيْتَهُ »^(١).

قوله: «فإنَّها مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ» المَعْرَكَةُ مَوْضِعُ الْقِتَالِ لِمَعَارَكَةِ الْأَبْطَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيهَا، وَمِصَارِعَتِهِمْ، فَشَبَّهَ السُّوقَ وَفَعَلَ الشَّيْطَانِ بِأَهْلِهِ وَنِيلَهُ مِنْهُمْ بِالْمَعْرَكَةِ لكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ كَالْغَشِّ، وَالْخَدَاعِ، وَالْأَيْمَانِ الْخَائِنَةِ، وَالْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ، وَالنَّجْشِ، وَالْبَيْعِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَالشَّرَاءِ عَلَى شِرَائِهِ، وَالسَّوْمِ عَلَى سَوْمِهِ، وَبِخْسِ الْمَكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، فَالشَّيْطَانُ يَجْمَعُ أَعْوَانَهُ إِلَيْهِ لِلتَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَمَلِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْمَفَاسِدِ الْمَذْكُورَةِ وَنَحْوِهَا فَهِيَ مَوْضِعُهُ وَمَوْضِعُ أَعْوَانِهِ^(٢).

قلتُ: فكيف لو رأى السلفُ حالَ أسواقنا اليومَ وما فيها من التبرجِ والسُّفورِ، والاختلاطِ، والمعاكساتِ، وسوءِ الأدبِ، وقلةِ الحياءِ مِنَ الشَّبَابِ مع الفتياتِ فماذا سيقولون؟!!

ثانياً: انتشار الغشِّ في البيع والشراء.

الغشُّ محرَّمٌ بكلِّ صورته وأنواعه، ويكثرُ وقوع الغش في الأسواق، والواجبُ على المسلم أن يجتنب الغشَّ ويتعدَّ عنه في جميع المعاملات من بيع وإجارة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٥١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٧/١٦).

وصناعة ورهن وغيرها؛ لأنَّ الغِشَّ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وقد تبرَّأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاعِلِهِ فقال: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)، وفي لفظٍ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢)، والغِشُّ خديعةٌ وخيانةٌ للأمانة وضياعٌ لها، وفقدٌ للثقة بين الناس، وكلُّ كسبٍ مِنَ الغِشِّ فهو خبيثٌ حرامٌ لا يزيدُ صاحبه مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا^(٣).

ثالثاً: كثرة الحلف.

جاء النهي عن الحلف في البيع كما في حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يُنْفَقُ، ثُمَّ يَمَحَقُ»^(٤).

وأما إذا اقترن بالحلف الكذب فيكون النهي أشد، ويدخل صاحبه في الوعيد الشديد الذي جاء في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولهم عذابٌ أليمٌ، قال أبو ذرٍّ: خابوا وخسروا، مَنْ هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: المُسِبِّلُ، والمَنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعتَه بِالْحَلْفِ الكاذِبِ»^(٥).

فائدة: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها»^(٦).

يُحْمَلُ عَلَى الْأَغْلَبِ؛ لأنَّ المساجدَ يُذَكَّرُ فِيهَا اسمُ اللهِ تَعَالَى، والأسواقُ قد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٠١).

(٣) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٥٥).

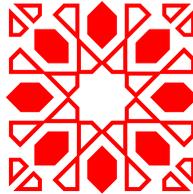
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٦٠٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٠٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٦٧١).

غَلَبَ عَلَيْهَا اللَّغَطُ وَاللَّهُوُ وَالِاشْتِغَالُ بِجَمْعِ الْمَالِ مِنَ الْوَجْهِ الْمُبَاحِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ فِي السُّوقِ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»^(١).

وكذلك إذا لغا في المسجد أو لغط فيه، أو عصى ربه لم يضر المسجد، ولا نقص من فضله، وإنما أضر بنفسه، وبالغ في إثمه^(٢).



(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٤٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٢٣١).

(٢) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/٢٥٠).

**السُّؤَالُ الْمِائَةُ: مَا أَفْضَلُ يَوْمٍ فِي الْأُسْبُوعِ؟
وَأَفْضَلُ يَوْمٍ فِي الْعَامِ؟ وَأَفْضَلُ لَيْلَةٍ فِي الْعَامِ؟
وَأَفْضَلُ شَهْوَرِ الْعَامِ؟**

الجواب: أَفْضَلُ يَوْمٍ فِي الْأُسْبُوعِ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَأَفْضَلُ يَوْمٍ فِي الْعَامِ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

وَأَفْضَلُ لَيْلَةٍ فِي الْعَامِ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَأَفْضَلُ شَهْوَرِ الْعَامِ: شَهْرُ رَمَضَانَ.

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَنْ خَصَّهَا بِخَيْرِ نَبِيِّ أُرْسِلَ،
وَأَفْضَلِ كِتَابٍ أَنْزَلَ، وَاخْتَارَ لَهَا مِنَ الشَّهْوَرِ أَفْضَلَهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ أَعْظَمَهَا،
شَرَعَ فِيهَا لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ مَغْفِرَةً لذنُوبِهِمْ، وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمْ،
وَرَفَعَةً لدرجاتِهِمْ.

قوله: **(أَفْضَلُ يَوْمٍ فِي الْأُسْبُوعِ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ)**، يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ عَظِيمٌ، رَفَعَ
اللَّهُ شَأْنَهُ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ، فَعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ
مِنَهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١).

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَفْضَلُ
اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ
الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمًا: (٨٥٤).

وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» (١).

وليوم الجمعة فضائل كثيرة ثابتة في الكتاب والسنة، ومنها:

١- أن الله خلق فيه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأدخله الجنة، وأخرجه منها، وفيه تقوم الساعة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٢).

٢- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتِ عَلَيَّ يَوْمَ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» (٣).

٣- أَنَّهُ عِيدُ الْأَسْبُوعِ.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ» (٤).

٤- أَنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ فِيهِ الْوَقَايَةُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨٧٦)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٥٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٨٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٣٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٨٢٠١).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (١٠٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (١٠٩٨).

يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»^(١).

ويشعر للمسلم في هذا اليوم أعمال عدة، ومن ذلك:

١- صلاة الفجر يوم الجمعة في جماعة، وهي أفضل الصلوات عند الله.

مما يفرط فيه كثير من المسلمين صلاة الفجر يوم الجمعة، مع ما جاء في السنة من فضلها في قوله **صلى الله عليه وسلم**: «إن أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»^(٢).

٢- أن فيه صلاة عظيمة وهي صلاة الجمعة.

وقد جاء في فضل صلاة الجمعة، والسعي إليها أحاديث كثيرة عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، ومنها حديث أوس بن أوس **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من اغتسل يوم الجمعة وغسل، وبكر وابتكر، ودنا واستمع وأنصت، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها»^(٣).

٣- استحباب كثرة الصلاة والسلام على النبي **صلى الله عليه وسلم** فيه.

عن أوس بن أوس **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه نفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي» قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون: بليت -؟ فقال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (١٠٧٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣/٤٠٥): حسنٌ لغيره.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم: (٢٧٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١١١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٤٩٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٦٩٦).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده، فجمع الله لأُمَّته به بين خيري الدنيا والآخرة، وأعظم كرامة تحصل لهم، فإنها تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوادثهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليتبه» (١).

٤ - قراءة سورة الكهف.

عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» (٢).

٥ - الدعاء، فإن في يوم الجمعة ساعة يستجيب الله فيها الدعاء.

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال أبو القاسم **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن في الجمعة لساعة، لا يؤاقيها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه» (٣).

قوله: «قائم يصلي» يحمل على أحد معنيين:

الأول: أي يدعو الله، والدعاء هو المعنى اللغوي للصلاة.

الثاني: أي ينتظر الصلاة، ويشغل بالدعاء والذكر، ومنتظر الصلاة في حكم

المصلي.

(١) زاد المعاد (١/٤٦١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٦٤٠٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (٨٥٢).

ويدلُّ لهذا المعنى حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَصَلِّيُ فَيَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، قال أبو هريرة: فلقيتُ عبدَ الله بنَ سلام فذكرتُ له هذا الحديثَ، فقال: أنا أعلمُ بتلكِ السَّاعَةِ، فقلتُ: أخبرني بها ولا تَضَنَّ بها عليّ، قال: هي بعدَ العَصْرِ إلى أن تغربَ الشَّمْسُ، فقلتُ: فكيفَ تكونُ بعدَ العَصْرِ، وقد قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يَصَلِّي» وتلكِ السَّاعَةُ لَا يَصَلِّي فِيهَا؟ فقال عبدُ الله بنُ سلام: أليس قد قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ؟»، قلتُ: بلى، قال: فهو ذاك^(١).

وقد اختلف العلماءُ في تحديدِ هذه السَّاعَةِ^(٢)، فالمستحبُ للمسلم أن يجتهد في هذا اليوم العظيم ويكثر من دعاء الله تعالى.

قوله: **(أفضل يومٍ في العام: يومُ عرفة)**^(٣)، يومُ عرفة هو اليومُ التاسع من شهرِ ذي الحِجَّةِ، ويشرَعُ للحاجِّ في هذا اليوم العظيم أن يقفَ في عرفة، ويعتبرُ الوقوفُ بعرفة ركنَ الحجِّ الأكبرِ، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحجُّ عرفة»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: (٤٩١).
(٢) وأرجحُ هذه الأقوال قولان تضمَّنتهما الأحاديثُ الثابتةُ، وأحدهما أرجحُ مِنَ الْآخَرِ.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.

والقول الثاني: أنها بعد العَصْرِ، وهذا أرجحُ القولين، وهو قول عبد الله بن سلام، وأبي هريرة، والإمام أحمد، وخلقٌ، وهذا هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث. [انظر زاد المعاد لابن القيم ١/٤٨١].

(٣) اختلف أهل العلم في تعيين أفضل يومٍ في العام هل هو يوم عرفة أم اليوم الذي بعده وهو يوم النحر. [انظر زاد المعاد لابن القيم ١/٣٣] و[لطائف المعارف لابن رجب ص: ٢٨٠].

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٨٨٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم: (١٠٦٤).

وليوم عرفة منزلة عظيمة في الدين وفضائل جمّة، ومنها:

١ - أنّه من أيام عشرِ ذي الحِجّةِ أفضلِ أيامِ العامِ.

فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من أيامٍ أفضلَ عندَ الله من أيامِ عشرِ ذي الحِجّةِ»^(١)، وفي لفظٍ: «أفضلُ أيامِ الدُّنيا أيامُ العشرِ»^(٢).

٢ - أنّ الله تعالى أقسمَ به، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]، وقد فسّرَها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «اليومُ الموعودُ يومُ القيامةِ، واليومُ المشهودُ يومُ عرفةَ، والشَّاهدُ يومُ الجُمعةِ»^(٣).

٣ - أنّه اليومُ الذي أكملَ اللهُ فيه الدينَ وأتمَّ به النِّعمةَ، ورضي لنا الإسلامُ ديناً. فقد جاء أن رجلاً من اليهود قال لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا أميرَ المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشرَ اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قد عرفنا ذلك اليومَ، والمكانَ الذي نزلت فيه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو قائمٌ بعرفةَ يومَ جمعةٍ»^(٤).

٤ - أنّ الدعاءَ يومَ عرفةَ خيرُ الدعاءِ.

فعن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جدّه أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيونَ من قبلي: لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: (٢٠٩٠)، وصححه إسناده الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١١٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في فضل عشر ذي الحجة رقم: (١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١١٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٣٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٨٢٠١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٣٠١٧)، واللفظ للبخاري.

له، له المُلْكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»^(١).

ففي الحديثِ فوائدٌ عدةٌ، ومنها:

أ- أنَّ دعاءَ يومِ عرفةٍ أفضلُ من غيره.

ب- وفيه دليلٌ على فضلِ يومِ عرفةٍ على غيره.

ج- وفيه أيضًا دليلٌ على أنَّ دعاءَ يومِ عرفةٍ مظنةُ الإجابةِ^(٢).

٥- أنَّ صيامَ يومِ عرفةٍ لغيرِ الحاجِّ يُكفِّرُ ذنوبَ سنةٍ ماضيةٍ وسنةٍ باقية.

فعن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن صومِ يومِ عرفةٍ؟ فقال: «يُكفِّرُ السَّنةَ الماضيةَ والباقية»^(٣).

٦- أنَّه أكثرُ الأيامِ التي يُعتَقُ اللهُ فيها عباده من النَّارِ.

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يومٍ أكثرَ من أنْ يُعتَقَ اللهُ فيه عبداً من النَّارِ من يومِ عرفةٍ، وإنَّه ليدنو، ثمَّ يُباهي بهمُ الملائكةَ، فيقول: ما أراد هؤلاءِ؟»^(٤).

٧- أنَّ اللهُ يُباهي بأهلِ عرفةِ الملائكةَ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يُباهي الملائكةَ بأهلِ عرفاتٍ، يقول: أَنْظِرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غَبْرًا»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٢٧٤).

(٢) انظر التمهيد لابن عبد البر (٤١/٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٣٤٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٨٠٤٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٤/٢): حسن

قال ابن عبد البر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وهذا يدلُّ على أنَّهم مغفورٌ لهم لأنَّه لا يُباهي بأهلِ الخطايا والذنوبِ إلَّا من بعدِ التوبةِ والغفرانِ»^(١).

٨- أن الله ينزل إلى السماء الدنيا لأهل الموقف بعرفة.

والدليل قول النبي **صلى الله عليه وسلم**: «فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً شهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كان عدد قطر السماء ورملي عالج»^(٢).

ونزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا حق كما يليق بجلاله وعظمته، فيجب على المسلم أن يثبته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٩- أنه يوم عيد لأهل الموقف.

فعن عقبه بن عامر **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب»^(٣).

وعن عمار بن أبي عمار قال: قرأ ابن عباس **رضي الله عنهما**: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وعنده يهودي فقال: لو أنزلت هذه علينا لاتخذنا يومها عيداً، قال ابن عباس **رضي الله عنهما**: «فإنها نزلت في يوم عيدين: في يوم جمعة، ويوم عرفة»^(٤).

(١) التمهيد (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: (١٨٨٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٢٠): حسن لغيره.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٤١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٢٤١٩).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٠٤٤)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح

رقم: (١٣٦٨).

ويومُ عرفةَ عيدٌ خاصٌّ لأهلِ عرفةَ؛ لاجتماعهم فيه (١).

فائدة: إذا وافق الوقوفُ بعرفةَ يومَ الجمعةِ فيكون له مزية على سائر الأيام

من وجوه متعددة:

الأول: اجتماعُ اليومين اللذين هما أفضلُ الأيامِ.

الثاني: أنه اليومُ الذي فيه ساعةُ الإجابةِ، وأكثرُ الأقوالِ أنَّها آخرُ ساعةٍ بعد

العصرِ، وأهلُ الموقفِ كلُّهم إذ ذاك واقفون للدُّعاءِ والتضرعِ.

الثالث: موافقتهُ ليومِ وقفةِ رسولِ الله **صلى الله عليه وسلم**.

الرابع: فيه اجتماعُ الخلائقِ من أقطارِ الأرضِ للخطبةِ وصلاةِ الجمعةِ،

ويوافقُ ذلك اجتماعُ أهلِ عرفةَ بعرفةَ، فيحصلُ من اجتماعِ المسلمين في

مساجدِهِم وموقفِهِم من الدُّعاءِ والتضرعِ ما لا يحصلُ في يومٍ سواه.

الخامس: أن يومَ الجمعةِ يومٌ عيدٌ.

السادس: أنه موافقٌ ليومِ إكمالِ الله تعالى دينه، وإتمامِ نعمتهِ على المؤمنين.

السابع: أنه موافقٌ ليومِ الجَمعِ الأكبرِ يومِ القيامةِ، فإن القيامةَ تقومُ يومَ الجمعةِ.

الثامن: أنه موافقٌ ليومِ المزيدِ في الجنةِ.

التاسع: أن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يدنو عشيةَ يومِ عرفةَ من أهلِ الموقفِ، ثمَّ يباهي

بهم الملائكةَ، وتحصلُ مع دنوه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ساعةُ الإجابةِ فيتقربون منه بدعائه

والتضرعِ إليه، ويقرب منهم تعالى قربَ الإجابةِ المحققةِ في تلكِ الساعةِ، وقربه

الخاص من أهلِ عرفةَ، ومباهاته بهم ملائكتهِ، فتستشعر قلوبُ أهلِ الإيمانِ هذه

الأُمور فتزداد قوةً إلى قوتها، وفرحًا وسرورًا وابتهاجًا، ورجاءً لفضلِ ربها وكرمِهِ.

(١) انظر: شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٥٦٩)، (٣/ ٦٤٢)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٢).

وأما ما استفاض على ألسنة العوامِّ بأنَّها تعدل ثنتين وسبعين حجة، فباطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحدٍ من الصَّحابةِ والتَّابعين^(١).

قوله: **(أفضل ليلة في العام: ليلة القدر)**، ليلة القدر هي ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان، وهي أفضل ليلة في العام؛ لكثرة الخير والثواب والفضل الحاصل فيها.

وقد سُميت ليلة القدر بهذا الاسم؛ لعظم قدرها وشرفها، ورفيع مكانتها وسمو منزلتها، ولأنَّ الله يُقدِّرُ فيها ما شاء من أمره إلى السنَّة القابلة؛ كالأرزاق، والآجال وغيرهما، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وقد شاء الله تعالى لحكمته البالغة أن يجعل ليلة القدر متنقلةً بين ليالي العشر الأواخر من رمضان، فقد تأتي في الوتر أو الشفع من هذه الليالي، فإذا كان الشهر ناقصاً أي تسعة وعشرين يوماً فإنها تكون في ليالي الوتر، وإن كان الشهر تاماً كاملاً فإنها تكون في ليالي الشفع، ولا يُعرف هذا إلا إذا انتهى الشهر^(٢).

والدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحرَّروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»^(٣).

وقد دلَّ الحديث السابق على أنَّ الله تعالى أخفى ليلة القدر؛ ليجتهد المسلم في القيام والدعاء في ليالي العشر كلها.

وقد خصت ليلة القدر بخصائص عظيمة، ومنها:

١- أنَّ الله تبارك وتعالى أنزل فيها سورةً في كتابه وهي سورة القدر.

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (١/ ٤٥).

(٢) انظر لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٠٢٠)، ومسلم في صحيحه رقم: (١١٦٩).

٢- أَنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

[القدر: ١].

٣- أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

ومعنى الآية: أَنَّ الْعَمَلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ» (٢).

٤- أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الْأَرْضِ بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْخَيْرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلِكُ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى» (٣).

٥- أَنَّ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٤).

(١) انظر تفسير ابن جرير (٥٤٦/٢٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٧١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٠٧٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٤٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٩٠١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٦٠).

فائدة: يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُكْثَرَ مِنَ الدَّعَاءِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَا سِيَّمَا بِمَا ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قَوْلِي: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

قوله: **(أفضل شهور العام: شهر رمضان)**، شهر رمضان هو الشهر التاسع من الشهور الهجرية، وقد سُمِّيَ بهذا الاسم؛ لأنه وافق زمن الحرِّ والرَّمضِ عند تسميته، أو لأنه يحرق الذنوب، ويهلكها (٢).

ورمضان أفضل شهر في العام؛ وقد فرض الله فيه الركن الرابع من أركان الإسلام، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» (٣).

وثبت لشهر رمضان في الكتاب والسنة فضائل عدة، ومن ذلك:

١- أن الله أنزل فيه القرآن الكريم.

٢- أنه الركن الرابع من أركان الإسلام.

٣- أن صيامه سبب لمغفرة ما تقدم من الذنوب؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٥١٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (٣٣٩١).

* تنبيه: زيادة لفظة: «كريم» بعد قوله: «عفو»! لا أصل لها في شيء من المصادر المتقدمة، ولا في غيرها ممن نقل عنها، فالظاهر أنها مدرجة من بعض الناسخين أو الطابعين (انظر السلسلة الصحيحة للألباني ٧/ ١٠١١).

(٢) انظر القاموس المحيط (ص: ٦٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٦)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٦٠).

٤- أن قيامه سببٌ لمغفرة ما تقدم من الذنوب؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(١).

٥- أن العمرة فيه تعدل حجة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَعُمْرَةٌ في رمضانَ تَقْضِي حَجَّةً - أو حَجَّةً معي»^(٢).

٦- أنه شهرٌ فتُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق أبواب النار، وتُصْفَدُ الشياطين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفِّدَتِ الشياطينُ»^(٣) ومردة الجن، وغُلِّقَتِ أبواب النار فلم يُفتح منها بابٌ، وُفِّتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها بابٌ، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»^(٤).

٧- أنه شهرٌ أنزلت فيه الكتب السماوية؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنزلت صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مَضِين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(٥).

٨- أن الصيام يرفع العبد درجات في الجنة؛ فقد ورد عن طلحة بن عبید الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلين من بلقيي قَدِما على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إسلامهما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٧٥٩).

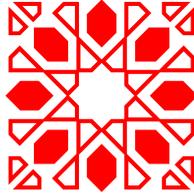
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٧٨٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٢٥٦)، واللفظ له.

(٣) قوله: «صُفِّدَتِ الشياطينُ»، قال ابن الأثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي: شُدت وأوثقت بالأغلال» [النهاية في غريب الحديث ٣/٣٥].

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٦٨٢)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة رقم: (١٩٦٠).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٦٩٨٤)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٥٧٥).

جميعاً، فكان أحدهما أشدَّ اجتهاداً مِنَ الآخرِ، فغَزَا المُجتهدُ منهما فاستُشهدَ، ثُمَّ مكثَ الآخرُ بعده سنةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قال طلحةُ: فرأيتُ في المنامَ بيِّناً أنا عند بابِ الجَنَّةِ إذا أنا بهما، فخرجَ خارجاً من الجَنَّةِ، فأذنَ للذي تُوُفِّيَ الآخرَ منهما، ثُمَّ خرجَ فأذنَ للذي استُشهدَ، ثُمَّ رجعَ إليَّ فقال: ارجعْ، فَإِنَّكَ لم يَأْنِ لكَ بعدُ، فأصبحَ طلحةُ يُحدِّثُ به النَّاسَ، فعَجِبُوا لذلك، فبلَّغَ ذلكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وحدثوه الحديثَ، فقال: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ فقالوا: يا رسولَ الله، هذا كان أشدَّ الرَّجُلَيْنِ اجتهاداً، ثُمَّ استُشهدَ، ودَخَلَ هذا الآخرُ الجَنَّةَ قبلَه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أليسَ قد مكثَ هذا بعده سنةً؟» قالوا: بلى، قال: «وأدرَكَ رمضانَ فصامَ، وصَلَّى كذا وكذا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟» قالوا: بلى، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «فما بينهما أبعدُ ممَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ»^(١).



(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٣٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم:



السُّؤال الواحد بعد المائة: ما أعيادُ الإسلام؟



الجواب: عيدُ الأضحى، وعيدُ الفطر.



سُمِّيَ العيدُ عيدًا؛ لأنَّه يعودُ ويتكرَّرُ، قال شيخ الإسلام **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «العيدُ اسمٌ لما يعودُ مِنَ الاجتماعِ العامِّ على وجهِ معتادٍ، عائد: إمَّا بَعْدَ السَّنَةِ، أو بَعْدَ الأُسبوعِ، أو الشَّهْرِ، أو نحوِ ذلك، فالعيدُ يجمعُ أمورًا، منها: يومٌ عائدٌ كيومِ الفطرِ، ويومِ الجُمُعَةِ^(١)، ومنها: اجتماعٌ فيه، ومنها: أعمالٌ تتبَعُ ذلك، مِنَ العباداتِ، والعباداتِ، وقد يَخْتَصُّ العيدُ بمكانٍ بعينه، وقد يكونُ مُطلقًا، وكلُّ هذه الأمور قد تُسمَّى عيدًا»^(٢).

وليس في الإسلامِ إلا عيدان: عيدُ الأضحى وعيدُ الفطر، والدليلُ حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قَدِمَ رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المدينةَ ولَهُمَّ يومانِ يَلْعَبونَ فيهِمَا، فقال: ما هذانِ اليومانِ؟ قالوا: كُنَّا نَلْعَبُ فيهِمَا في الجاهليَّةِ، فقال رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللهَ قد أبدلَكُم بهما خيرًا منهما: يومُ الأضحى، ويومُ الفطر»^(٣).

(١) يوم الجمعة عيدٌ أسبوعيٌّ، وأمَّا الأعياد السنوية فليس مشروعًا منها إلا عيد الفطر، وعيد الأضحى.

* **فائدة:** ثبت عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنَّ أيامَ التشريقِ وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة أيامُ عيدٍ للمسلمين، فعن عقبه بن عامر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قال: قال رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يومُ عرفةٍ، ويومُ النَّحرِ، وأيامُ التشريقِ عيدنا أهلُ الإسلامِ، وهي أيامُ أكلٍ وشربٍ» أخرجه أبو داود في سننه رقم: (٢٤١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٢٤١٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٤٣٨١).

فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أمرهم بترك ذكرى أيام الجاهلية، وهي أيام انتصروا فيها على عدوهم فيلعبون فيها، وتأمل كلمة (يلعبون)، أي: أنهم ما كانوا يُصلُّون أو يتعبدون، بل كانوا يلعبون، وهو يومٌ يُقال له: (يوم بُعث)، فنهاهم النبي **صلى الله عليه وسلم** عن هذين اليومين، وأخبرهم أن الله تعالى قد أبدلهم بهما خيراً منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى.

والمشروع للمسلم أن يفرح بهذين العيدين بعد إتمام ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما: الحج، وصيام شهر رمضان.

ولو تدبرنا لوجدنا معنى في أعياد الإسلام لا مثيل له في سائر الأعياد والمناسبات المحدثه، ألا وهو أن مناسبة العيد الشرعي مناسبة عظيمة جليلة ذات معنى كبير، فعيد الفطر يكون في شوال بعد صيام رمضان وقيامه، وأداء العبادات المتنوعة من إفطار الصائمين، وصلة الأرحام، وقراءة القرآن، والعمرة في رمضان، والاعتكاف في المساجد، وإحياء ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وإخراج زكاة الفطر، وغير ذلك من العبادات والقربات لله تعالى، فمن المناسب أن يفرح المسلمون بطاعتهم لربهم بعد أدائهم لهذه العبادات الجليلة.

وأما عيد الأضحى فهو اليوم العاشر من ذي الحجة، والعشر الأول التي أقسم الله بها في قوله: ﴿وَلِيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢] ^(١)، وهي أعظم أيام العام، ومن جملتها اليوم التاسع يوم عرفة وهو خير يوم طلعت فيه الشمس.

فالحجاج يقفون بعرفة، ويباهي بهم الله تعالى الملائكة، ويغفر لمن شاء منهم. وغير الحجاج يصومون عرفة؛ يوماً واحداً، يكفر ذنوب سنتين اثنتين،

(١) قال ابن عباس **رضي الله عنهما**: «إن الليالي العشر التي أقسم الله بها، هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة».

فبينما هم في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** شرع لهم عيد الأضحى ليذكروا الله فيه ويذبحوا وينحروا أضحاحيهم تقرباً إلى الله وتعظيماً لشعائره، فيحَقُّ لهم الفرح في عيدهم. أما الأعياد المبتدعة فلا وجود لهذا المعنى العظيم فيها، فلو أن فلاناً وُلِدَ في مثل هذا اليوم فهل من الضروري أن يكون كلُّ يومٍ من أيام الدَّهر موافقاً له في السُّرور والفرح؟ الجواب: كلا، ليس ذلك بالضرورة.

وكلُّ عيد سوى عيد الأضحى وعيد الفطر فهو من الأعياد المُحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطانٍ، سواء كان عيدَ مولدٍ شخصٍ ما، أو ذكرى زواجٍ، أو انتصارٍ في معركة، أو غير ذلك^(١)، وكم أحدث الناس من الأعياد البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطانٍ، تقليداً لليهود والنصارى، أو اتباعاً لأهل البدع والأهواء، أو إحداثاً لما لا أصل له في الدين.

وإذا علم المسلم هذا الأصل العظيم فعليه أن يلزمه ولا يتجاوزَه، فلا عيد إلا عيدا الفطر والأضحى، ولا يغرِّك من يقول: إنها مناسباتٌ وعاداتٌ وليست عبادات حتى تقولوا: إنها بدعة.

والمسلمون لما ضعفوا قلَّدوا غيرهم وجعلوا دينهم، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، بل أصبحوا يعقدون لبعض المناسبات المحزنة المؤلمة ذكرى ويتذكرون فيها آلامهم وأحزانهم!!

(١) قال شيخ الإسلام **رحمته الله**: «وللنبي **صلى الله عليه وسلم** خطبٌ وعهودٌ ووقائعٌ في أيام متعددةٍ مثل: يوم بدرٍ، وحينئذٍ، والخذق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطبٌ له متعددةٌ يُذكرُ فيها قواعدُ الدين، ثمَّ لم يُوجِبْ ذلك أن يتخذَ أمثالُ تلك الأيام أعياداً، وإنَّما يفعلُ مثلَ هذا النَّصارى الذين يتخذون أمثالَ أيام حوادثِ عيسى **عليه السلام** أعياداً، أو اليهود، وإنَّما العيدُ شريعةٌ، فما شرَّعه الله أتبع، وإلا لم يُحدَثْ في الدين ما ليس منه». [اقتضاء الصراط المستقيم ٢/١٢٣].

فائدة: عيد الأضحى أفضل من عيد الفطر^(١)؛ لأن عيد الأضحى يجتمع فيه أمور:

١- أنه يقع في شهر ذي الحجة الذي يجتمع فيه من العبادات ما لا يجتمع في غيره من حج، وأضحية، وصيام يوم عرفة، وهو أفضل الأشهر الحرم وأشدّها حرمةً عند الله.

٢- أنه يكون في اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الحج الأكبر، وهو من أعظم الأيام عند الله.

والدليل حديث عبد الله بن قُرْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»^(٢).

فائدة أخرى: شرع الله لعباده المؤمنين العيدين من أجل أن يفرحوا بطاعة الله تعالى^(٣).

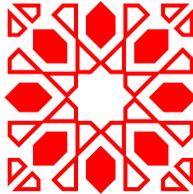
(١) قال شيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عيد النَّحْرِ أفضل من عيد الفطر، ولهذا كانت العبادة فيه النَّحْرُ مع الصلاة، والعبادة في ذاك الصدقة مع الصلاة، والنَّحْرُ أفضل من الصدقة؛ لأنّه يجتمع فيه العبادتان البدنيّة والماليّة، فالذبيح عبادة بدنيّة وماليّة، والصدقة والهدية عبادة ماليّة، ولأن الصدقة في الفطر تابعة للصوم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضها طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، ولهذا سن أن تخرج قبل الصلاة كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١٤) وذكّر أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿[الأعلى: ١٤-١٥]، وأما النسك فإنه مشروع في اليوم نفسه عبادة مستقلة، ولهذا يشرع بعد الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(١٥) إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿[الكوثر: ٢-٣]». [مجموع الفتاوى ٢٤/٢٢٢].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه رقم: (١٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (١٧٦٥). قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمُ الْقَرِّ» وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى: أي يسكنون ويقيمون. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٣٧].

(٣) جاء عن جبير بن نفيير أنه قال: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: «تقبل الله منا ومنك» أخرجه المحاملي في صلاة العيدين رقم: (١٤٧)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٤٦).

فهما يوماً فرح وسرورٍ وليساً يومين لتجديد الأحزان وزيارة القبور، ومن تأمل هذه الحقيقة أدرك الخطأ الذي وقع فيه بعض الناس من تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر، وانتشارهم داخل المقبرة يطؤون القبور بأقدامهم، كل يبحث عن قبر أو قبور أقربائه، وأقبح من ذلك زيارة النساء وما يصاحب زيارتهن من النياحة ونحوها، وقد ظن كثير من الناس بأن الأموات يشعرون بزيارة الزائرين ويستأنسون بذلك وهذا ليس عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة وهو من الأمور الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا بالدليل.

كما يظن كثير من الناس أن من البر والصلة زيارة الموتى في قبورهم يوم العيد، بل بلغ الأمر ببعضهم أن يعيب على من لا يزور المقابر في العيد، وربما وصفه بالعقوق لوالديه أو بالقطيعة لأرحامه، وهذا لا شك خطأ كبير؛ إذ لو كانت زيارة المقابر في يوم العيد من الأعمال الصالحة لفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمر بها أمته، ومن المعلوم أن الأموات ينفعهم الدعاء والاستغفار، والمسلم يمكنه أن يدعو لوالديه وأقاربه في كل زمانٍ ومكانٍ وليس ذلك خاصاً عند زيارة المقابر.



السُّؤال الثاني بعد المائة: مَنْ هُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؟

الجواب: ١- أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٢- عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣- عثمانُ بنُ عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤- عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الصحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هُمُ خَيْرُ الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فَيَدْخُلُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دُخُولًا أَوْلَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مُؤْمِنٍ سِوَاهُمْ عِنْدَ نَزُولِ الْآيَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (١).

فَشَهِدَ لَهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَّةِ، وَشَهِدَ لَهُمْ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٣٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ مَطْلَقًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْدِيمَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ». [إعلام الموقعين ٥ / ٥٧٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٥٣١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «جَعَلَ نِسْبَةَ أَصْحَابِهِ إِلَى مَنْ بَعَدَهُمْ كَنِسْبَتِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَكَنِسْبَةِ النُّجُومِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ يُعْطَى مِنْ وَجوبِ اهْتِدَاءِ الْأُمَّةِ بِهِمْ مَا هُوَ =

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَءَ نَبِيِّهِ، يِقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ» (١).

قوله: **(الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ)**، اتفق أهل السنة والجماعة أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رغم اشتراكهم في فضل الصُّحْبَةِ عموماً إلا أنهم متفاوتون في الفضل والرتبة بحسب أعمالهم وسابقتهم إلى الإسلام، فأفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون الأربعة، وترتيبهم في الفضل والمنزلة والمكانة كترتيبهم في الخلافة فخيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بقيت العشرة المبشرين بالجنة الذين بشرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة وهم أحياء، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» (٢).

وهذا الحديث الصحيح مشهور عند أهل السنة والجماعة، وبه لقبوا هؤلاء الصحابة المذكورين في هذا الحديث بالعشرة المبشرين بالجنة.

وإنكر هذا الحديث طائفتان: الرافضة، والخوارج ومنهم الإباضية.

والواجب على المسلم أن يحب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويواليهم وينصرهم.

= نظير اهتدائهم بنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل

بقاءهم بين الأمة أمانة لهم، وحزوا من الشر وأسبابه». [إعلام الموقعين ٥/ ٥٧٦].

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٣٦٠٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم: (٥٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٠).

قال الإمام مالكٌ **رَحِمَهُ اللهُ**: «كَانَ السَّلْفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حَبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ
كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(١).

وقال الطَّحاوي **رَحِمَهُ اللهُ**: «وُنِحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَلَا نُفَرِّطُ فِي
حَبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَبْغُضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبَغِيْرِ الْخَيْرِ
يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبَغْضُهُمْ كُفْرٌ
وَنِفَاقٌ وَطَغْيَانٌ»^(٢).

وقد نهى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن سبِّ الصَّحَابَةِ؛ كما في حديثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ
أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ»^(٤).

قوله: **(أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)**، أَبُو بَكْرٍ هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَامِرِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ الْقُرَشِيِّ التَّمِيمِيُّ، يَلْتَقِي
نَسَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي مِرَّةَ بْنِ كَعْبٍ.

وقد وُلِدَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِسَنْتَيْنِ وَنِصْفٍ.

وكانت سيرته **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَبْلَ الْإِسْلَامِ حَسَنَةً فَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَكَانَ
يَعِينُ الْمَحْتَجِّينَ، وَيَسَاعِدُ الضَّعْفَاءَ.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧/١٣١٣).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص: ٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٥٤٠)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم: (١٢٧٠٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة

رقم: (٢٣٤٠).

و أبو بكر الصّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو أوَّلُ مَنْ أسلمَ من الرِّجال الأحرار.

وقد دلَّ على ذلك نصوصٌ عدَّةٌ، ومنها ما جاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرفِ ثوبه حتَّى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما صاحبكم فقد غامر»^(١) فسلمَّ وقال: إنِّي كان بيني وبين ابنِ الخطَّابِ شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثمَّ ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك، فقال: «يغفرُ اللهُ لك يا أبا بكرٍ» ثلاثًا، ثمَّ إنَّ عمرَ ندمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ، فسأل: أأنتم أبو بكرٍ؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمَّ، فجعلَ وجهُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمعرُ، حتَّى أشفق أبو بكرٍ، فجننا على ركبته، فقال: يا رسولَ اللهِ، والله أنا كنتُ أظلمَ، مرتين، فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» مرتين، فما أودى بعدها^(٢).

وهذا الحديثُ كالنص على أن أبا بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولُ مَنْ أسلمَ^(٣).

وقد أسلمَ والدا أبي بكرٍ وجميعُ أولاده، وليس في الصحابة مَنْ أسلمَ أبوه وأمه وأولاده، وأدركوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأدركه أيضًا بنو أولاده إلا أبا بكرٍ من جهة الرجال والنساء، فهم أهلُ بيتِ إيمانٍ ليس فيهم منافقٌ، ولا يُعرفُ في الصحابة مثلُ هذا لغير بيتِ أبي بكرٍ، فلإيمانِ بيوتٍ، وبيتُ أبي بكرٍ من بيوتِ الإيمانِ من المهاجرين^(٤).

(١) قوله: «أما صاحبكم فقد غامر»، أي: خاصم غيره، ودخل في غمرة الخصومة، وهي معظمها.

[النهاية لابن الأثير ٣ / ٣٨٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٦١).

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٦٩).

(٤) منهاج السنة النبوية (٨ / ٣٣١).

وقد اختص أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفضائل ومناقب عدة، ومنها:

١- أنه أحب الرجال إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أبي عثمان أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» فعدّ رجالاً، فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لو كنت مُتَّخِذًا خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عَزَّ وَجَلَّ صاحبكم خليلاً» ^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا إثبات خصائص لأبي بكرٍ لا يشركه فيها أحدٌ غيره، وهو صريحٌ في أنه ليس من أهل الأرض من هو أحبُّ إليه، ولا أعلى منزلةً عنده، ولا أرفع درجةً، ولا أكثر اختصاصاً به من أبي بكرٍ» ^(٣).

٢- اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في هجرته إلى المدينة، وصحبته في الغار.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَمْ يَرْعُنَا إِلَّا وَقَدْ أَنَا ظَهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: «أَشْعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ»،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٣٥٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٥٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨٣)، واللفظ له.

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/٢٨٣).

قال: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «الصُّحْبَةُ»، قال: يا رسولَ الله، إنَّ عندي ناقتين أعددتهما للخروج، فخذُ إحداهما، قال: «قد أخذتها بالثَّمنِ»^(١).

وأما في الغارِ فقد قال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نظرتُ إلى أقدامِ المشركينِ على رؤوسنا ونحن في الغارِ، فقلتُ: يا رسولَ الله لو أنَّ أحدَهم نظر إلى قدميَّ أبصرنا تحت قدميَّ، فقال: «يا أبا بكرٍ ما ظنُّك باثنينِ اللهُ ثالثُهُما؟»^(٢)، وفي هذا أنزل اللهُ تعالى ﴿ثَاقِبٌ أَنتَينِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمَنَّرْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ففي هجرة أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضيلةً لأبي بكرٍ وهي من أجلِّ مناقبه، والفضيلة من أوجه منها: بذله نفسه، ومفارقة أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وملازمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعاودة الناس فيه، ومنها جعله نفسه وقايةً عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- أنه أعلم صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خَطَبَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناسَ وقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، قال: فبكى أبو بكرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبدٍ خَيْرٍ، فكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المَخِيرُ، وكان أبو بكرٍ أعلمنا، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَنْ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بكرٍ، ولو كنتُ متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذتُ أبا بكرٍ، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجدِ بابٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٩٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨١)، واللفظ له.

(٣) انظر شرح النووي لمسلم (١٥٠/١٥).

إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «فالصحابَةُ في زمنِ أبي بكرٍ لم يكونوا يتنازعون في مسألةٍ إلا فصلها بينهم أبو بكرٍ وارتفع النزاعُ، فلا يُعرفُ بينهم في زمانه مسألةٌ واحدةٌ تنازعوا فيها إلا ارتفع النزاعُ بينهم بسببه كتنازعهم في وفاته **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومدفنه وفي ميراثه، وفي تجهيز جيش أسامة، وقاتل مانعي الزكاة، وغير ذلك من المسائل الكبار، بل كان خليفة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيهم يعلمهم ويقومهم، ويبيِّن لهم ما تزول معه الشبهة، فلم يكونوا معه يختلفون، وبعده لم يبلغ علم أحدٍ وكماله علم أبي بكرٍ وكماله»^(٢).

٤- أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا.

والدليل حديثُ أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زوجين في سبيلِ اللهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(٣).

قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» الرجاءُ مِنَ اللهِ وَمِنْ نَبِيِّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** واقعٌ، فالحديثُ يدخلُ في فضائلِ أبي بكرٍ الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) الفتاوى الكبرى (٤/٤٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٨٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم: (١٠٢٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر فتح الباري (٧/٢٩).

٥- أنه أرحمُ أمةٍ محمدٍ ﷺ.

فعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ الله عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤُهم أبيٌّ، ولكلُّ أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةُ بنُ الجراحِ»^(١).

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «ولمَّا كان نصيبُ كلِّ عبدٍ من الرحمةِ على قدرِ نصيبه من الهدى، كان أكملُ المؤمنين إيمانًا أعظمهم رحمةً، كما قال تعالى في أصحابِ رسوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان الصديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أرحمِ الأمة»^(٢).

فائدة: لُقِّبَ أبو بكرٍ بالصِّديقِ؛ لتصديقه للنبيِّ ﷺ كما في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجدِ الأقصى أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتد ناسٌ ممَّن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجالٌ من المشركين إلى أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعمُ أنه أُسْرِيَ به الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدَّق، قالوا: أو تُصدِّقه أنه ذهب الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ وجاء قبل أن يُصبحَ؟ فقال: نعم، إنِّي لأُصدِّقه في ما هو أبعدُ من ذلك أصدِّقه في خبرِ السَّماءِ في غَدوةٍ أو رَوْحةٍ، فلذلك سُمِّيَ أبا بكرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٩٥).

(٢) إغاثة اللفهان (٢/٩١٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٠٦).

فائدة أخرى: من ألقاب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العتيق، والدليل حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن أبا بكرٍ، دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أنت عتيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ، فيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا»^(١).

وبعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت خلافةُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستمرت ستين وثلاثة أشهر؛ قام خلالها بأعمال جلييلة، ونصر الدين نصرًا عظيمًا، ومن أجل أعماله:

١ - قتال المرتدين.

فغن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما توفي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستخلفَ أبو بكرٍ بعده، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قال عمرُ لأبي بكرٍ: كيف تقاتلُ الناسَ؟ وقد قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمرت أن أقاتلُ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، فَمَنْ قال: لا إلهَ إلا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إلا بحقِّه، وحسابُه على اللهِ»، فقال: والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعه، فقال عمرُ: «فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، فعرفتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(٢).

٢ - جمعُ القرآنِ الكريمِ.

كان القرآنُ مكتوبًا في صُحُفٍ مفرقةٍ، وبعد مقتل كثيرٍ من قراء الصَّحابة في معركة اليمامة أمر أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيد بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يجمعَ القرآنَ في مصحفٍ واحدٍ.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْمَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٤٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٧٢٨٥)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم: (٥١٣)، وحسن إسنادَه ابن حجر في فتح الباري (١٢/٩).

٣- استخلافه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن أحسن مناقبه وأجل فضائله استخلافه عمر بن الخطاب على المسلمين، وقد ظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهر الإسلام على الأديان كلها^(١).

وفي السنة الثالثة عشرة من الهجرة مرض أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة، ودفن بجوار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، هو أمير المؤمنين^(٢)، وثاني الخلفاء الراشدين؛ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قُرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي القرشي.

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت حرب بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيرا^(٣).

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ١٨٢).

(٢) ثبت أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إلى عامل العراق بأن يبعث إليه رجلين جلدتين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث عامل العراق بليد بن ربيعة وعدي بن حاتم، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمر بن العاص، فقالا: استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبئتما اسمه هو الأمير، ونحن المؤمنون، فوثب عمرو فدخل على عمر أمير المؤمنين، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما بدلك في هذا الاسم يا ابن العاص؟ ربي يعلم لتخرجن ممّا قلت، قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا عليّ فقالا لي: استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، نحن المؤمنون وأنت أميرنا، قال: «فمضى به الكتاب من يومئذ» أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٧٨)، وصححه الذهبي في تلخيص المستدرک.

(٣) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١١٤٥).

وأما قصة إسلامه فالسبب الأكبر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن يهدي عمر بن الخطاب إلى الإسلام، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»^(١). وكان إسلام عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من النبوة، فهو من السابقين إلى الإسلام.

* وثبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فضائل ومناقب عدة، ومنها:

١- أنه أحب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فعن أبي عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر» فعد رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم^(٢).

٢- أن الله تبارك وتعالى جعل الحق على لسان عمر رضي الله عنه وقلبه.

والدليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(٣).

ومعناه أنه موفق مسدد ملهم فقيه في الدين عالم بأحكام رب العالمين، ومما

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم: (١٠٥).

* فائدة: اللفظان المشهوران عند الناس «اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين»، أو «اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين» لا أصل لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم. [انظر الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ص (٥٤)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري ص ١١٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٣٥٨)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨٤)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٧٣٦).

يدلُّ على ذلك أنَّه وافقَ حكمَ القرآنِ في مواضع عدة، ومنها ما جاء في قولِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وافقتُ ربي في ثلاثٍ: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحجابِ، وفي أسارى بدرٍ»^(١).

وثبت عن عُبَّةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كان بَعْدِي نَبِيٌّ لكانَ عُمَرُ بنَ الْخَطَّابِ»^(٢).

ومعنى الحديثِ لو قَدَّرَ اللهُ أنْ بعدي نبيًّا لصلحَ لذلكِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما فيه من قوَّةِ في الدِّينِ، ونفاذٍ في البصيرةِ، وعزيمةِ صدقٍ، وموافقةٍ للحقِّ مع الإعراضِ عن الدنيا، والزُّهدِ فيها^(٣).

٣- شهادةُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بقوَّةِ الدِّينِ.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بيننا أنا نائمٌ، رأيتُ الناسَ يُعرَضونَ عليَّ وعليهم قُمْصٌ، منها ما يبلُغُ الثُّديَّ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ بنُ الخطَّابِ وعليه قميصٌ يجرُّه»، قالوا: فما أوَّلَتَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «الدِّينَ»^(٤).

٤- أنْ الشياطينَ تخافُ من عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لقوَّةِ إيمانه.

والدليلُ قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطانُ قطُّ سالِكًا فجًّا إلا سلكَ فجًّا غيرَ فجِّك»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٤٠٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٩٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٨٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٣٢٧).

(٣) فيض القدير (٥/٣٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٩٠)، واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٢٩٤)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٩٦).

والحديث يدلُّ على أنَّ الشيطانَ إذا رأى عمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** سلك طريقاً فإنَّه يهربُ خوفاً منه إلى طريقٍ آخرَ، بل جاء في حديثٍ آخرَ أنَّ رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إني لأنظرُ إلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ قد فرُّوا من عمرٍ»^(١).

٥- أنَّ النبيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر أنَّ عمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** شهيدٌ.

فمن أنسِ بنِ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أنَّ النبيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صعدَ أحدًا، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ؛ فرجفَ بهم، فقال: «اثبتْ أحدُ فأثبتْ عليك نبيُّ، وصديقٌ، وشهيدانٍ»^(٢).

٦- أنَّ عمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أشدُّ الأمة في أمرِ الله.

فمن أنسِ بنِ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسولُ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ الله عمرُ»^(٣).

٧- أنَّ عمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** شديدُ الغيرة.

فمن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: بيَّنا نحنُ عند رسولِ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ إذ قال: «بيَّنا أنا نائمٌ؛ رأيتني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلى جانبِ قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لعمرُ، فدكرتُ غيرتهُ، فولَّيتُ مُدْبِرًا»، فبَكَى عمرُ، وقال: أعلِّيك أغارُ يا رسولَ الله؟»^(٤).

فائدة: جاء في السنة أحاديثُ في فضلِ أبي بكرٍ وعمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**.

١- أنَّ النبيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمرَ بالافتداءِ بأبي بكرٍ وبِعمرَ بنِ الخطابِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٨٠) ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٩٥)، واللفظ للبخاري.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقتدوا بالَّذِينَ مِن بعدي مِن أصحابي أبي بكرٍ وعمر»^(١).

٢- أن أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سيدا كُهلٍ أهلِ الجنة.

والدليل قولُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو بكرٍ وعمرُ سيدا كُهلٍ أهلِ الجنةِ مِنَ الأوّلينِ والآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّينَ والمرسلين»^(٢).

٣- شهادةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما بصدقِ الإيمانِ، وقوةِ اليقينِ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صلَّى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةَ الصُّبحِ، ثُمَّ أقبلَ على الناسِ، فقال: «بيننا رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركبها فضربها، فقالت: إِنَّا لم نُخلَقْ لهذا، إِنَّمَا خَلِقْنَا لِلحَرثِ»، فقال النَّاسُ: سبحانَ الله! بقرةٌ تكلمتُ؟ فقال: «فإني أومنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ - وما هُما ثمَّ - وبينما رجلٌ في غنمِهِ إذ عدا الذئبُ، فَذَهَبَ منها بشاةٍ، فَطَلَبَ حتَّى كَانَهُ استنقذَهَا منه، فقال له الذئبُ: هذا استنقذتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لها يومَ السَّبْعِ؟ يومٌ لا راعيَ لها غيري، فقال النَّاسُ: سبحانَ الله ذئبٌ يتكلمُ! قال: «فإني أومنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، - وما هُما ثمَّ -»^(٣).

٤- أن أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بمنزلةِ السَّمْعِ والبصرِ في الدِّينِ.

فعن عبد الله بن حنطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى أبا بكرٍ وعمرَ فقال: «هذان السَّمْعُ والبصرُ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (١١٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم: (٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبو بكرٍ وعمرُ سيدا كُهلٍ أهلِ الجنةِ»، أي: باعتبار ما كانوا عليه في الدُّنيا وإلا ليس في الجنةِ كهلٌ. [انظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٨٦٩ / ١٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٤٧١)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٣٨٨)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧٠٠٤).

قوله **صلى الله عليه وسلم**: «هذان السَّمْعُ والبَصَرُ»، أي: منزلتهما في الدين وعند المسلمين بمنزلة السمع والبصر في الأعضاء، وهذا دليل على عظيم حقهما وكبير أثرهما وعلو مكانتهما^(١).

تولى عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** الخلافة بعد أبي بكر الصديق **رضي الله عنه**، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكانت خلافة عمر **رضي الله عنه** عشر سنوات وستة أشهر، ومن أبرز الأحداث التي جرت في خلافته:

أ- فتح بلاد الفرس بعد معارك عدة، ومن أشهرها معركة القادسية سنة أربع عشرة هجرية.

ب- فتح بلاد الروم بعد معارك عدة، أشهرها معركة أجنادين سنة خمس عشرة هجرية.

ج- فتح بيت المقدس سنة ست عشرة هجرية. وغيرها من الفتوحات العظيمة والأعمال الجليلة التي قام بها عمر بن

الخطاب **رضي الله عنه**.

ولمَّا فرغ عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** من الحج سنة ثلاثٍ وعشرين ورأى أنَّه قد كَبُرَتْ سِنُّهُ وُضِعَتْ قُوَّتُهُ، وانتشرت رعيته وخاف من التقصير سأل الله أن يقبضه إليه، وأن يَمُنَّ عليه بالشهادة في بلد النبي **صلى الله عليه وسلم**، فقال: «اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك **صلى الله عليه وسلم**»^(٢).

فاستجاب الله له هذا الدعاء، وجمَعَ له بين هذين الأمرين؛ فاستشهد في المدينة النبوية، وهو قائمٌ يصلي في المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء،

(١) انظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح [٣٨٧٠ / ١٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (١٨٩٠).

لأربع بقين من ذي الحجة طعنه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث طعنات إحداهن تحت سرتة فخر من قامته.

واستخلف عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإكمال الصلاة، ورجع أبو لؤلؤة بخنجره لا يمرُّ بأحدٍ إلا ضربه ممَّن كان في المسجد حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُرْنَسًا^(١)، فقتل أبو لؤلؤة نفسه.

وحمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يُغمى عليه، ثم يُذكرُونه بالصلاة فيُفيقُ ويقول: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن تركها، ثم صلى في الوقت، وسأل عمن قتله، فقالوا له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل مَنِّي على يدي رجل يدعي الإيمان، ولم يسجد لله سجدةً.

ومات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ثلاثة أيام، ودفن يوم الأحد في أول المحرم من سنة أربع وعشرين بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد أن أذنت له أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك^(٢).

قوله: **(عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**، الخليفة الراشد الثالث هو عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يلتقي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عبد مناف.

وُلِدَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة السادسة بعد عام الفيل.

(١) البرنس: كل ثوب رأسه منه مُلتزق به، دُرَاعَةٌ كَانَ أَوْ مِمَطَّرًا أَوْ جُبَّةً. [العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٤٣/٧].

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٠/١٨٨).

وقد أسلم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على يد أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في أوائل من أسلم من الصحابة في مكة، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام.

ولعثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كُنتان، فيكنى بأبي عبدالله، وبأبي عمرو، وله لقب وهو ذو النورين؛ لأنه تزوج ابنتي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رقية وأم كلثوم.

ولعثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مناقب جمّة وفضائل عدة، ومنها:

١- أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بشره بالجنة فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة»^(١).

٢- أنه أصدق أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حياءً، ولذا فالملائكة تستحي منه؛ فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان»^(٢).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٣).

٣- أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصفه بالشهيد؛ فعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»^(٤).

٤- أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصفه بالأمين؛ فعن أبي حبيبة أنه دخل الدار، وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٨٩٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (٢٤٠١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٧٥).

الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافًا»، أو قال: «اختلافًا وفتنةً»، فقال له قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسولَ الله؟ قال: «عليكم بالأمينِ وأصحابيه»، وهو يشيرُ إلى عثمانَ بذلك ^(١).

تولَّى عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه الخلافةَ في محرم سنة أربعٍ وعشرين للهجرة، واستمرت خلافتُهُ اثنتي عشرة سنةً أبلى فيها بلاءً حسنًا، واتسعت رقعة بلاد الإسلام في عهده اتساعًا كبيرًا، فهو أكثرُ الخلفاء الراشدين فتحًا للبلاد ونشرًا للإسلام بين العباد، فامتدت الممالكُ الإسلاميةُ إلى أقصى مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، ففتحت بلادُ المغربِ إلى أقصى ما هنالك حتى بلغت فتوحاته بلاد الأندلسِ غربًا، ومن ناحيةِ المشرقِ إلى أقصى بلادِ الصينِ.

وفي عهده قُتِلَ كِسْرَى، وباد ملكُه بالكلية، وفتحت مدائنُ العراقِ، وخراسانُ، والأهواز، وجبِّي الخراجِ من المشارقِ والمغاربِ إلى عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه ^(٢).

ومما قام به رضي الله عنه من الأعمالِ الجليلةِ نُصرةٌ للإسلام ونشرًا له بين العباد أيامَ خلافته:

١- توسعةُ الحرمينِ المكيِّ والمدنيِّ.

٢- جمعُ القرآنِ الكريمِ.

وغير ذلك من الأعمالِ الجليلةِ التي قدَّمتها للإسلام والمسلمين.

وقد جاء في حديثِ أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حائطٍ من حيطانِ المدينةِ فجاء رجلٌ فاستفتحَ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «افتحْ

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٨٥٤١)، وقال ابنُ كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٧٤): إسناده

جيد حسن.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/ ٧٨).

له، وبشره بالجنة»، ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «افتح له، وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «افتح له، وبشره بالجنة على بلوى تُصيبه»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فحمد الله، ثم قال: الله المستعان^(١).

وقد ثبت عن عائشة **رضي الله عنها**، أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «يا عثمان، إنه لعلَّ الله يُقِمَّ صُكَّ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعَهُ لَهُمْ»^(٢).

ففي هذا الحديث وصية من النبي **صلى الله عليه وسلم** لعثمان **رضي الله عنه** بعدم ترك الخلافة، والتنازل عنها؛ لأنه على الحق والصواب.

وقد هاجت على عثمان **رضي الله عنه** رؤوس الفتنة والشر وأحاطوا به وحاصروه أربعين يومًا ليخلع نفسه من الخلافة وقتلوه قاتلهم الله فصبر وكف نفسه وعيده حتى ذبح صبرًا في داره والمصحف بين يديه^(٣).

والصحابه **رضي الله عنهم** ما شاركوا في قتل عثمان ولا أعانوا عليه، وإنما أرادوا الدفاع عنه فمنعهم عثمان **رضي الله عنه**.

قال ابن كثير **رحمه الله**: «قال عثمان للذين عنده في الدار من أبناء المهاجرين والأنصار، وكانوا قريبًا من سبعمائة؛ فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين، ومروان، وأبو هريرة، وخلقت من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلي منزله، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير، وقال لرقيقه: من أعمد سيفه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٣٦٩٣)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٠٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٣٧٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٧٩٤٧).

(٣) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٣).

فهو حرٌّ، فبرَدَ القتالَ مِن داخلِ الدَّارِ، وحميَ مِن خارجٍ، واشتدَّ الأمرُ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «خيارُ المسلمين لم يدخلْ واحدٌ منهم في دمِ عثمانَ، لا قتلَ، ولا أمرَ بقتله، وإنما قتلَهُ طائفةٌ مِنَ المفسدين في الأرضِ مِن أوباشِ القبائلِ وأهلِ الفتنِ»^(٢).

وقد كان استشهادهُ عثمانَ بنِ عفانَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عامَ خمسٍ وثلاثينَ للهجرة، وكان عمره اثنتين وثمانين عاماً.

قوله: **(عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)**، الخليفةُ الرَّابعُ من الخلفاءِ الرَّاشدينَ، وابنُ عمِّ النبيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وزوجُ فاطمةَ ابنته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، يُكنى بأبي الحسنِ، وكناهُ النبيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأبي تُرابٍ أيضاً، وهو عليُّ بنُ أبي طالبٍ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ القرشيِّ الهاشميِّ.

وُلِدَ في مكةَ ونشأَ بها وتربى في بيتِ النبيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو أوَّلُ مَنْ أسلمَ من الصبيانِ.

شهدَ الغزواتِ كُلَّها مع النبيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا غزوةَ تبوكٍ؛ لأنَّ النبيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** استخلفه على المدينة.

ولعلي بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مناقبٌ عديدةٌ، وفضائلٌ جمَّةٌ، ومنها:

١- أنَّ النبيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بشره بالجنة؛ والدليل قولُه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ذكر العشرة المبشرين بالجنة: **«وعليٌّ في الجنة»**^(٣).

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه رقم: (٤٦٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٠).

٢- أَنْ حُبَّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن أبي عثمان النهدي قال: قال رجلٌ لسلمان: ما أشدَّ حُبَّكَ لعليٍّ، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(١).

٣- أَنَّهُ نَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأَعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قال: فبات الناسُ يَدُوكُونَ ليلتهم أيهم يُعطاها، قال: فلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَرَجُونَ أَنْ يُعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فقالوا: هو يا رسولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ...»^(٢).

وقد تولَّى عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخِلافةَ سنةَ خمسٍ وثلاثين للهجرة، واستمرت خِلافتهُ خمسَ سنينَ إلا ثلاثةَ أشهرٍ.

ومن أبرز ما جرى في خِلافتهُ قتالُه الخِوارجَ في معركةِ النهروان سنةَ ثمانيةٍ وثلاثين للهجرة، وكان يرأس الخِوارجَ عبدُ الله بنُ وهبٍ السبئي، فهزمهم عليٌّ وقتلَ أكثرهم، وقتلَ ابنُ وهبٍ.

وفي عام أربعين للهجرة ليلة السابع عشر من شهر رمضان استشهدَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان عُمرُه ثلاثًا وستون سنة، وقد قتله الخارِجيُّ عبد الرحمن بنُ ملجم المرادي، وهو خارجٌ إلى صلاةِ الفجرِ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ١٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٥٩٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم: (٢٩٤٢)، ومسلم في صحيحه رقم: (٢٤٠٦)، واللفظ لمسلم.

وقد أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** أن قاتل عليٍّ من أشقى النَّاسِ، فقال رسولُ الله **صلى الله عليه وسلم** لعليٍّ: «يا أبا ترابٍ» لما يرى عليه من الترابِ، قال: «ألا أحدثُكما بأشقى الناسِ رجلين؟» قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: «أحيمرُ ثمودَ الذي عقرَ النَّاقَةَ، والذي يضربُكَ يا عليُّ على هذه، يعني قرنه، حتى تُبَلَّ منه هذه، يعني لحيته»^(١).



(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (١٨٣٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٢٥٩٨).

فَهْرِسْتِنُ الْمَحَبِّيَّاتِ

الصفحة	السؤال
٥	مقدمة المؤلف
٧	السؤال الأول: مَنْ رَبُّكَ؟
١٢	السؤال الثاني: أَيْنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا؟
١٦	السؤال الثالث: مَا حَقُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ؟
١٨	السؤال الرابع: أَكْمَلَ الْحَدِيثَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا...».
٢٠	السؤال الخامس: لِمَاذَا خَلَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ وَمَا الدَّلِيلُ؟
٢٢	السؤال السادس: مَا أَعْظَمُ وَاجِبٍ عَلَيْنَا؟
٢٤	السؤال السابع: اذْكَرْ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ.
٢٨	السؤال الثامن: مَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ؟ وَمَا مَعْنَاهَا؟
٣١	السؤال التاسع: أَكْمَلَ الْحَدِيثَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...».

الصفحة	السؤال
٣٤	السؤال العاشر: ما أعظم الذنوب؟
٣٧	السؤال الحادي عشر: ما الشرك؟
٣٩	السؤال الثاني عشر: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ...».
٤١	السؤال الثالث عشر: هل يعلم أحد الغيب سوى الله عز وجل؟
٤٣	السؤال الرابع عشر: متى تكون الأعمال مقبولة عند الله عز وجل؟
٤٧	السؤال الخامس عشر: ما السورة التي تعدل ربع القرآن؟ وقرأها.
٥١	السؤال السادس عشر: من نبيك؟
٥٣	السؤال السابع عشر: ما معنى (محمد رسول الله)؟ وماذا يجب علينا نحوه؟
٥٦	السؤال الثامن عشر: ما اسم نبينا، واسم أبيه، واسم جدّه؟
٥٨	السؤال التاسع عشر: من يجب أن تحب أكثر من جميع الناس؟ وما الدليل؟
٦٠	السؤال العشرون: متى ولد النبي ﷺ؟ وفي أي بلد؟
٦٢	السؤال الحادي والعشرون: كم كان عمر النبي ﷺ حين أرسله الله عز وجل؟

الصفحة	السؤال
٦٤	السؤال الثاني والعشرون: كم سنة عاش النبي ﷺ بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة؟
٦٦	السؤال الثالث والعشرون: إلى أين هاجر النبي ﷺ؟
٦٨	السؤال الرابع والعشرون: كم سنة عاش النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة؟
٧٠	السؤال الخامس والعشرون: من هن أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ؟
٧٥	السؤال السادس والعشرون: متى تُوِّفِيَ النبي ﷺ، وأين، وكم كان عُمره؟
٧٩	السؤال السابع والعشرون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً...»
٨٢	السؤال الثامن والعشرون: ما دينك؟
٨٥	السؤال التاسع والعشرون: ما معنى الإسلام؟
٨٩	السؤال الثلاثون: كم أركان الإسلام؟ وما الدليل؟
٩٢	السؤال الحادي والثلاثون: ما عمود الإسلام؟
٩٤	السؤال الثاني والثلاثون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة...»
٩٦	السؤال الثالث والثلاثون: عرّف الصلاة؟

الصفحة	السؤال
٩٩	السؤال الرابع والثلاثون: كم صلاةً تجب على المسلم في اليوم واللييلة؟ وكم عدد ركعات كل صلاة؟
١٠١	السؤال الخامس والثلاثون: ما شروط الصلاة؟
١٠٨	السؤال السادس والثلاثون: ما أركان الوضوء؟
١١٣	السؤال السابع والثلاثون: ما نواقض الوضوء؟
١١٦	السؤال الثامن والثلاثون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...»
١١٧	السؤال التاسع والثلاثون: ما الواجب قراءته في الصلاة؟
١٢٠	السؤال الأربعون: ماذا يقول المصلي في الركوع؟
١٢٣	السؤال الحادي والأربعون: ماذا يقول المصلي في السجود؟
١٢٦	السؤال الثاني والأربعون: ماذا يقول المصلي بين السجدين؟
١٢٨	السؤال الثالث والأربعون: ما التحيات؟
١٣٣	السؤال الرابع والأربعون: ما الصلاة الإبراهيمية؟
١٣٩	السؤال الخامس والأربعون: ما الأربعة التي يستعيد المصلي بالله منها قبل التسليم؟

الصفحة	السؤال
١٤٤	السؤال السادس والأربعون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً، غير فريضة...».
١٤٦	السؤال السابع والأربعون: ما السنن الرواتب؟
١٥٣	السؤال الثامن والأربعون: عرف الزكاة؟
١٦١	السؤال التاسع والأربعون: عرف الصيام؟
١٦٩	السؤال الخمسون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان...»
١٧١	السؤال الحادي والخمسون: عرف الحج؟
١٧٤	السؤال الثاني والخمسون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق...؟»
١٧٧	السؤال الثالث والخمسون: ما أركان الإيمان؟
١٩٣	السؤال الرابع والخمسون: اذكر أسماء ثلاثة من الملائكة؟
١٩٧	السؤال الخامس والخمسون: اذكر كتب الله عز وجل، وعلى من نزلت؟
٢٠٢	السؤال السادس والخمسون: من أولو العزم من الرسل؟
٢١١	السؤال السابع والخمسون: ما خواتيم سورة البقرة التي يستحب أن يقرأها المسلم كل ليلة؟

الصفحة	السؤال
٢١٧	السؤال الثامن والخمسون: متى تقوم الساعة؟ وما الدليل؟
٢٢١	السؤال التاسع والخمسون: ما دار الكرامة؟ وكم عدد أبوابها؟
٢٢٤	السؤال الستون: ما أعظم نعيم في الجنة؟
٢٢٩	السؤال الواحد والستون: ما أكثر ما يدخل الجنة؟
٢٣٤	السؤال الثاني والستون: ما دار العذاب والمهانة؟ وكم عدد أبوابها؟
٢٣٩	السؤال الثالث والستون: ما الإحسان؟
٢٤١	السؤال الرابع والستون: من أحق الناس بالبر والإحسان؟
٢٤٦	السؤال الخامس والستون: ماذا تقول إذا أردت أن تدعو لوالديك؟
٢٤٨	السؤال السادس والستون: ما أحب الأعمال إلى الله تعالى؟
٢٥٦	السؤال السابع والستون: من أكرم الناس عند الله تعالى؟
٢٥٩	السؤال الثامن والستون: ما كتابك العظيم؟ وكم عدد أجزائه؟
٢٦٣	السؤال التاسع والستون: ماذا تفعل قبل أن تقرأ من المصحف؟
٢٦٥	السؤال السبعون: ما المعوذتان؟ وقرأهما.
٢٨١	السؤال الواحد والسبعون: ما أعظم آية في القرآن؟ وقرأها.

الصفحة	السؤال
٢٨٩	السؤال الثاني والسبعون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مكتوبة...»
٢٩٢	السؤال الثالث والسبعون: ما أعظم سورة في القرآن؟ وقرأها.
٣٠٦	السؤال الرابع والسبعون: ما أطول سورة في القرآن الكريم؟
٣١١	السؤال الخامس والسبعون: ما أقصر سورة في القرآن؟ وقرأها.
٣٢٠	السؤال السادس والسبعون: ما السورة التي تعدل ثلث القرآن؟
٣٢٨	السؤال السابع والسبعون: أكمل السورة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَصْرِ ﴿٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٣﴾....
٣٣٢	السؤال الثامن والسبعون: ما أحسن الأخلاق وأفضلها؟ وما أفبح الأخلاق وأسوأها؟
٣٣٩	السؤال التاسع والسبعون: أكمل الحديث قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب...»
٣٤٢	السؤال الثمانون: من عدوك الأكبر؟
٣٥١	السؤال الحادي والثمانون: متى تستعيد بالله من الشيطان الرجيم؟
٣٥٧	السؤال الثاني والثمانون: ما أخطر أمراض القلوب؟
٣٦٠	السؤال الثالث والثمانون: ما أثقل الصلاة على المنافقين؟

الصفحة	السؤال
٣٦٣	السؤال الرابع والثمانون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب... ».
٣٦٩	السؤال الخامس والثمانون: ما أخطر شيء على الإنسان؟
٣٧٣	السؤال السادس والثمانون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: « من حُسن إسلام المرء... ».
٣٧٦	السؤال السابع والثمانون: ما أحب الكلام إلى الله؟
٣٨٢	السؤال الثامن والثمانون: ما كنز الجنة؟
٣٨٨	السؤال التاسع والثمانون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان... ».
٣٩٦	السؤال التسعون: ما سيد الاستغفار؟
٤٠٤	السؤال الواحد والتسعون: ما تقول قبل النوم؟
٤١٠	السؤال الثاني والتسعون: ما تقول بعد الاستيقاظ من النوم؟
٤١٥	السؤال الثالث والتسعون: ما تحية الإسلام؟
٤٢١	السؤال الرابع والتسعون: بأيّ اليدين يأكل ويشرب المسلم؟
٤٢٥	السؤال الخامس والتسعون: متى تقول: (باسم الله)؟
٤٣٤	السؤال السادس والتسعون: متى تقول: الحمد لله؟

الصفحة	السؤال
٤٤١	السؤال السابع والتسعون: ماذا تقول لمن عطس وحمد الله؟ وبماذا يرُدُّ عليك؟
٤٤٨	السؤال الثامن والتسعون: أكمل الحديث: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً... ؟ »
٤٥٢	السؤال التاسع والتسعون: ما أحب البلاد إلى الله؟ وما أبغضها؟
٤٥٩	السؤال المائة: ما أفضل يوم في الأسبوع؟ وأفضل يوم في العام؟ وأفضل ليلة في العام؟ وأفضل شهر العام؟
٤٧٣	السؤال الواحد بعد المائة: ما أعياد الإسلام؟
٤٧٨	السؤال الثاني بعد المائة: من هم الخلفاء الراشدون؟
٥٠١	فهرس المحتويات



مكتب إنفان
للتنقيح والدراسات العلمية

